

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

# الاستدلال في كتاب نهج البلاغة دراسة أسلوبية

اطروحة تقدّمت بها  
فاطمة كريم رسن حمد الكعبي

إلى مجلس كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية/جامعة بغداد  
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه . فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

حيدر لازم مطلق

كانون الثاني 2009م

محرم 1430هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِيهِ

الْعِلْمِ))

آل عمران/ الآية 7

## توصية المشرف

نشهد أن إعداد هذه الأطروحة جرى تحت إشرافنا في جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، وهي جزء من متطلبات درجة دكتوراه فلسفة في آداب اللغة العربية .

اسم المشرف

الاستاذ المساعد الدكتور حيدر لازم مطلق

التوقيع:

التاريخ:

بناء على التوصيات المتوافرة، نرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

أ.د. صبحي ناصر حسين

رئيس قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

2009هـ

## توصية لجنة المناقشة

نشهد أننا أعضاء لجنة التقييم والمناقشة اطلعنا على هذه الرسالة وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونقرر بأنّها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه/ فلسفة في اللغة العربية بتقدير ( ) .

الاسم: أ.د. سمير كاظم الخليل

الاسم: أ.د. عبد الهادي خضير نيشان

التوقيع:

التوقيع:

عضواً

رئيس اللجنة

الاسم: أ.د. صبحي ناصر حسين

الاسم: أ.د. خديجة زيار الحمداني

التوقيع:

التوقيع:

عضواً

عضواً

الاسم: أ.م.د. حيدر لازم مطلق

الاسم: أ.م.د طالب عويد نايف

التوقيع:

التوقيع:

عضواً ومشرفاً

عضواً

أ.د. عامر محمد علي

عميد كلية التربية للبنات

جامعة بغداد / / 2009م

الإهداء

إلى.....

مولاتي فاطمة

الزهراء

(عليها السلام)

## الفهرست

الصفحة	المحتويات
	الإهداء
أ-ج	المقدمة
14-1	التمهيد: مفهوم الاستدلال في اللغة والاصطلاح
107-15	الفصل الأول: اللغة والإيقاع
20-19	المبحث الأول: المستوى الإفرادي
28-21	أولاً: التناسب والاقتران في الألفاظ
35-29	ثانياً: المعنى الأصلي والمعنى السياقي للمفردات (التغير الدلالي)
49-36	ثالثاً: علاقات الاشتقاق في الألفاظ
56-50	رابعاً: المشترك اللفظي
107-57	المبحث الثاني: الإيقاع
61-60	الإيقاع الداخلي
76-62	أولاً: إيقاع المفردة
76-62	1. تناوب العناصر المتشابهة
70-26	الجناس
76-70	السجع
83-77	2. التكرار
107-84	ثانياً: إيقاع التركيب
93-84	1. التوازي الدلالي
86	التوازي التام
86	التوازي الخاص
87	التوازي الشرطي
88	الاشتراط السببي
89	التوازي الوصفي
93-92	توازي المعادلة

107-94	2 . التوازي الإيقاعي
186-111	الفصل الثاني : بنى الاستدلال ( الأسلوب والدلالة)
111	مدخل: مفهوم النص
111	أولاً: الاستدلال موجّهاً نصياً
111	ثانياً: البناء التركيبي للنص (الخطبة)
154-117	المبحث الأول: البنية الصغرى للاستدلال ( الجملة )
154-119	البناء التركيبي للجملة
154-121	صور التوزيع في بناء الجمل الاستدلالية
130-121	أولاً:الذكر و الحذف
143-131	ثانياً: التقديم والتأخير
145-144	ثالثاً: التقييد والإطلاق
154-146	رابعاً: الإيجاز والإطناب
186-155	المبحث الثاني: أساليب الخبر والإنشاء
167-157	أولاً: الأسلوب الخبري
167-158	الاستدلال بأسلوب التوكيد
163-158	1 . الاستدلال بحروف التوكيد
167-164	2 . الاستدلال بتراكيب التوكيد
186-168	ثانياً: الأسلوب الإنشائي
174-168	1 . الاستدلال ب ( أسلوب الأمر )
170-169	القسم الأول: الأمر الحقيقي
174-171	القسم الثاني: الأمر المجازي
179-175	2 . الاستدلال ب ( أسلوب النهي )
176-175	القسم الأول: النهي الحقيقي
179-177	القسم الثاني: المعنى المجازي
186-180	3 . الاستدلال ب ( أسلوب الاستفهام )
182-181	القسم الأول: الاستفهام الحقيقي
186-182	القسم الثاني: الاستفهام المجازي
244-187	الفصل الثالث: تحولات بنى الاستدلال وبناء الصورة
190-189	المبحث الأول: التحول والحوار

203-191	أولاً: آليات التحوّل ووظائفه
194-191	1 . التردّد
198-195	2 . الاستبدال
203-199	ثانياً: التحوّل النبويّ الدلاليّ
216-204	ثالثاً: الحوار
216-211	آليات الحوار الاستدلاليّ
244-217	المبحث الثاني: بناء الصورة
224-218	أولاً: التشبيه
233-225	ثانياً: الاستعارة
244-234	ثالثاً: الكناية
298-245	الفصل الرابع : الاستدلال بالمرجعيات النصّية
270-251	المبحث الأول: التداخل النصّيّ في الاستدلال ومؤثراته
270-253	أولاً: القرآنيّة
261-254	1 . المرونة والتأثر بالبنية القرآنيّة
270-261	2 . التقنيات القرآنيّة في نصوص نهج البلاغة
276-271	ثانياً: الحديث النبويّ الشريف
298-277	المبحث الثاني: توظيف المرجعيات الأدبية والتأريخية
287-278	أولاً: الشعر
293-286	ثانياً: المثل العربيّ
298-294	ثالثاً: التناصّ التاريخيّ
303-299	الخاتمة
323-305	ثبت المصادر والمراجع
	الملخص بالإنكليزية

# المقدّمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين،  
وعلى أصحابه الغرّ المنتجبين، وبعد...

فإنّ هذه الأطروحة تسعى إلى النظر في كتاب "نهج البلاغة" نظرة معمّقة؛ لكونه نصّاً  
عالياً في البلاغة، والفصاحة؛ فقد ثبت بما لا يدانيه شك؛ أنّه كلام أمير المؤمنين عليّ عليه  
السلام؛ وهو المعروف بفصاحته، وبلاغته؛ فهذا البحث يحاول سير أغوار آليات تراكيب النصّ،  
ومفرداته؛ ليتبيّن التأثير الحاصل في نفس المتلقي، ونعني بالمتلقي؛ المتلقي الذي سمع النصّ  
من أمير المؤمنين مباشرة، أو المتلقي الذي تلا ذلك في القرون المتعاقبة، ونحن اليوم؛ إذ تحيا  
فيها الدراسة النصّيّة؛ فقد حاولنا إجراءها في نصوص "نهج البلاغة"، فاستعملنا المنهج التحليلي  
لها، واستتطاق النصّ .

ومن الأهميّة الكبرى أن يرصد الباحث كلّ متلازمات البنى الاحتجاجيّة في النصّ  
الخطابيّ في كتاب "نهج البلاغة"؛ إذ وجد أنّ واسطة الاستدلال هي الأقرب؛ لكشف مفاصل  
النصّ البكر التي لم تحرث أرضها بعد، وسعيّاً إلى سدّ ذلك النقص بدأت في البحث بهذه  
الدراسة التي، انحصرت على متخصّصي الفلسفة والمنطق وإدخالها في الحقل الدراسيّ الأدبيّ؛  
إذ كشف الاستدلال عن نتاج معرفيّ ألمّ بشؤون الحياة المعيشة آنذاك وخبر فيها "عليه السلام"  
الفرد والمجتمع، فنتج عن ذلك أداء لوظائف عدّة للنصّ بلغت شأنها، وحصلت منفعتها، فانكشف  
للقارئ المتأملّ للنصّ العمق المعرفيّ والإبداعيّ للنصّ؛ فضلاً عن تجده .

من هنا كان سبب اختياري لموضوعي (الاستدلال في كتاب "نهج البلاغة" للإمام عليّ (ع)  
دراسة اسلوبية)؛

فجاء البحث على تمهيد قدّمت فيه كميّة اتصال هذا المفهوم المنطقيّ بالأدب، وأربعة فصول  
وخاتمة .

فكان الفصل الأوّل : اللغة والإيقاع ، وهو على مبحثين، ويتضمن المبحث الأوّل : اللغة  
ويعالج المستوى الإفرادي، ويتقدّمه مدخل ( الكلمة وخصوصيّة الاستعمال )، ويتركز على أربع  
فقرات؛ وهي : التناسب والاقتران، المعنى الأصليّ والمعنى السياقيّ للمفردات، علاقات  
الاشتقاق، المشترك اللفظي؛ أما المبحث الثاني : فخصّصته للإيقاع، وكان على مستويين، إيقاع  
المفردة، وتتضمّن : تناوب العناصر المتشابهة، وفيها الجناس، والسجع، والتكرار، أما المستوى  
الأخر؛ فهو إيقاع التركيب، وفيه التوازي الدلاليّ، ويتضمّن :

التوازي الشرطيّ، وتوازي الاشتراط السببيّ، والتوازي بالوصف، وتوازي المعادلة، أما المستوى  
الأخر؛ فهو التوازي الإيقاعيّ الذي يعتمد القافية .

الفصل الثاني : بنى الاستدلال ( الأسلوب والدلالة )، ويتقدّمه مدخل في بناء النصّ " الخطبة "، وفيه مبحثان؛ الأول : البنية الصغرى للاستدلال ( الجملة )، ويعتمد البناء التركيبيّ، ويشتمل على صور التتوّع في بنائها.

ويحتوي على : الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتقييد والإطلاق، والإيجاز والإطناب. ويأتي المبحث الثاني : البنية الكبرى للاستدلال ( أساليب الخبر والانشاء ) مشتملاً على أسلوبين هما: الأسلوب الخبريّ، والأسلوب الانشائيّ .

و يأتي الفصل الثالث : تحولات بنى الاستدلال، وبناء الصورة، وفيه مبحثان الأول : التحوّل والحوار، والمبحث الثاني : بناء الصورة .

والفصل الرابع : الاستدلال بالمرجعيات النصّية، وينطوي على: المبحث الأول : الدينية (القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف)، والمبحث الثاني : الأدبيّة ( الشعر، والامثال)، والتأريخيّة .

ومن أهم المصادر التي اعتمدها الباحثة هي: أسرار البلاغة في علوم البيان، عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، الألسنية العربية: ريمون طحان، البلاغة العربية قراءة أخرى:الدكتور محمد عبد المطلب، البنى الأسلوبية في النصّ الشعري(دراسة تطبيقية): الدكتور راشد بن حمد بن هاشم الحسيني، تأصيل النص قراءة في أيديولوجيا التناص: الدكتور مشتاق عباس معن، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: محمّد خطابيّ، نهج البلاغة مااختره الشريف الرضي(406هـ) من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) شرح الشيخ محمّد عبدة.

ومن أجل الاختصار فقد وضعتُ رموزاً لذلك، فلفظة الخطبة بالحرف (خ)، ولفظة الكتاب بالحرف (ك)، ولفظة الحكمة بالحرف (ح) في الإجراء التحليليّ للنصوص.

وبعد فإنّ الباحثة قد لاقت صعوبات كثيرة، وواجهت معوّقات كبيرة. كادت توقف البحث. لولا عناية الله سبحانه وتعالى؛ إذ أعاننتي أيد بيضاء لتجاوز ما أحاط بي من مشاكل بحثية فلها كلّ الشكر والامتنان .

واخصّ بالذكر أستاذي المشرف د. حيدر لازم مطلق الذي كان لي أباً رحيماً، وأخاً حنوناً، فلم يرضنّ عليّ من وافر علمه، و سماحة خلقه بكلمة تنبثق معها مكونات الفكر، أو إضاءة تنبج منها اشراقات التحليل، والتعبير، والذي تحمّل منّي أسئلتني، واستفساراتي، والنهل من علمه، وملاحظاته، وتسديداته التي كان لها أبلغ الأثر في إخراج البحث بهذه الصورة. وكلّ ذلك كان تحت وطأة أزمتة الصحيّة، فلم يكن للمرض سبيل من أن يمنعه، أو لمرارة ألم تعنصره أن يخلّ بالتزامه مع البحث موجّهاً، ومع الباحث حنواً وتشجيعاً، ولايمكن لي أن أفي بقليل جزاء

لمعروفٍ أسداه، وليس لي وسيلة لشكري، وامتناني إلا أن أبتهل إلى الله تعالى بأن يلبسه ثوب العافية، ويحيطه بلطفٍ منه.

وأسجّل وافر شكري لأستاذي الدكتور صبحي ناصر حسين الذي كان له كبير الأثر في تخطي أزماتي في أثناء البحث، وكثير شكري وامتناني إلى أستاذي الدكتور عبد الهادي خضير الذي أمدني من وافر علمه وكثير من كتبه، كما أقدم شكري إلى الدكتور حسن منديل والدكتور محسن عريبي، وأسجل شكري وعرفاني إلى أساتذة قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات جميعاً على عنايتهم الخاصة، ومعاملتهم الفريدة التي حظيت بها منهم، وامتناني وشكري للأستاذ الدكتور جاسم الفهيد من الكويت الشقيق الذي رفدني ببعض مؤلفاته البلاغية والأسلوبية، ولم تمنعه من ذلك صعوبة الإرسال بين البلدين، عرفاني وامتناني لأسرتي أعضاء هيئة تحرير مجلة (سبيل) القرآنية، فقد كانوا نعم الناصر علماً وتعضيداً، ومن لم يسمح لي المقام بذكرهم لهم مني جلال التقدير وهيبة المقام .

ولا أدعي لهذا البحث الكمال، فإنه جهد المقلّ، فلذا كانت فيه أغلاط لم أقصد إليها، وهنات، وهفوات سيقلني منها أساتذتي المناقشون جزاهم الله خيراً ويلتمسون إليّ العذر. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

## التمهيد

### مفهوم الاستدلال في اللغة والاصطلاح

اجتنبى الله تعالى الخطاب العربي؛ ليكون معجزته العظيمة، وتأسيساً على ما لهذه اللغة من قدرة على التعبير، والتصوير، والإيصال، والتواصل، والإلتقان في الصياغة والإبداع في رسم الدلالات بأدوات فنيّة عالية الدقة والبراعة، فإذا كان للغة العرب لها من القدرة الكبرى على أن يختارها الله تعالى لغة للقرآن؛ كان من الواجب أن يكون للعرب الناطقين بتلك اللغة لهم المقدرة أيضاً على الإبداع الكلامي، والروعة الصياغية في الخطاب، وإلا لما تحداهم الله تعالى بلغتهم، وإذا كان العرب على مكانة عالية في إنشاء اللغة العالية، كان لابدّ من القول إنّ لغة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب "عليه السلام" في "نهج البلاغة" تمثل اللغة المثلى، والخطاب بعد النصّ القرآنيّ المعجز، والحديث النبويّ الشريف؛ فنصّ "نهج البلاغة" يمثل شهادة وثائقيّة على مقدرة العرب آنذاك على التفرّد الإبداعيّ في لغة الخطاب، والندرة الفنيّة في صياغة الكلام على أفانين شتى، غايتها إحداث التأثير في المتلقي مع لحاظ نقل الدلالة المرجوة، وقد تأتي هذه المقدرة البلاغية للإمام من الرسول محمّد "صلّى الله عليه وآله وسلّم"؛ إذ نهل من معين خطاب النبوة، وارتشف من عذب نقاوة العربيّة؛ فكان كلام الرسول الأعظم "صلّى الله عليه وآله وسلّم" المعلم الأوّل للإمام؛ فقد علّمه الرسول ألف باب من العلم كان منها علمه بعلم الكلام وروعة القول، فلا غرو أن يكون الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" سيّد العرب فصاحةً، وأوفرهم حظاً في القول البليغ، فإذا كان الإمام "عليه السلام" متفرداً في مقاله كان حريّاً أن يدرس كلامه، ويأتي فوق كلام البشر ودون كلام الله.

### معنى (الاستدلال) في اللغة:

يقول الخليل في معنى دلّ "الرجل يدُلُّ على أفرانه في الحرب يأخذهم من فوق، والبازي يدُلُّ على صيده"<sup>(1)</sup>؛ أي إنّه بمعنى الأخذ والسيطرة، على حين يرى ابن فارس في مادّة (دلّ) "الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء"<sup>(2)</sup>، و"دلّه على الطريق، وهو دليل المغارة وهم أدلاؤها وأدلت الطريق اهتديت إليه، ومن المجاز: الدالّ على الخير كفاعله، ودلّه على الصراط المستقيم، ولي على هذا دلائل، وتناصرت أدلة العقل، وأدلة

<sup>(1)</sup> العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تح الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (دل ل).  
<sup>(2)</sup> مقاييس اللغة : مادة (دل ل) .

السمع، واستدلّ به عليه وأقبلوا هدى الله ودليله<sup>(1)</sup>، وهو " من الإدلال والدالة على من لك عنده منزلة"<sup>(2)</sup>.

من هنا؛ فإنّ معنى لفظة (الدل)، قد تتوّج، فقيل إنه يراد بها الأخذ والسيطرة، ومنهم من يرى أنّ معناها إيضاح الشيء بقرينة، أو إبانته بأماره، والأظهر لدينا أنّ هذا المعنى الأخير الذي جاء في اللسان، وهو الذي يقترب كثيراً من معنى لفظة الاستدلال في الاصطلاح، وسيرد ذلك تباعاً.

## مفهوم (الاستدلال) في الاصطلاح :

يمكن القول إنّه ليس هناك تعريف اصطلاحى لـ (الاستدلال) في مدونات الفلاسفة القدماء، فقد كان يعبر عنه تحت مسمّى اخر، ألا وهو (القياس)؛ إذ" دعا أرسطو الاستدلال (سولوجسموس) أي الجامعة، لجمع النتيجة بين المعنيين اللذين لم نكن نعلم إن كانا يتوافقان أم يتخالفان. ومن ثم دعا أرسطو جميع أنواع الاستدلالات (سولوجسمي)، وترجم اللفظ اليوناني إلى العربية بلفظ (قياس)، أطلق كذلك على مختلف الاستدلالات"<sup>(3)</sup>، وقد قسّمه أرسطو إلى قياسيّ برهانيّ صادر عن مبادئ كليّة، وجدليّ مركب من مقدمات ظنيّة، وسوفسطائيّ مؤلف من مقدمات كاذبة تحتوي على النتيجة احتواءً ظاهرياً لاحقياً<sup>(4)</sup>.

## مفهوم (الاستدلال) عند الأصوليين والفقهاء :

إنّ علم الأصول هو مجموعة القوانين التي يعتمدها الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعيّة، فهو على وفق رؤاهم " النظر في طرق الفقه على طريق الإجمال وكيفيّة الاستدلال بها، وما يتبع كيفيّة الاستدلال بها"<sup>(5)</sup>، ويختصّ علم الفقه بمعرفة الأحكام الشرعيّة التي طريقها الاجتهاد<sup>(6)</sup>.

(1) أساس البلاغة: مادة (دل ل) .

(2) لسان العرب: مادة (دل ل) .

(3) المعجم الفلسفي: الدكتور مراد وهبة، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979م : 22.

(4) ينظر: المعجم الفلسفي: يوسف كرم وآخرون، مطبعة أولاد عبدة أحمد، القاهرة، ط2 : 1971م : 14، والمعجم الفلسفي: الدكتور مراد وهبة: 22.

(5) المعتمد في أصول الفقه: أبو الحسين محمد بن علي بن الطيّب البصريّ(436هـ)، تح خليل الميس ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1403هـ: 5/1، وينظر اللمع في أصول الفقه: أبو إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي(476هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م: 67/1، المستصفي من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ (505هـ)، تح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1413هـ: 43/1 .

(6) ينظر: اللمع في أصول الفقه: 3، والمعتمد في أصول الفقه: 403/2 .

ومفهوم الاستدلال عند الأصوليين يمثل " طلب الدليل"<sup>(1)</sup> ، وهو " قول مؤلف من أقوال يقصد به إيقاع التصديق بقول آخر غير مصدق به"<sup>(2)</sup> . و " الفكر في حال المنظور فيه"<sup>(3)</sup>، وهو "المرشد إلى المطلوب لأنه علامة عليه"<sup>(4)</sup>.

والاستدلال غير الدليل، لأنه " قد يستدلّ من لا يقع على الدليل وقد يوجد الاستدلال، وهو طلب الدليل ممّن لا يجد ما يطلب، وقد يرد الدليل مهاجمة على من لا يطلبه"<sup>(5)</sup> ، وهو " إما أن يفيد العلم، أو الظن، وعلى التقديرين؛ فذلك الدليل إما أن يكون عقلياً محضاً أو نقلياً محضاً، أو مركباً منهما"<sup>(6)</sup> .

ويُعدُّ الاستدلال عبارة عن " ترتيب اعتقادات، أو ظنون ليتوصل بها إلى الوقوف على الشيء باعتقاد، أو ظن"<sup>(7)</sup>، ويأتي الاستدلال في الأمور التي يثبت معها اليقين؛ ذلك لأنّ " الاستدلال لا بدّ أن يكون قائماً على الجزم، ومنتجاً لليقين بالنتيجة"<sup>(8)</sup>، وقد عدّه بعض الأصوليين دليلاً خامساً لما سلف من الأدلة الأربعة<sup>(9)</sup>. وقد يستدلّ المجتهد بشيء على شيء؛ فيكون الاستدلال عبارة عن "استحضار العلم بأمور من وجودها وجود المطلوب، واستحضار العلم بالشيء متوقف على وجود ذلك الشيء"<sup>(10)</sup> .

وجملة الأمر في اعتماد الأصوليين الفقهاء للاستدلال كونه نتاجاً لغويّاً يعتمد العقل والمنطق في تحديّد الحكم الشرعيّ.

(1) قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبد الجبار السمعاني (489هـ)، تح محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، 1997م، 33/1، وينظر: اللع في أصول الفقه: 3/1 .

(2) النصائر النصرية: زين الدين عمر بن سهلان الساوي (540هـ)، تح العلامة الشيخ محمّد عبده، المطبعة الأميرية، مصر، ط1، 1898، 78 .

(3) الورقات: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (478هـ)، تح د. عبد اللطيف محمد العيد، ب، د، ب، ت: 9/1 .

(4) المصدر نفسه .

(5) الأحكام في أصول الأحكام: عليّ بن أحمد بن حزم الأندلسي (456هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط1 ، 1404هـ: 100/5 .

(6) المحصول في علم الأصول: محمّد بن عمر بن حسين الرازي (606هـ)، تح طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400هـ: 599/5 .

(7) المعتمد في أصول الفقه: 6/1 .

(8) مئة المنان في الدفاع عن القرآن: السيد محمّد محمّد صادق الصدر (قدس)، مطبعة الكوثر، قم، ط1، 1426هـ: 13 .

(9) ينظر: إجابة السائل شرح بغية الأمل: محمّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (1182هـ)، تح القاضي حسين بن أحمد السياغي ود. حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1986م: 214/1 .

(10) المحصول: للرازي: 60/6-61 .

## مفهوم (الاستدلال) عند الأدباء والبلاغيين :

يضيف مصطلح الاستدلال إلى اللغة والأدب معاني عدّة منها: الإيماء إلى الشيء فـ " من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفهم ، وقد يقع الإيماء إلى الشيء ؛ فيغني عن ذوي الألباب كشفه، كما قيل لمحة دالة " (1) .

ويأتي في معنى الاستدلال معنى آخر هو (المعرفة)، وذلك أنّ " الاستدلال بالشاهد على الغائب هو الأصل في المعرفة" (2)،

وجاء الاستدلال عند الكفويّ في الكليات لغةً هو "طلب الدليل، ويطلق في العرف على إقامة الدليل مطلقاً من نصّ أو إجماع أو غيرها، وعلى نوع خاص من الدليل. وهو في عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو بالعكس" (3).

وطرق مفهوم الاستدلال متون البحث الأدبيّ، والبلاغيّ؛ فقد استعمل بعض الأدباء مفهوم الاستدلال بمعناه، ولفظه في أثناء البحث الأدبيّ؛ إذ ورد عند عبد القاهر الجرجانيّ (471هـ) هذا اللفظ في قوله: " أن يذكر ما يستدلّ به " (4).

وذكر في دلائل الإعجاز في بعض فنون الاستدلال بقوله : " وهذا فنّ من الاستدلال لطيف على بطلان أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ " (5)

وفي قول الرازي (606هـ) في حديثه عن الكناية قال: " كما أنّ طول القامة مشكوك فيه، وليس أحدهما أظهر عند العقل من الآخر، حتى يستدلّ بالأعرف على الأخرى " (6)،

أما السكاكيّ فقد جعل له فصلاً خاصاً به أسماه (من تكلمة على المعاني في الاستدلال) وضح في خصيصة الاستدلال بعدها واسطة يتحقق فيها " إكساب ثبات الخبر للمبتدأ، أو نفيه عنه بواسطة تركيب جملة " (7)، ومن هذا التعريف يمكن الاستدلال على الخصيصة اللغويّة لجملة الاستدلال على وفق المفهوم الأدبيّ، وقد وضح مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام

(1) الكامل في اللغة والأدب : أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد ( 285هـ)، مؤسّسة المعارف ، بيروت، 1985م: 17/1 .

(2) الأزمنة والأمكنة: أبو عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقيّ (421هـ)، مطبعة المعارف، الهند، 1332 هـ: 152/1 .

(3) الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ (1094هـ)، مؤسّسة الرسالة، ط2، 1998م: 114.

(4) أسرار البلاغة: 293.

(5) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجانيّ (471هـ)، تح د. محمّد التنجي ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت ، ط1 ، 1995م: 301.

(6) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي محمّد بن عمر (606هـ) ، تح أحمد حجازي السقا ، دار الجيل، بيروت، ط1 ، 1412هـ - 1992م: 193.

(7) مفتاح العلوم: 683.

بقوله "إنّ مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها،.... علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلاليّ، ومعرفة خواصّها فما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"<sup>(1)</sup> .

وعند العلويّ (749هـ) في أحد مباحث كتابه الطراز أسماه(في الاستدلال)<sup>(2)</sup>، وعند السيوطيّ(911هـ) قال: " أمّا الاستدلال فبالعلامات؛ فمن علامات الحقيقة تبادر الذهن إلى فهم المعنى والعراء عن القرينة"<sup>(3)</sup>

ويقدّم الإمام عليّ "عليه السلام" مفهوماً جلياً للاستدلال بقوله: " أُستدلّ على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الأمور أشباه"<sup>(4)</sup>، ويتّضح من هذا الحدّ في استعمال حروف الزيادة (الألف والسين والتاء)، واقترانها بالفعل (دلّ)، وذلك لإفادة دلالة طلب الدليل، ومن هذا التعريف يتضح ركنا عمليّة الاستدلال الأوّل (مجهول)، والآخر (معلوم)، فتتكشف معلوميّة المجهول بقرينة المعلوم لمشترك الشبه الذي يقاس عليه بين الأشياء .وهذا يؤكده ، و" إنّما الشأن أن يقع الاستدلال على الشيء بما هو أجنبيّ عنه وخارج عنه"<sup>(5)</sup>

ومفهوم الاستدلال الذي خرج إليه نصّ الإمام "عليه السلام" أكدته العمليّة الاستدلاليّة التي عبّر عنها المحدثون؛ أنّها عمليّة عقليّة منطقيّة ينتقل فيها النظر من قضية معلومة إلى قضية جديدة مجهولة<sup>(6)</sup>. وهي عمليّة استنتاج قضية جديدة من قضية، أو عدّة قضايا مسلم بصحتها<sup>(7)</sup>، ويقترّب تعريف عبد السلام المسديّ للعمليّة الاستدلاليّة من مفهوم الفلاسفة لها بأنّها" عمليّة استنتاج يقصد به إثبات قضية بالإسناد إلى مقدّمات بديهيّة، أو متواضع على صحتها"<sup>(8)</sup>.

وتسمّى القضايا الأصليّة بالمقدّمة، أو المقدّمات Premises والقضيّة الجديدة بالنتيجة

## . Conclusion

وتأسيساً على ماتقدّم يمكن القول إنّ الاستدلال يتكوّن من أجزاء ثلاثة؛ هي .:

- (1) مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن عليّ السكاكي(626هـ)، تح أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، ط1، 1400 هـ - 1981م:673 .
- (2) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم العلويّ(749هـ) ، تح محمّد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م: 46.
- (3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(911هـ) ، تح فؤاد عليّ منصور ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1، 1998م: 288/1 .
- (4) نهج البلاغة: ما اختاره الشريف الرضي في كلام سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، شرح الشيخ محمّد عبده، خرج مصادرّه الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ، 1993م:ك541/31 .
- (5) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن عليّ القلقشندي(821هـ) ، تح د. يوسف عليّ طويل ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1987م: 246/1.
- (6) ينظر: الموسوعة الفلسفيّة : عبد المنعم الحنفي، مطبعة دار ابن زيدون،بيروت ط1/ب ت: 454 .
- (7) ينظر: مدخل إلى علم المنطق،مهديّ فضل الله، دار الطليعة، بيروت، ط2/116/1979 .
- (8) الأسلوبية والأسلوب: د.عبد السلام المسديّ، الدار العربيّة للكتاب، ط3 ، ب ت : 155.

1. مقدّمة، أو مقدّمتان؛ هما أساس الاستدلال، وهي مصادر أدلّة الاستدلال في البحث.
2. نتيجة لازمة على هذه المقدّمات بالضرورة<sup>(1)</sup>، وهي نتيجة الاستدلال في مجال البحث.
- 3- علاقة منطقيّة تربط بين المقدّمة، أو المقدّمات وبين النتيجة<sup>(2)</sup>، وهي تمثل علاقات المجاورة والمتضادّة والمترادفة... الخ في مجال البحث .

ويمكن أن نجري تطبيقاً على نصّ نهج البلاغة في قوله "عليه السلام".  
 "الحمد لله الَّذِي لا يُبْلَغُ مِدْحَتَهُ القائلون، ولا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ العادّون، ولا يُؤدِّي حَقَّهُ المجتهدون، الَّذِي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، ولا يَنالُهُ غَوْضُ الفِطَنِ، الَّذِي ليس لَصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدودٌ، ولا نَعَتْ موجودٌ، ولا وُقْتُ معدودٌ، ولا أَجَلٌ ممدودٌ، فطر الخلائق بقدرته، ونشَرَ الرياحَ بِرحمته، ووتَّدَ بالصخورِ ميدانَ أرضِهِ. أوَّلُ الدينِ معرفتُهُ"<sup>(3)</sup>.

يرد موضوع الاستدلال في هذا النصّ في (الاستدلال على معرفة الخالق)، وجاءت البنى النصّية الآتية بيانها:

مقدّمات	{	لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ
تمثل مصادر		ولا يَنالُهُ غَوْضُ الفِطَنِ
أدلّة		الَّذِي ليس لَصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدودٌ، ولا نَعَتْ موجودٌ، ولا وُقْتُ معدودٌ، ولا أَجَلٌ ممدودٌ
الاستدلال		فطر الخلائق بقدرته
		ونشَرَ الرياحَ بِرحمته ووتَّدَ بالصخورِ ميدانَ أرضِهِ

جاءت مصادر أدلّة الاستدلال مرتبطة بعلاقة التجاور المؤدية الى نتيجة الاستدلال في بنية النصّ الخطابيّ (أول الدين معرفته).

ومنه فالاستدلال هو الذي يُطلق به حكم في القضايا من جهة صدقها، أو كذبها من أجل الوصول إلى النتائج المستخلصة من هذه المقدّمات، ومن ذلك؛ فالاستدلال في نصوص "نهج البلاغة" يخلع على الخطاب فيها صفة البرهنة القائمة على الحجّة، فتقله من الخطاب ذي القضايا المرنة إلى الخطاب البرهانيّ في بنى أنظمتها الذي يدخل ضمن الدراسات المنطقيّة .

(1) ينظر: المنطق التوجيهي، أبو العلا عفيفي، لجنة التّأليف والترجمة القاهرة، 1944م: 66 .  
 (2) ينظر: المنطق ومناهج البحث العلمي، علي عبد المعطي، بور سعيد، مصر، 1997م: 138  
 (3) نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي (406هـ) من كلام سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) شرح الشيخ محمّد عبده، خرّج مصادرهِ الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م: خ/34 - 35 .

وبذلك فهو يُعدّ أنموذجاً برهانياً يمثل أساس بنية الخطاب المكوّن من نصّ، أو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة (المقدّمة ، الموضوع) مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات، وقد تكون هذه العلاقات بين تركيبين في النصّ، أو بين التراكيب جميعها برابطة مباشرة، أو غير مباشرة، وتمثل هذه الرابطة شرط النصّ الاستدلاليّ الذي يُعدّ نصّاً اقترانياً يعتمد على عناصره المترابطة .

ويأتي الاستدلال في نصوص "نهج البلاغة" على نوعين؛ هما :-

1- الاستدلال المباشر البديهي<sup>(1)</sup> ، ومثله في قوله "عليه السلام" :

" الحمدُ لله المعروف في غير رؤية، والخالق من غير رؤية، الذي لم يزل قائماً دائماً، إذ لاسماءٌ ذات أبراج، ولأحجبٌ ذات أرتاج، ولاليلٌ داج، ولابحرٌ ساج، ولا جبلٌ ذو فجاج، ولافجٌ ذو اعوجاج، ولا أرضٌ ذات مهادٍ، ولاخلقٌ ذو اعتمادٍ، ذلك مُبتدعُ الخلقِ، ووارثُهُ، وإلهُ الخلقِ، ورازقُهُ" (2) .

نجد في النصّ الخطابيّ من نهج البلاغة أنّ بنيتي الخطاب (المعروف في غير رؤية ) و(الخالق من غير رؤية ) تعدّان مقدّمتي الاستدلال بالقياسات المنطقية؛ وهما موضوعا الاستدلال في النصّ الخطابيّ .

وتأتي البنى النصّية في الخطاب ( لاسماءٌ ..، ولأحجبٌ ..، ولاليلٌ ..، ولابحرٌ ..، ولاجبلٌ ..، ولافجٌ ..، ولا أرضٌ ..، ولاخلق ) لتمثل (مباحث الحجة)؛ أي القضايا بالمفهوم المنطقيّ للاستدلال، وهي مصادر أدلة الاستدلال في النصّ الخطابيّ، وهي الأدلة التي يُحتجّ بها لإثبات المطلوب ( النتيجة) لموضوع الاستدلال .

أمّا طرائق تهيئة تلك الأدلة وتأليفها لإثبات نتيجة (الاستدلال)، وهو موضوع البحث لإثبات (ابتداع الخلق) في إله الخلق ( الله) سبحانه وتعالى في أنساق النصّ الخطابيّ؛ فيكون الاستدلال في هذا المثال في النصّ استدلالاً مباشراً، لانتقال الذهن فيه إلى المطلوب؛ أي إنّ كذب القضية، أو صدقها، إنّما يحصل من قضية واحدة معلومة فحسب؛ بلا توسّط قضية أخرى، وقد يسمّى (البديهية المنطقية)<sup>(3)</sup>.

وهذا ما أكّده قول الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" (4)، ففي الآية الكريمة استدلال مباشر على ثبوت وجود الصانع، وهو الله تعالى بالمعادلة

<sup>1</sup> ( المنطق: العلامة محمد رضا المظفر، انتشارات اسماعيليان، قم، ط13، 1426هـ.ق - 1384هـ.ش: 184/2.

<sup>2</sup> نهج البلاغة : خ186/89-187 .

<sup>3</sup> ينظر: المنطق: 184/2 .

<sup>4</sup> سورة الطور: الآية/35 .

النصيّة بين الخلق من العدم، أم هم خالقوا أنفسهم لانتفاء هاتين القضيتين للوصول إلى نتيجة قاطعة بأنّ للكون صانعاً حكيماً واحداً بدلالة ما في الكون من آيات الاتساق والتدبير<sup>(1)</sup>.  
2. وهناك طرائق استدلالية أخرى تنطوي تحت أسلوب الاستدلال غير المباشر الذي ينتقل فيه الذهن من المقدمات إلى النتائج بواسطة<sup>(2)</sup>؛ وهي ثلاثة أنواع رئيسة :

---

(1) سورة فصلت: الآية/53، سورة البقرة: الآية/ 165 ، سورة تبارك: الآية/3 - 4 .  
(2) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية، القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطبع الأميرية، 1403هـ - 1983م:11.

## 1- القياس

وجاء تعريفه عند أرسطو " قول وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم شيئاً ما آخر من الاضطرار"<sup>(1)</sup>، وبهذا المفهوم؛ فإن الاستدلال بالقياس يختلف عن الاستدلال المباشر لتكوّن الأخير من قضية معلومة<sup>(2)</sup> .

وقد اعتمد الغزالي (505هـ) على تعريف أرسطو على ما حدّد به القياس في المعيار بأنّه " قول مؤلّف إذا سلم ما أورد فيه من القضايا لزم عنه لذاته قول آخر اضطراراً"<sup>(3)</sup> . وفيه يكون القياس على القضايا التي لا يشترط بها أن تكون مسلمة بها، أي صادقة إلا بعد ورودها في القياس<sup>(4)</sup> .

ويأتي تعريف المظفر أكثر وضوحاً في تعريف القياس بأنّه " قول مؤلّف من قضايا متى سلّمتم لزم عنه لذاته قول آخر"<sup>(5)</sup>، ويجوز في الاستدلال بالقياس أن يكون استظهاراً وتقوية ومعاضدة لإثبات الدليل<sup>(6)</sup> .

وقد ورد في اختلاف القياس عن الاستدلال المباشر أنّ " القياس يشتمل على أصل، وفرع يجمع بينهما بجامع، والاستدلال ليس كذلك من التلازم الذي مثل قوله تعالى "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"<sup>(7)</sup> .

ويرد هذا النوع في طرائق الاستدلال في نصوص "نهج البلاغة" في قوله "عليه السلام":  
"وَكَمَالُ الْأَخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُؤْصِوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مُؤْصِوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَّبَهُ، وَمَنْ قَرَّبَهُ فَقَدْ تَنَاءَى، وَمَنْ تَنَاءَى فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، [وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ،] وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّه، وَمَنْ قَالَ: فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: عَلَامٌ؟ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مُوجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ"<sup>(8)</sup> .

(1) المنطق: لأرسطو، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ط1، 1980م: 124 .

(2) المنطق: المظفر: 184/2 .

(3) مقاصد الفلاسفة: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، تح محي الدين صبري الكردي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، ب ت: 86 .

(4) ينظر: المصدر نفسه: 86 .

(5) المنطق: المظفر: 189/2 .

(6) إجابة السائل شرح بغية الأمل: 1/ 182 .

(7) التبصرة في أصول الفقه: أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي (476هـ)، تح د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403 هـ: 416/1، أدب المفتي والمستفتي: أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرودي، تح د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط1، 1407هـ: 204/1 . ويضمنها سورة المدثر: الآية: 22 .

(8) نهج البلاغة: خ 35/1-36 .

فيكون الاستدلال القياسي على النحو الآتي ذكره :

كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه... لشهادته كلّ منه... . مقدّمة

(المسند إليه) (المسند) (موضوع الاستدلال . جملة اسمية)

(القضية الأولى)	1- فمن وصف الله	فقد قرّنه
	2- ومن قرّنه	فقد ثناه
	3- ومن ثناه	فقد جرّاه
	4- من جرّاه	فقد جهله
	5- ومن جهله	فقد أشار إليه
	6- ومن أشار إليه	فقد حدّه
	7- ومن حدّه	فقد عدّه

حدود (مباحث الحجّة) أو مصادر أدلة الاستدلال في البحث.

(كائن لاعتن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لابمقارنة) مطلوب // نتيجة

(نتيجة موضوع الاستدلال)

فبوساطة نسبة لفظ (قرّنه) إلى من يصف الله تعالى في القضية (1)، ومابعدها، ونسبة ردّ الوصف إلى كون الله سبحانه وتعالى (كائن لاعتن حدث ، موجود لاعتن عدم )، فيكون استنباط النسبة بين الوصف ونفيه بالوجود الأزليّ لله تعالى في النتيجة الاستدلالية ( كائن .... مع كلّ شيء لابمقارنة )، والتوصّل إلى هذه النتيجة كان يوقع الاستدلال في عبارة ( فمن وصف .. فقد )، وهي طرائق تهيئة الأدلة (مباحث الحجّة) للوصول إلى تلك النتيجة لموضوع الاستدلال .

## 2. التمثيل :

وهي من طرائق الاستدلال غير المباشر:

جاء تعريف التمثيل عند أرسطو " أما المثال؛ فإنه يكون إذا كان وجود الطرف الأكبر في الوساطة عن طريق حدّ شبيهه بالطرف الأصغر "(1)

وبعبارة أخرى هو " إثبات الحكم في جزئيّ لثبوته في جزئيّ آخر مشابه له "(2).

ومثاله في الأحكام الفقهيّة هو إذا ثبتت مشابهة النبيذ للخمر في تأثير السكر في شاربته، وقد كان ثابتاً أنّ حكم الخمر هو الحرمة، فعليه يكون استنباط أنّ النبيذ أيضاً حرام، أو في الأقلّ للاشتراك بينها في جهة الإسكار (3).

وقد جاء تعريفه عند ابن سنان بقوله : " وأما الاستدلال بالتمثيل فأن يزيد في الكلام معنى يدلّ على صحته بذكر مثال له؛ نحو قول أبي العلاء:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم

والعذب يُهجر للإفراط في الخصر

فدلّ على أنّ الزيادة فيما يطلب ربما كانت سبباً للإقناع منه، بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده فيه، وإن كان البرد فيه مطلوباً محموداً(4)

وأركان التمثيل أربعة :.

1. الأصل : هو الجزئيّ المعلوم ثبوت الحكم له، كالخمر في المثال، ويقابل المشبه به بلاغياً.

2. الفرع : هو الجزئيّ المطلوب إثبات الحكم له، كالنبيذ في المثال، ويقابل المشبه بلاغياً.

3. الجامع : وهو جهة الشبه بين الأصل والنوع، كالإسكار في المثال، ويقابل وجه الشبه بلاغياً .

4. الحكم : المعلوم ثبوته في الأصل، والمراد إثباته للشرع كالحرمة في المثل (5).

(1) المنطق : أرسطو : 308.

(2) المنطق : المظفر : 250 /2 .

(3) ينظر :المصدر نفسه:251/2..

(4) سرّ الفصاحة: الأمير أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلّي(466هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1402هـ - 1982م: 275. وهذا البيت جاء في قصيدة لصفي الدين الحلّي بهذا اللفظ

:  
لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يُهجر للإفراط في الخصر

ديوان صفّي الدين الحلّي(752هـ)، دار صادر، بيروت، ب ت :239.

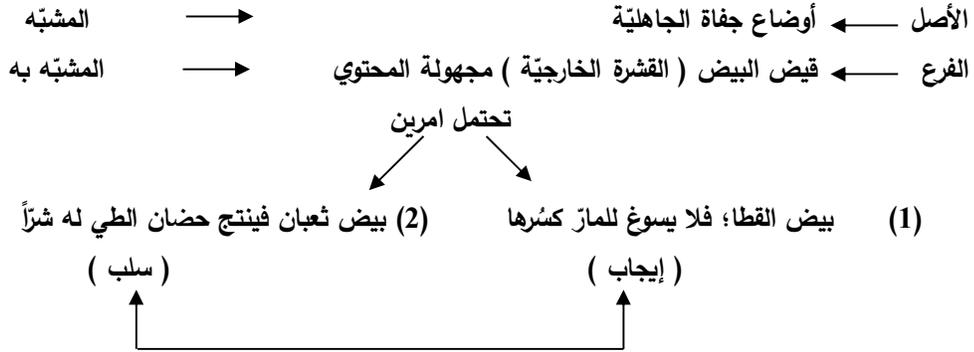
(5) ينظر :المنطق: المظفر: 251/2.

ومن غير أن يدخل البحث في تفصيلات هذه الأركان في المادة الفقهيّة للاستدلال على الحكم الشرعيّ، فإنّ البحث يقف عليها في ملاقاتها الموضوعيّة مع أركان التشبيه في البلاغة العربيّة.

ويكثر الاستدلال التمثيليّ في نصوص " نهج البلاغة"؛ مثل ذلك في قوله "عليه السلام":

"لَيْتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلَيَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَغْفَلُونَ، كَقَيْضِ (1) بَيْضِ فِي أَدَاحِ (2) يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرّاً، وَيُخْرِجُ حِصَانَهَا شَرّاً." (3)

فيأتي التوضيح على التخطيط الآتي بيانه :



((تمثل حيرة الإنسان في جهله بباطن أخيه الإنسان من خير، أو شرّ مع احتماليّة وقوع الشرّ  
أكثر))

الجامع ← عدم نفعه وشدة ضرره. وجه الشبه  
الحكم ← يتمثل بعملية التشبيه بأطرافها جميعاً . النتيجة لموضوع الاستدلال

(( وهي نتيجة كليّة لموضوع الاستدلال بصيغة الطلب ( لام الأمر ) متصلة بالفعل المضارع التي تخرج إلى النصح والإرشاد والحثّ على التآلف، وتؤكد صيغة النهي ( لا الناهية ) التي تخرج إلى المعنى ذاته)).

(1) القشرة العليا اليابسة على البيضة: لسان العرب : مادة: ( ق ي ض ) .

(2) "والأدجِيّ والأدجِيّ والأدجِيّة والأدجِيّة والأدجُوّة مَبْيُضُ النعَامِ فِي الرَّمْلِ". ( لسان العرب ) مادة: ( د ح ا ) .

(3) نهج البلاغة : خ 339 / 164 .

### 3- الاستقراء

يُعدُّ أرسطو أول من استعمل لفظة الاستقراء Induction في أبحاثه المنطقية؛ إذ يعرفه بأنه إقامة قضية عامة ليس عن طريق الاستنباط، وإنما بالالتجاء إلى الأمثلة الجزئية التي يمكن فيها تصديق تلك القضية العامة، أو البرهنة على أن قضية ما صادقة كلياً بإثبات أنها صادقة في كل حالة جزئية إثباتاً تجريبياً، ومن ذلك فإن الاستقراء هو كل استدلال ينبثق من الخاص إلى العام، ويعتمد الدليل الاستقرائي الاستنتاج العلمي القائم على أساس الملاحظة، والاستنتاج القائم على أساس التجربة بالمفهوم الحديث للملاحظة والتجربة<sup>(1)</sup>.

وجاء تعريف الاستقراء عند أرسطو هو " الطريق من الأمور الجزئية إلى الأمر الكلي"<sup>(2)</sup>، وهذا ما ذهب إليه الغزالي في تعريفه للاستقراء، هو " أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلية تحت معنى كلي حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به"<sup>(3)</sup>، وعرفه المظفر بأنه " يدرس الذهن عدّة جزئيات فيستنبط فيها حكماً عاماً"<sup>(4)</sup>، وبذلك يكون تحصيل القاعدة العامة والوقوف على الحكم الكلي لا يكون إلا بعد فحص الجزئيات واستقرائها، فإذا كانت متحدة في الحكم يمكن تلخيص القاعدة، أو الحكم الكلي<sup>(5)</sup>. ويأتي الاستقراء في أمثلة كثيرة من نصوص "نهج البلاغة"، منها قوله "عليه السلام":

"وآخر قد تُسَمَّى عالماً وليس به، فأقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونَصَّب للناس أشراكاً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يُؤمّن الناس من العظام، ويُهَوّن كبير الجرائم، ويقول أقف عند الشبهات، وفيها وقع، وأعتزّل البدع، وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيضد عنه، فذلك ميت الأحياء"<sup>(6)</sup>.

وتأتي البنى (فاقتبس جهائل من جهال)، ومعطوفاتها بعدها جزئيات، وهي مصادر أدلة تفسير موضوع الاستدلال في النص الخطابي (وآخر قد تُسَمَّى عالماً وليس به)، فاستقراء هذه الجزئيات التي تتحد في الحكم على سلبية سلوك هذا النوع من الناس إلى استنباط الحكم الكلي (فذلك ميت الأحياء)، وهي نتيجة موضوع الاستدلال.

(1) ينظر: الاستقراء والمنهج العلمي: محمود فهمي زيدان، دار الجامعات المغربية الاسكندرية ط1، 1977: 27

(2) المنطق: أرسطو: 507.

(3) معيار العلم: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: مقدمة سليمان دنيا، مطبعة دار المعارف، مصر، 1961م:

102.

(4) المنطق: المظفر: 247/2.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 247/2.

(6) نهج البلاغة: خ181/86.

ومن ذلك كله فيمكن للباحثة أن تتخذ طريقها في موضوع الاستدلال في نصوص "نهج البلاغة" بالسياقات التي توازي طريقة البحث الاستدلاليّ على وفق المباحث التي تُعرض؛ إذ يتنوع البحث الاستدلاليّ بتنوع مادّة البحث، ثمّ بيان مصادر أدلة ذلك الاستدلال التي توازي المقدمات في البحث الاستدلاليّ في علوم الأصول والفقه، وهي تمثل الحدود، أو (مباحث الحجّة) التي تؤدي إلى إثبات المطلوب، وهي نتيجة موضوع الاستدلال للخلوص إلى السمة البرهانيّة المهيمنة في النصّ الخطابيّ في "نهج البلاغة".

## الفصل الأول

# اللغة والإيقاع

## المبحث الأول

### المستوى الإفرادي

- . مدخل: الكلمة وخصوصية الاستعمال .
- . الخصائص اللغوية في بني الاستدلال .
- . أولاً : التناسب والاقتران في الألفاظ.
- . ثانيا : المعنى الأصلي والمعنى السياقي للمفردات ( التغير الدلالي ) .
- . ثالثاً : علاقات الاشتقاق في الألفاظ .
- . رابعاً :المشترك اللفظي .

## المستوى الإفرادي الكلمة وخصوصية استعمالها

إنَّ البحث في الأصول التاريخية لصيغ الألفاظ، ومعانيها عند وضع اللغة . غاية لا تدرك، وعلى الرغم من أنَّ علماء العربية . ومنهم ابن جنِّي . كان قد ربط اللغة بالصوت<sup>(1)</sup>، كما فعل فريق من المحدثين الغربيين، ومنهم "جسبرسن"<sup>(2)</sup>، لكننا هنا نبحث في أهميَّة الكلمة، أو خصوصيَّة استعمالها في النصِّ؛ لكون النصِّ تشكيلا لغويَّة ذات معنيَّ تستهدف الاتصال . وليس من الضروريِّ أن ندرس النصِّ بوصفه كيانا لغويا قائما بذاته، ومستقلا بسياق ما فحسب، إنَّما نتحرَّى أيضا . وقبل كلِّ شيء . العناصر الأساس التي تتكوَّن منها جمل النصِّ، أو هي الكلمات، أو أية مجموعات لغويَّة تحقق أهداف الاتصال . ذلك أنَّ الكلمة تخضع لنظام معيَّن، فهي تبقى وحدة من العناصر التي يقوم كلُّ منها بإسهام معيَّن؛ لتحقيق وظيفة المجموع<sup>(3)</sup> .

ولما كانت اللغة نظاماً من الرموز المختلفة التي تشير إلى أفكار مختلفة<sup>(4)</sup>، فإنَّ الكلمة: " أصغر وحدة ذات معنى للكلام واللغة " <sup>(5)</sup>، فقد تعدَّدت آراء العلماء في تصنيفها . فمنهم من عُني بوظيفتها بوصفها وحدة المعنى، أو أنَّها أصغر صيغة حرَّة، وهذا ما عبَّر عنه اللغويُّ: ( بلومفيلد )، وقد صرَّح ( ل . ر . بالمر ) بأنَّها أصغر وحدة كلاميَّة قادرة على القيام بفعل ناطق تامٍّ، ورأي آخر يرى أنَّ معنى الكلمات هي مقابلات استدلالية، وأنَّ تناظر الأصوات هو الفيصل في الأمر<sup>(6)</sup> وحقيقة: " أنَّ النصَّ الإبداعيَّ يهدف إلى الوصول بالكلمة إلى كامل قوتها، وإيحائها " <sup>(7)</sup>

ف : " اللغة نظام إشاريِّ وسميولوجيِّ، والكلمة إشارة تقف في الذهن على أنَّها دالٌّ يثير في الذهن مدلولاً؛ هو صورة ذهنيَّة لموجود عينيِّ، وهذا الحدث هو الدلالة، ومن المهمَّ أن نقرَّر طبيعة الكلمة بصفاتها إشارة، فالكلمة بهذا المفهوم ليست اسماً لشيء تنصَّ عليه، وإنَّما هي:(صورة

(1) ينظر: الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنِّي(392هـ)، تح محمَّد عليَّ النجار، بيروت: 33/1.  
(2) ينظر: دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م: 68-69، و البنى النحوية: نعوم جومسكي، تر: ديونيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م: 17.  
(3) ينظر: مدخل إلى لغة علم النص: إلهام أبو غزالة، وعليَّ خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م: 9.  
(4) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي: د.صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م: 23.  
(5) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، تر د.جمال محمَّد بشر، مكتبة الشباب، ط10، 1986م: 49.  
(6) ينظر: المصدر نفسه.  
(7) المعرفة اللغوية وتفسير النصِّ القرآني: د.زهير غازي زاهد، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م81 ج4 لسنة 2006م: 806.

صوتية وتصوّر ذهني؛ دالّ ومدلول )، وكلّ كلمة تُنطق تحمل هذين القطبين معها؛ قطب الصوت، وقطب الدلالة، ويختلف تركيز المتكلم على هذين القطبين حسب غرضه من المقولة " (1) . وليس للكلمات صفات مخصوصة، فلكلّ كلمة: " مجال من التأثيرات الممكنة يختلف طبقاً للظروف التي توجد فيها.. والتأثير الذي تولده الكلمة فعلاً عبارة عن توفيق بين أحد تأثيراتها الممكنة والظروف الخاصة التي توجد فيها" (2).

أمّا الطاقة التي يصبغها الأديب، أو الكاتب على الكلمة؛ فهي التي تجدد قيمتها، وذلك من الكيفية الخاصة التي يتعامل بها؛ إذ " تبتدى هذه الكيفية في طرائق مخصوصة تؤلف بين الكلمات وتتظلمها؛ للوصول إلى أنظمة، وأنساق، وتراكيب، وأبنية تفجر الطاقة ( الشعرية ) في الواقع، وتخلق موازاة رمزية لهذا الواقع" (3)، فالكلمات أدوات الأديب التي يركن إليها دائماً، أو يبدلها بغيرها بحسب ما يريد لها من معنى، وهي من سننه، أو تقاليده الفنية التي تدركها بالتواصل في عمله الأدبي كله.

ولا تتعين قيمة الكلمة إلا في سياقها النصي؛ إذ " إنّ الكلمة توجد في كلّ مرّة تستعمل فيها في جوّ يحدّد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوّعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسياق . أيضاً . هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية " (4)، فكلّ مفردة تكتسب طبيعة خصائصها من كونها داخل هذه البنية أو تلك، وهو ما يسمّيه عبد القاهر الجرجاني ( النظم ) (5)؛ إذ تكتسب الألفاظ قيمتها بمقابلتها مع غيرها من الألفاظ الأخرى السابقة، أو اللاحقة عليها (6)، وأتّه لا قيمة للكلمة في ذاتها وإمّا قيمتها التعبيرية بمجاورتها لغيرها(7)؛ وذلك إذا أحكمت أطرافه فإنّ الدلالة المميّزة لهذا الرمز اللغويّ تظهر سواء أكانت مجازاً قديماً بالياً، أم مجازات قريبة عصرًا (8) .

(1) تشريح النص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة : د. عبد الله الغدامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987م: 12.

(2) مبادئ النقد الأدبي: إ. ا. ريتشاردز، ترجمة وتقديم، د. مصطفى بدوي، مراجعة د. لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة، ب ت: 190-191.

(3) مداخل إلى علم الجمال الأدبي: د. عبد المنعم تليمة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978م: 99.

(4) اللغة: ج. فنديريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، ب د، ب ت: 231.

(5) ينظر: دليل الناقد الأدبي: د. ميخائيل الرويلي، ود. سعيد البازعي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000م: 36.

(6) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي: 36.

(7) ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، تح. د. محمّد التنجي، ط1، 1995م: 55.

(8) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية: د. فايز الداية، دار الفكر، ط1، 1405هـ- 1985م: 82.

## أولاً : التناسب والاقتران في الألفاظ .

وردت تعريفات عدّة لـ ( التناسب )، وبعضهم يطلق عليه: ( مراعاة النظر ) ؛ فقد جاء عند السكاكي ( 626 هـ ) أنّه عبارة عن: ( الجمع بين المتشابهات ) (1)، واتضح معنى التناسب في قول السجلماسي ( 704 هـ ) أنّه: " تركيب القول من جزئين فصاعداً، كلّ جزء منها مضاف إلى الآخر، ومنسوب إليه بجهة من جهات الإضافة، ونحو من أنحاء النسبة " (2) و ( التناسب ) تركيب المعاني المتأخية التي تلائم ولا تتنافر، ويسمى التشابه . أيضاً . .

فقد نقل النويري ( 733 هـ ) في كتابه ( نهاية الأرب في فنون الأدب ) هذا المعنى: فقال: " إنّ تكون الألفاظ غير متباينة، بل متقاربة في الجزالة، والرقّة، والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها، من غير أن يكون اللفظ الشريف للمعنى السخيف، أو على الضدّ، بل يصاغان معاً صياغة تناسب وتلاؤم " (3) .

وقال القزويني ( 739 هـ ) فيه: " ومنه مراعاة النظر، وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضادّ " (4)؛ لقوله تعالى: " الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ " (5) . وبعضهم الآخر يسمّيه: ( تشابه الأطراف )، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو قوله تعالى: " لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (6)، فاللطف هنا يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً (7) .

وجاء في ( معاهد التنصيص على شواهد التلخيص )؛ إذ أضاف على المعاني المتقدمة في التناسب؛ قال: " مراعاة النظر، ويسمى: ( التناسب )، و ( التوافق )، و ( الائتلاف )، و ( المؤاخاة )، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضادّ؛ لتخرج المطابقة " (8) . أمّا التناسب في القرآن الكريم فأبرز من أشار إليه وتكلم عليه: ( محمّد الطاهر بن عاشور )، في تفسيره: ( التحرير والتنوير ) .

(1) مفتاح العلوم: 662.

(2) المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو القاسم السجلماسي (704هـ) تقديم وتحّ علال الفاسي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1400هـ-1980م: 518.

(3) نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (733هـ)، تح سعيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2004م: 4483 .

(4) الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبد الله محمّد بن سعد الدين بن عمر القزويني (739هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م: 323.

(5) الرحمن: الآية/5 .

(6) الأنعام: الآية/103 .

(7) الإيضاح في علوم البلاغة: 324.

(8) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي (963هـ)، تح محمّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ - 1947م: 230/2.

فعلى سبيل المثال . لا الحصر . ما جاء في قوله تعالى : " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ " (1)؛ إذ ورد في تفسير: ( أنى )؛ وهو اسم استفهام يراد منه التعجب قصد به تعرف إمكان الولد، فلا يكون قوله تعالى: " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ " (2) إلا تطلباً لمعرفة كيفية ذلك على وجه يحقق له البشارة، وليس في الشك في صدق الوعد، فأجيب: إنَّ الممكنات داخله تحت قدرة الله تعالى . وإن عرَّ وقوعها في العادة .، وجاء: ( أنى ) فيه بمعنى: ( كيف )، أو بمعنى: ( المكان )؛ لتعذر عمل المكانين اللذين هما سبب التناسب، وهما : الكبير، والعقرة (3) .

وفي قوله تعالى : " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَالْحَمُّ الْخَنزِيرُ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمِ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ " (4) يعدُّ الشأن في العطف هو التناسب بين المتعاطفين؛ إذ يجزم على أنَّ المعطوف من نوع المتعاطفين الذي قبله . وهو المحرم أكلها .، والمراد في هذا المقام: النهي عن أكل اللحم الذي يستقسمون عليه بالأزلام هو لحم جزور الميسر الحاصل بالمقامرة (5) .

ومن الشعر العربي قول النابغة :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب (6)

إذ وضع الممدوح بين الملوك موضعاً يناسب وضع الشمس بين الكواكب؛ لجامع الرفع، والسمو، والسيادة، وفي قول المتنبي:

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود (7)

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود (8)

فوضع الأنا في أمته يناسب وضع صالح في ثمود في البيت الأول، ثمَّ إنَّ وضع الأنا يناسب وضع المسيح بين اليهود في البيت الثاني .

(1) آل عمران/ من الآية 40.

(2) آل عمران/ من الآية 40.

(3) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة التونسية، 1997م، (عدد الأجزاء: 30) : 242/3.

(4) سورة المائدة: الآية: 3.

(5) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 96/6.

(6) ديوان النابغة الذبياني، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ب: ت: 74.

(7) ديوان المتنبي: شرح أبي الحسن علي بن أحمد الواجدي النيسابوري (468هـ)، مكتبة المتنبي، بغداد، د: ت: 35.

(8) المصدر نفسه: 32.

وهناك التناسب في الجنس، أنشد امرؤ القيس:

له أَيْطَلًا ظَبِيٍّ وَسَاقًا نَعَامَةً      وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْقُلٍ<sup>(1)</sup>

ويتم هذا التناسب نتيجة انتماء عناصر لغوية إلى الجنس نفسه قبل الانتماء إلى جنس الحيوانية كما في بيت امرئ القيس .

وأمثلة التناسب كثيرة في كتاب: " نهج البلاغة " يستعرض الباحث منها :

'فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا، بَغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا. ثُمَّ زَيْنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ النَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا<sup>(2)</sup> مُسْتَطِيرًا<sup>(3)</sup>، وَقَمَرًا مُنِيرًا: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ"<sup>(4)</sup>

ورد موضوع خلق السماوات السبع موضوعاً استدلالياً في النص المتقدم، وجاءت ألفاظ التناسب في الجملة الفعلية: ( زَيْنَهَا بِزِينَةِ ) المعطوفة على الجملة الفعلية: ( جَعَلَ )، وهي مصادر أدلة الاستدلال.

إن وقوع التركيب اللفظي: ( زَيْنَهَا بِزِينَةِ ) في موضع التناسب؛ إذ قاله الإمام "عليه السلام" في موضع التعليق، ولم يقل: "عليه السلام" "علق، أو وضع، أو خلق؛ لأن لفظ: ( التزيين ) يتناسب مع: ( الزينة )، ثم إنّه يتناسب مع ضياء الكواكب المكونة لهذه الزينة، وهي السراج المستطير، والقمر المنير.

إنّ هذا التلاؤم والتآخي بين المعاني يُحدث صورة فنيّة في ذهن السامع، تؤدّي إلى وظيفة إقناعيّة في إدراك عظمة الخالق تعالى، وإتقان صنعه .

وهذا هو الأثر الذي تحدّث به: (الغذامي)؛ إذ: "هو القيمة الجماليّة التي تجري وراءها كلّ النصوص، ويقصدها كلّ قراء الأدب، وأحسبُهُ هو(سحر البيان)الذي أشار إليه القول النبوي الشريف " (5) .

وفي نصّ آخر قال "عليه السلام" :

(1)ديوان امرئ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، ب ت: 21.

(2) سراجاً: الشمس، ينظر: لسان العرب: مادة: (س ر ج) .

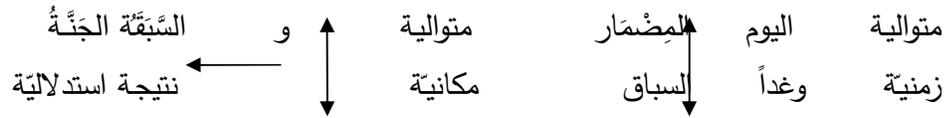
(3)المستطير: الذي انتشر ضوؤه، ينظر: لسان العرب: مادة: (ط ي ر) .

(4)نهج البلاغة: خ: 38-39.

(5)الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر - د.عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1405هـ-1985م: 53 .

" أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أُدْبِرَتْ، وَآدَنْتَ بَوْدَاعَ، وَإِنَّ الأَخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفْتَ بِاطِّلَاعِ،  
أَلَا وَإِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارَ، وَعَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةَ الجَنَّةَ، وَالغَايَةَ النَّارَ؛ أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ  
خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ!"(1)

هذا النصّ يتضمّن رؤية ضدّية للدنيا، بفنائها، وزوالها، وقد وقع التناسب في لفظ: (المِضْمَار).  
والتلاؤم بين لفظ: ( السَّبَقَةُ )، ولفظ: ( السَّبَاق )، وهي مصادر أدلة الاستدلال، والمعنى الذي  
خرجت إليه ألفاظ التناسب في العلاقة الزمنية، والمكانية؛ كما يأتي بيانه :



والعلاقة التي خرجت إليها ألفاظ التناسب، علاقة دلالية تقوم على ( التضادّ ) في متوالية أجزائها  
الإمام عليّ " عليه السلام " مجرى التقابل بين ثنائية زمنية اليوم ( الحاضر ) المعلوم / عدّاً ( )  
المصير ( المجهول، وثنائية مكملتها لها، ومرتبطة بها الدنيا ( المِضْمَار ) / والسَّبَاق ( المصير )

ومدار هذه العلاقة الثنائية التضادّية؛ تتناسب مع هذه الحركة الشمولية في تهيئة ذهن  
السامع كلياً إلى حركة الدنيا السريعة التي يجب فيها على الإنسان النظر في أعماله، وتقويمها،  
فاليوم الذي يتبعه الغد فيه إحاطة كلية لمكان إضمار الخيل، وتهيئته للسباق؛ للوصول إلى غاية  
مأمولة في لفظة: ( السَّبَقَةُ ) التي تناسبت مع لفظة: ( السَّبَاق )، فهذه الحركة السريعة  
والمباشرة، تؤدّي إلى غاية يركزها النصّ في ذهن السامع؛ وهو الإسراع بفوز رضوان الله تعالى،  
وهي نتيجة موضوع الاستدلال .

وفي نصّ آخر قال ( سلام الله عليه ) :

" الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ ، مَانِحٌ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشِفٌ كُلِّ عَظِيمَةٍ  
وَأَزَلٌّ . أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا ، وَأُسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا  
هَادِيًا ، وَأُسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا " (2) .

(1) نهج البلاغة : خ 28 / 93 .

(2) نهج البلاغة : خ 82 / 160 .

في النصّ المتقدّم تمثّل كثيرٌ من ألفاظ التناسب، منها ما وقع موضوعاً للاستدلال في: (علا بجوله)،

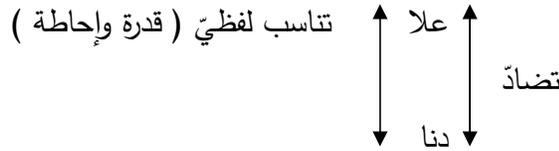
و: (دنا بطوله)؛ أي: (الإحاطة والتمكن).

ومنها ما كانت نتائج استدلال لهذه الإحاطة والتمكن في: (أومِنُ)، و: (أولاً بادياً)، أي: الإيمان المطلق بالبداء<sup>(1)</sup>.

و: (أستهديه هادياً)؛ أي: طلب الهداية من موضعها، و: (أستعينه قادراً قاهراً)، فالاستعانة لا تكون إلا بمن كملت عنده القدرة، و: (أتوكل... كافياً ناصراً)، فالتوكل على من كان مكتفياً بذاته فتتحقق عنده النصر.

إنّ هذه الألفاظ المتأخية المتلائمة؛ كلّ لفظٍ منها جاء (حالاً) مع نوع الفعل الطلبيّ؛ فقد جاءت قواعد كئيّة لتلك الإحاطة، والتمكّن في ألفاظ التناسب البارزة في هذا النصّ، وهي: (علا بجوله)، و: (دنا بطوله)؛ إذ: "كلّما كانت التماثلات، أو المتشابهات، أو المتخالفات قليلاً وجودها، وأمكن استيعابها مع ذلك، أو استيعاب أشرفها، وأشدّها تقدماً في الغرض الذي ذكرت من أجله كانت النفوس في ذلك أشدّ إعجاباً، وأكثر له تحركاً"<sup>(2)</sup>.

إنّ ورود هذه الألفاظ في سياق النصّ، تخرج إلى دلالة أثرت موطن الاستدلال بهذا النسق المتوازي وعمقتها.



فقد تناسب لفظ العلوّ مع القدرة الحركيّة الفوقيّة لله (سبحانه وتعالى)، وتناسب الدنوّ بمعنى القرب مع الإحاطة الكئيّة لخلقه.

هذه الحركة التضادّيّة أثرت دلالة الألفاظ في الوظيفة الإقناعيّة بطرفي البداية والنهاية لهذا الوجود من جهة، ومن جهة أخرى بالإحاطة الشموليّة من الخالق إلى المخلوق.

هذه الدلالات توجّه الذهن إلى أنّ توحيد الله تعالى؛ لا بدّ من أن يتجّه بهذه السعة والشموليّة، والهيمنة؛ ليندمج مع تلك القدرة، والاستطاعة، والإحاطة الربانيّة.

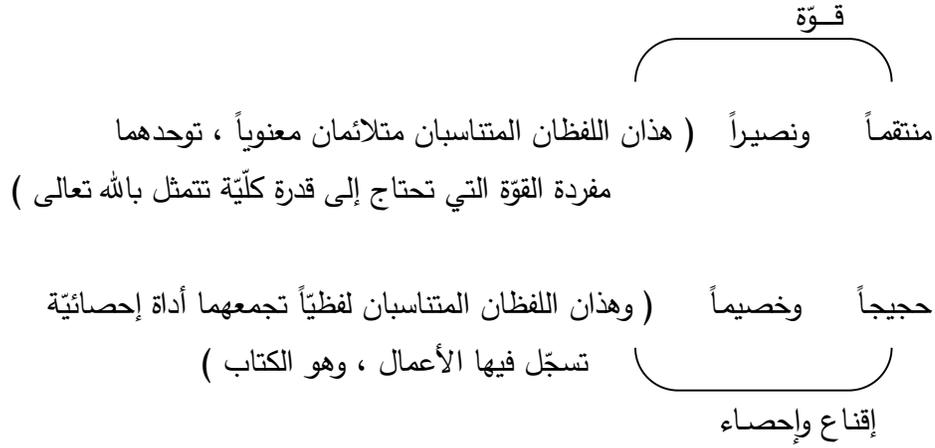
(1) يعرفه المتكلمون: أنّه (إذا أمر الله تعالى بالشيء في وقت مخصوص على وجه معين بمكلف واحد، ثمّ نهى عنه على هذه الوجوه كلّها، فهو بداء): رسائل المرتضى: عليّ بن الحسين الموسويّ الشريف المرتضى (436هـ)، تقديم السيّد أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم، مطبعة سيد الشهداء، 1405هـ: 116/1

(2) منهاج البلغاء وسراج الأديباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (684هـ)، تقديم وتحم محمد بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م: 46.

وفي قوله " عليه السلام " :

" فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبِّ شَعَلٍ التَّقَرُّ قَلْبُهُ ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ ، ..... ، وَنَظَرَ قُدَمًا أَمَامَهُ ، فَكَفَى بِالْجَنَّةِ نُوَابًا وَنَوَالًا ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا ، وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا ، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيبًا وَخَصِيمًا " (1)

جاءت ألفاظ التناسب في هذا النصّ الخطابي؛ كالآتي بيانه :



فيكون التناسب الكليّ في النصّ هو :

( الثواب ) يتناسب مع موضع الجنّة

و : ( العقاب ) يتناسب مع موضع النار

( الانتقام ) ، و : ( نصير ) يتناسبان مع قدرة الخالق

( الحجيج ) ، و : ( الخصيم ) يتناسبان مع قدرة القرآن

فإيراد ألفاظ التناسب في سياق النصّ جعلت من اللفظين؛ ( مننقماً ) ، و : ( نصيراً ) المتضادين يحدثان اشتراكاً معنوياً في توجيه ذهن السامع إلى معنى؛ أنّ مَنْ ينتقم لك . وأنت على حقّ . فهو منتصر لمظلوميّتك، ومنتصر لمظلمتك .

أمّا لفظ التناسب؛ ( حجيباً ) ، و : ( خصيماً ) فقد أدّيا وظيفة إقناعيّة في أنّ الخلق تحصى أعمالهم؛ فتكون لهم برهاناً، وحبّة عليهم من حيث إنّ هذا النوع من البشر صاحب حقّ، وعلى هدئ من أمره، وله من يعينه على تحصيل هذا الأمر .

(1) نهج البلاغة: خ: 169/82 - 170 .

فجاءت ألفاظ التناسب منسجمة، ومتلائمة، ومتأخية حتى برز المعنى في أحسن صورة،  
 و : " مثاله أن تذكر وصفاً من الأوصاف، وتقرنه بما يقرب منه، ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما  
 يبعد عنه كان ذلك قدحاً في الصناعة . وإن كان جائزاً . " (1) .  
 وقوله " عليه السلام "

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا؛ إِذْ  
 لَا سَمَاءَ دَاثَ أَبْرَاجَ، وَلَا حُجُبَ دَاثَ إِزْتَاجَ، ..... ؛ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ، وَوَارِثُهُ، وَاللَّهُ  
 الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ." (2)

يحمل النص في مضمونه رؤية ضدية للزمن بالفناء والزوال، ويدل على وجود الخالق، وأزليته .  
 وجاءت ألفاظ التناسب هنا في : ( بيليان ) ، و : ( جديد ) ، و : ( يقربان ) ، و : ( بعيد )  
 نتائج لمصادر أدلته في آيتي خلق الله تعالى؛ ( الشمس ) ، و : ( القمر ) .  
 ( الشمس والقمر دائبان في مرضاته ) : علاقة اقتران واستمرار

علاقة ضدية

إيراد النقيض لأضداد

استمرارية ( بيليان كل جديد ) (علاقة تناسب ضدي، وهو تناسب جنس)

حال + مستقبل ( يقربان كل بعيد ) (بمعنى أن الشمس والقمر

من جنس واحد وهي الكواكب )

علاقة ضدية

( كل ) + الفعل المضارع - يؤدي إلى - تأكيد تلك الحركة الدؤوب للشمس والقمر ( علاقة  
 ضدية مع تشبيث الأشياء وخلودها )  
 هذه الحركة الدؤوب، والشاملة، والموجهة لما يتقدم من الأزمنة التي أكدتها العلاقة الضدية في  
 إبلاء الجديد .

والعلاقة الضدية في تقريب البعيد؛ كوّنت علاقة جدلية من فناء الموجودات، والبحث عن  
 الخلاص؛ وهو الإيمان المطلق بالله سبحانه وتعالى .

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم  
 الموصلي (637هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م: 276/2.  
 (2) نهج البلاغة: خ: 186/89-187.

## ثانياً : المعنى الأصلي والمعنى السياقي للمفردات .

### التغير الدلالي

إنَّ أوضح الحلول المطروحة لهذه القضية يلخصها ( ويليام راي )، بقوله : " أبسط فكرة للمعنى، إذ تكتسب الكلمة معناها من بنية كتابتها، ومن الطيف المعجمي الذي تضمنته، وباستطاعتنا أن نجد معنى الكلمة في المعجم عن طريق السياق المحيط به، ولكن المعنى . في الوقت نفسه . منوط بالحدث، فأنا أقرّر ما أعنيه، كما أنّ معنى المؤلف يقرره المؤلف نفسه، المعنى بهذا المنظور، إنّما هو من وظائف القصد الذي يدلّي به " (1) .

ويقول: إنّ تسلسل الكلمات لا يعني شيئاً معيّناً إلا إذا استخدمه المرء ليعني به شيئاً ما (2) ، ويعدُّ هذا الحقل من حقول اللغة العربية المهمة الذي يحتاج إلى شرح لمراحل التحوّل وبيانها؛ الذي حصل على مستوى اللغة العربيّة لفظاً، ومعنى .

وجاء عند العرب ومنهم الفارابي ( 339 هـ ) : أنّ أولى الألفاظ التي وضعت للمعاني، هي وضعهم للمعاني المحسوسة الماثلة أمام أنظارهم، وبعد التعرّف على دلالتها في تواتر السماع وتكرار الاستعمال على إرادة الناطق لتلك المحسوسات حصل اقتران بين اللفظ، أو المعنى فكان ممّا اصطلح عليه من ألفاظ، وعلى هذا النحو تكون اللغة نتاج تضافر الجهد الاجتماعيّ، ويتكوّن بها واكتسابها من الأجيال سليقة، ويتكامل ما تعبّر به من أدوات وصل العقل البشريّ إلى وضع الأسس والأصول، والقوانين، والحدود الضابطة لها (3) .

وذهب ابن سينا ( 428 هـ ) في التقريب بين اللفظ في مقام دلالاته اللفظيّة، والمعجميّة، وبين حركيّة اللفظ، ومرونته على صعيد الاستعمال للمعاني الجديدة المتلائمة مع واقع المتكلم . فمن المعروف أنّ كلّ لفظ يدلّ على معنى معيّن ينتقل إليه الذهن؛ وذلك بالتبادل الذي يحدث نتيجة علاقة الألفاظ بمعانيها؛ فقد نقل عن عبّاد بن سليمان الصيمريّ قوله: إنّّه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل: ما مسمّى : ( إدغاخ ) . وهو بالفارسية الحجر . ؟ فقال: أجد فيه يبيساً شديداً، وأراه الحجر (4) . ومنه فإنّ : " اللغات وكذلك سائر الأنظمة الرمزيّة ( العلاميّة ) ترتكز دلالتها في الأساس على المواضع، بمعنى أنّ الناس جعلوا للمدلولات التي أرادوا التعبير عنها دوالاً تقوم بهذه المهمة " (5) .

(1) المعنى الأدبيّ : وليم راي، تر: بيونيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1967م: 10 - 11

(2) المصدر نفسه: 11 .

(3) ينظر: الحروف، أبو نصر محمد بن محمد الفارابي(339هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي، مطبعة دار المشرق، بيروت، لبنان: 86 - 87 .

(4) ينظر: المزهري في علوم اللغة: 1 / 40 .

(5) وصف اللغة العربية دلاليّاً: محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الناجح، 1993م : 30 .

و: " معنى دلالة اللفظ أن يكون أما ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع بهذا المفهوم، فكما أورده الحسن على النفس التفت إلى معناه" (1) .  
إنّ هذا يعني: " أنّ الشيء الموجود في ذهن الفيلسوف هو بناء علامي تواضعي يحقق تصوّره الأول في الواقع الاجتماعيّ في الخطاب في الوقت الذي يخضعه إلى سماته الاجتماعية في نظام اللغة " (2).

إنّ هذه إشارة إلى فكرة المقام الذي قيلت فيه هذه الألفاظ؛ فهي: " تمثل . اليوم . مركز الدلالية الوضعية من حيث كانت مبرزة للجانب الاجتماعيّ الذي تظهر فيه العلاقات والأحداث والظروف المقتضية لإيراد الكلام على صورة مخصوصة " (3).

ومن ذلك؛ فإنّ معنى الكلمة يمكن أن يحدّد من السياق الذي تقع فيه، والذي تقتضيه حاجة الاستعمال إليه، فالعبارات تستمدّ قواها من نظام ضخم من استعمالات كلمات تؤيّدتها في سياقات أخرى. تتمثل ب: " المعنى الذي تدلّ عليه في سياق معيّن دون آخر " (4) .

فالكلمة: " لا بحملها فقط معناها المعجمي، بل هالة من المترادفات والمتجانسات، والكلمات لا تكتفي بأن يكون لها معنى فقط، بل تثير معاني كلمات تتصل بالصوت، أو المعنى، أو بالاشتقاق، أو حتى كلمات تعارضها، أو تنفيها " (5)، وهذا ما يحققه السياق، ومنه :

( 1 ) سياق لغويّ: يشتمل على العلاقات التي يفرزها: ( النظم )، ويدخل فيه الكيفية، وكلّ ما يربط بين كلمتي، أو أكثر في سياق لغويّ .

( 2 ) سياق اجتماع: فيضمّ كلّ ما يتعلق من التنغيم في النطق، والزمن، والمكان، ومكانة المتحدث، ومكانة المخاطب، والعلاقة بينهما، وطبيعة الموضوع، وما يحيط بالموقف من عناصر مادّية، وأخرى معرفيّة (6) .

وهناك المعنى المعجمي، والمعنى القصديّ . وكلاهما يدلّ على معنى الكلمة المعجميّ .، أمّا المعنى السياقيّ؛ فيدلّ على معنى الكلمة في السياق الكلامي (7) .

---

(1) الشفاء ( مجموعة الإلهيات ) : أبو عليّ ابن سينا(428هـ)،تحقّقواني وسعيد زايد،مراجعة وتقديم د. إبراهيم مدكور،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القااهرة،1960 م،(العبارة): 4.  
(2) البحث الدلاليّ عند ابن سينا : د.مشكور كاظم العوادي، مؤسسة البلاغ،بيروت،2000م: 121 .  
(3) البلاغة والأسلوبية: محمّد عبد المطلب،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1984م : 230 .  
(4) منهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث: د.عليّ زوين، دار الشؤون الثقافية،بغداد،1986م : 94 .  
(5)نظرية الأدب: ويليك ودارين،تر محي الدين صبحي، المؤسسة العربي للدراسات والنشر،بيروت،ط1981،م:18.  
(6) ينظر: مقدمة لدراسة التطور الدلاليّ في العربية الفصحى في العصر الحديث: أحمد محمد قدور،مجلة عالم الفكر،م16،ع4،الكويت1986،م:31.  
(7) ينظر: الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجريّ:فانز الداية،دار الملاح،دمشق،1978م : 203 - 204 .

وقد أخذت الألفاظ في سياقات نصوص " نهج البلاغة " معاني ذات دلالات جديدة عما وضعت فيه في الأصل على وفق المقام الذي جاءت فيه هذه الألفاظ، ومنها: (جذآء . طخية . أحجى ) في قوله " عليه السلام " :

" فَسَدَلْتُ دُونَهَا نَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَّاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدُخُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى " (1) .

جاءت الألفاظ التي أشير إليها ( جذآء ، طخية ) في سياق الاستدلال مصادر أدلة في النص المتقدم، وهو الزهد بالخلافة، وغضّ البصر عنها .

ف: ( جذآء ) لغة: " السنّ المكسورة ، ويقال : ( يد جذآء ) ، و : ( رحم جذآء ) ....:مقطوعة " (2)، أما ( طخية )، فال : " طخية عن كراع: الظلمة . وليفة طخياء: شديدة الظلمة " (3) .

أما في سياق النص؛ فقد جاءت لفظة ( جذآء ) لتدلّ على قلّة الناصر، وانقطاع الناس عن اتباع الحقّ وتأييده في مطالبتهم بهذا الحق ، فكان هذا الخيار الأول .

أما الخيار الآخر للإمام " عليه السلام " في هذه المعادلة هو الصبر على الفتنة التي خرجت إليها اللفظة الثانية ( طخية ) .

إذ إنّ من نتائجها هرم الكبير، وتشيب الصغير، فكان من الإمام " عليه السلام " أن يختار ما يلائم العقل والمنطق في حاله تلك، فكان الصبر على الخيار الثاني .

وفي نص آخر جاءت لفظة: ( سحآ ) في قوله " عليه السلام ":

" نَدْعُوكَ حِينَ قَطَطِ الْأَنَامِ، وَمَنْعِ الْعَمَامِ، وَهَلَكِ السَّوَامِ، أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخِذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحآً وَإِبِلًا نُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ." (4) .

جاءت لفظة: ( سحآ ) في سياق الدعاء: (وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق ) وهو موضوع الاستدلال في النص .

ففي اللغة تخرج لفظة: ( سحآ ) إلى: " الصبّ ، والسيلان من فوق " (5)، و : " سحّ الدمع والمطر الماء يسحّ سحآً وسحوحاً، أي : سال من فوق، واشتدّ انصبابه " (1) .

(1) نهج البلاغة: خ 3 / 51

(2) لسان العرب : مادة : ( ج ذ ذ ) .

(3) المصدر نفسه : مادة : ( ط خ ا ) .

(4) نهج البلاغة: خ 114 / 253 - 254 .

(5) القاموس المحيط : مادة : ( س ح ح ) .

وفي سياق النصّ خرجت إلى الصبّ الشديد بقريظة لفظة: (وابلاً) المجاورة لها التي تخرج إلى معنى: (وَبَلَّتْ) السماء. تبل وبللاً ووبولاً: اشتدّ مطرها<sup>(2)</sup>، فيكون هذا التجاور:

### تجاور

سَحّاً ( و ) وابلاً ( قوّة طبيعيّة لها الأثر البليغ في إحياء الميت ورد ما أصابه التلف )

إنّ هذه النتيجة الطبيعيّة المأمولة من أثر لفظة ( سَحّاً ) في سياق النصّ؛ تعدّ معادلاً موضوعياً لنوع الرحمة المطلوبة .

وفي نصّ آخر وردت لفظة: ( فَيَالَةَ ) في قوله "عليه السلام":

"إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَوْا عَلَى سَخَطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا نَمَّ أَحْفَ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيَالَةَ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسِيرَةِ رَسُولِهِ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ." (3)

وردت لفظة: ( فَيَالَةَ ) مصدراً من مصادر أدلة الاستدلال على ( الفئة التي نقضت عهدا لوليّ الأمر)، ففي اللغة جاءت: (فَيَالَةَ)، وقد: " قال الرأي فيولة، وفيل رأيه تقيلاً، أي: ضعفه فهو فيل الرأي " (4).

أما إيرادها في سياق النصّ؛ فتجاوز مفهوم الضعف إلى إلحاق الضرر بالمصالح العامّة لأموال المسلمين؛ نتيجة الرأي الضعيف عن جهالة في الأمور الحرجة؛ من أجل الفتنة، وفيها ضرورة مراجعة كتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) .

وهذا ما آل إليه فعل الإمام "عليه السلام"، وهي نتيجة موضوع الاستدلال، وقد أدرك الإمام عليّ " عليه السلام " خطورة ضعف الرأي في موطن آخر؛ إذ قال:

" واحذر صحابة من يفيل رأيه، ويُتكر عملة " (5) .

(1) لسان العرب : مادة : ( س ح ح ) .

(2) ينظر: المصدر نفسه: مادة : ( و ب ل ) .

(3) نهج البلاغة : خ 167 / 344 .

(4) الصحاح في اللغة العربية والعلوم : مادة : ( ف ي ل ) .

(5) نهج البلاغة : ك 69 / 616 .

ومنه: ( طامن ) في قوله " عليه السلام " :

"أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَضْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عُنُودٍ، وَزَمَنٍ كُنُودٍ،....، فَالْنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةٍ  
أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ.....، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا،  
قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ،  
وَاتَّخَذَ سَبِيلَ اللَّهِ ذَرْبَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ." (1) .

يتضمن النص المتقدم رؤية ضدّية للزمن؛ إذ جاءت لفظة: ( طامن ) من مصادر أدلّة  
الاستدلال لموضوع الاستدلال وهو: ( زوال الدنيا ) .

أمّا لغةً؛ فإنّ لفظة: ( طامن ) تخرج إلى: "المطمئن من الأرض، الأرض المنخفضة، وهي  
المتطامنة" (2)؛ و: " اطمأنت الأرض وتطامنت: انخفضت " (3) .

أمّا المعنى الذي وردت به لفظة: ( طامن ) في سياق النص؛ فما تؤدّيه بنيته الصرفيّة في الفعل  
الثلاثي المزيد بالألف، الذي يخرج إلى معنى: (طلب الفعل عن طريق المزاولة والعلاج) (4).  
أي إنّ المقصود بالنص: ما يضيفه إلى نفسه هذا الفعل، وهو الخفض الذي يخرج إلى دلالة  
التواضع، وليس أصلاً في سلوكه غاية التأثير في الآخر لمصلحة خاصّة، وأكّد معنى هذا الفعل  
ما جاوره في الأفعال المزيدة: ( قارب ، شمّر ، زخرف ، اتّخذ )؛ إذ جاءت هذه الأفعال مزيدة؛  
لتناسب مع حالة التصنّع التي توصف بها هذه الفئة من الناس، وبيان خطورة تأثير تلك الأفعال  
المتصنّعة في الآخر .

وفي نصّ آخر وردت لفظة: ( الظّعن ) في قوله " عليه السلام " :

" أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَأَدَّتْ بَوْدَاعَ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ  
بِاطِلَاعٍ،.....، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَصْرُرُهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِمُ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ  
بِهِ الصَّلَالَ إِلَى الرَّدَى، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ بِالظَّنِّ، وَدَلِلْتُمْ عَلَى الرَّادِ.....، وَتَزَوَّدُوا فِي  
الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحُوزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا." (5)

إذ جاءت لفظة: ( الظّعن ) إشارة معنويّة استدلاليّة إلى ( الفناء ، وزوال الدنيا ) .

(1) المصدر نفسه : خ 32 / 99 - 101 .

(2) القاموس المحيط : مادة : ( ط م ن ) .

(3) لسان العرب : مادة : ( ط م ن ) .

(4) أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1971م : 85 .

(5) نهج البلاغة : خ 28 / 93 - 94 .

لغة: خرجت هذه اللفظة إلى معنى: " ذهب ، وسار " (1)، وفي سياق هذا النص نجد أنها قد اختزلت العبارات التي سبقتها جميعها، التي تعدّ مصادر أدلة استدلالية .



وتتكوّن لفظة: ( ظعن ) من حروف ثلاثة: ( ظ ، ع ، ن ) جاءت منسجمة والألفاظ الأخرى التي وردت في سياق الجمل المتقابلة؛ هي : ( الحقّ ) قبالة : ( الباطل )، و : ( الهدى ) قبالة: ( الضلال )، من حيث قلة الحروف المكوّنة لهذه الألفاظ جميعاً؛ فضلاً عن عظمة قدرها التي تؤوّل إلى نتيجة واحدة، هي : ( الظعن )، وهو : ما يتزوّد به الإنسان إمّا : ( الحق والهدى )، أو : ( الباطل والضلال ) التي تربط بينها علاقة تضادّية أثّرت دلالة: ( الظعن )؛ محققة شموليّة معناه .

ثم إنّ لفظة: ( الظعن ) جاءت منسجمة مع البنية الصحراوية التي دأب الإنسان فيها على الترحال والتنقل؛ لتثري دلالة النصّ بهذا المفهوم، وتوضح مقدرة الإمام " عليه السلام " في اختيار اللفظ العرفي؛ لإيصال المفهوم .

وفي نصّ آخر وردت لفظة: ( اللّدم ) في قوله " عليه السلام " :

" وَاللّهِ لَا أَكُونُ كَالصَّبُعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا، وَلِكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُذْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبِ أَبَدًا " (2) .

ترد فاعليّة دلالة (اللّدم) من أثر العلاقات التي ربطتها بسابقتها من القسم، وورودها ضمن التشبيه التمثيلي؛ إذ أدت إلى تضمين النصّ لتلك الرؤية الضدّية للحق، والخنوع، والعزلة، وهو موضوع الاستدلال.

وفي اللغة يخرج معنى هذا اللفظ إلى ضرب المرأة صدرها . " يقال لدمت المرأة وجهها : ضربته،

(1) لسان العرب : مادة : ( ظ ع ن ) .

(2) نهج البلاغة : خ / 6 / 62 .

وَلَدَمَتْ حُبْرَ الْمَلَّةِ إِذَا ضَرَبْتَهُ" (1) .

وفي سياق النصّ خرجت هذه اللفظة: ( اللَّذْمُ ) بتجاورها مع لفظة: ( الضَّبْعُ ) في علاقة التشبيه التمثيليّ الذي يجمعها إثراء دلالة اللفظ فنّيّاً .

إنّ هذه الصورة الفنّيّة تعكس اتساع لفظ: ( اللَّذْمُ ) إلى حيث ضرب العقل، والوقوع في براثن الجهل، واعتزال الواقع الاجتماعيّ؛ ليتحوّل الموقف إلى مصيدة يقع فيها الإنسان بحمق، وغباء .

ومنه فإنّ الثراء اللغويّ للإمام "عليه السلام" قد اتضح في مفرداته التي كوّنت معجماً ضخماً يرصد التأثير النفسانيّ لجملة المؤثرات اللفظيّة المثيرة لأفراد عصر الإمام "عليه السلام" .

---

(1) لسان العرب : مادة : ( ل د م ) .

## ثالثاً : علاقات الاشتقاق

يعدُّ الاشتقاق وسيلة دائمة للعربية، وبذلك فهي تتطلب منا أن نُحسن فهم حركتها في العربية الفصحى أولاً، ونتمكّن من استعمالها؛ فهي تعطينا طبقات متعددة من الدلالات المميّزة، لكنّها غير منفصلة، ولا تحجب الواحدة منها الأخرى عن المنبع الأوّل (1) .

ثمَّ إنّ للاشتقاق قدرةً كامنة في كيان اللغة العربية؛ إذ ما يزال جزء كبير من المفردات غير مستعمل في حالات الاشتقاق كلّها (2)، وقد ظهر الخلاف بين الصرفيّين والمعجميّين في تسمية هذه الظاهرة، وتعدّى هذا الخلاف إلى المنهج، وإلى طريقة النظر أيضاً (3) .

ويمكن الوقوف على العناصر الرئيسة التي يتحدّد بها الاشتقاق؛ فهو: " ظاهرة لغويّة تتضمّن فكرة التوليد، والتناسب في التركيب، والدلالة المشتركة، والتغاير في الصفة، وملاحظة الأصل والفرع، ومن جهة إجرائيّة يتحدّد الاشتقاق، بأنه مجموعة الطرائق التي يتم على وفقها توليد الوحدات المعجميّة في اللغة " (4) .

وقد حفلت نصوص: " نهج البلاغة " بكثير من المشتقات في أثناء نصوصه، بل هي السمات البارزة فيه، أحدثت فاعليتها في السياق اللغويّ الذي أتت فيه مظهرة ما تؤدّيه من معنى على وفق الصيغة المشتقة

فقد ورد اسم الفاعل في نصوص: " نهج البلاغة " في قوله "عليه السلام" :

" أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عُنُودٍ، وَزَمَنٍ كُنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا، وَيَزِدُّهُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُورًا، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى نَحُلَّ بِهَا. " (5)

الملحوظ أنّ أسماء الفاعلين قد وردت في النصّ؛ وهي: ( المحسن ، مسيئاً ، الظالم )؛ إذ تعدّ من مصادر أدلّة لموضوع الاستدلال ( فناء الدنيا ) .

(1) ينظر: علم الدلالة العربيّ النظرية والتطبيق : 237 .

(2) ينظر:المصدر نفسه : 236 .

(3) ينظر: اللغة العربية - معناها ، ومبناها -:د. تمام حسان،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م : 166 .

(4) فاعلية المشتقات في البنية الأسلوبية للسياق القرآنيّ: حسين خليفة صالح عبد القادر، أطروحة

دكتوراه، 1423هـ - 2003م : 2 .

(5) نهج البلاغة: خ 32 / 99 - 100 .

أما إيراد أسماء الفاعلين في سياق هذا النص؛ فإنّ لفظة : ( المحسن )، ولفظة : ( مسيئاً ) لفظان متضادان متجاوران، قد كثفا الدلالة في هذه العلاقة الضدية؛ إذ يمثلان طرفي المعادلة الحياتيّة التي هي: (الخير)، و : ( الشر )، و فيها إشارة إلى أنّ الإنسان يجبل على الخير .

لكن المجاورة اللفظيّة تعكس مباشرة، وعلى عجلة لحوق الشرّ، وإحاطته بالبشر، وتمكنه من تحويل المحسن إلى مسيء؛ بتأثير قوّة الزمن الكنود. إنّ هذا التحوّل من الإحسان إلى الإساءة يعادله زيادة الإنسان في تلك عتو الظالم .

ثمّ إنّ هذا التحوّل والتكثيف، والمعادلة تتجه باتجاه انحطاط الإنسان في تلك المغايرة الأخلاقيّة، والعمل تحت تأثير القوّة الزمنيّة الضديّة المهيمنة، التي أدّى الأفعال فيها: ( اسم الفاعل ) في النصّ .

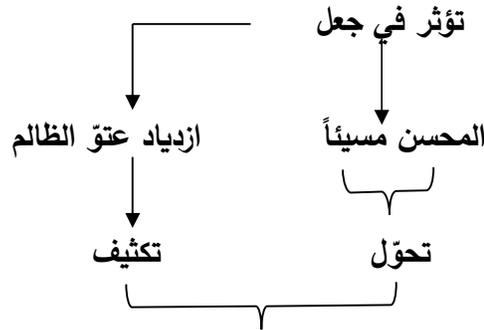
وحدّ : ( اسم الفاعل ) : " الاسم الذي يصاغ للدلالة على الحدث ومن قام به " (1) . إنّ هذه الأفعال تؤديّ إلى الخسران البشريّ في ضياع المعرفة، والوقوع في التوهّم ، وفي سوء العاقبة . فيكون الشكل؛ كما يأتي بيانه :

دهر عنود = زمن كنود

(علاقة تشابه وتضادّ)

أسلوب يتأسّس على إيراد المعنى الواحد بطرائق مختلفة، وهو غاية البيان

وهي تمثل قوّة ضديّة مهيمنة



يؤديان إلى نتيجة واحدة هي : ( الخسران )

فموضع الفعل : ( جعل ) غير السياق اللغويّ إلى تحوّل مضادّ :

المحسن / مسيئاً ← ازدياد عتو الظالم

النتيجة الاستدلاليّة : ( خسران )

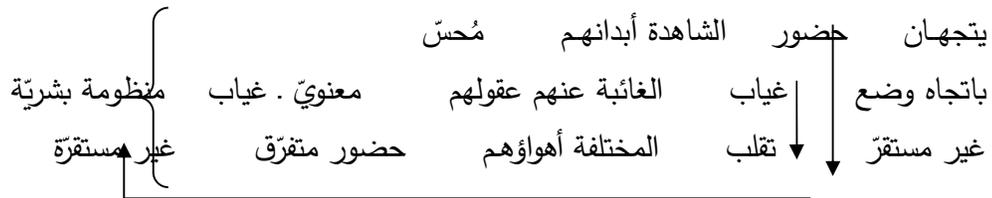
وفي نصّ آخر في قوله ( عليه السلام ) :

(1)المقتضب:أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد(285هـ)، تح محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب،بيروت،ب ت: 99 / 1 ، و ينظر:شرح المفصل:العلامة موفق الدين يعيش النحوي(643هـ)،مكتبة المتنبّي،القاهرة : 6 ، 79، 85 .

"وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا،....، أَقْوَمُكُمْ غُدُوَّةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهَرِ الْحَيَّةِ، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوِّمُ. أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ " (1) .

يتضمن النص مفهوم الخذلان، والتقاعس، والإبطاء في نصره الحق موضوعاً للاستدلال؛ فتأتي أسماء الفاعلين: ( الشاهدة ، الغائبة ، المختلفة ) بنيات خبرية وقعت موقع المنادى، تؤكد النتيجة الاستدلالية المتمثلة بعبارة: ( عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوِّمُ ). وتخرج لفظه: (الشاهدة) في اللغة إلى: الشاهد، أي: "العالم الذي يبين ما علمه" (2). و: ( الغائبة ) لغة : الغيب : "ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب" (3) . على حين أن : ( المختلفة ) تفيد معنى : "الخلاف ، أي : المضادة" (4) .

وفي النص أتت أسماء الفاعلين في سياق الجمل المتجاوزة، التي تربط بينها علاقة تكامل بين ما يصدر عن البدن من فعل مادي، وما يصدر عن العقول والهوى من فعل حسي؛ فتكون بذلك وحدة كلية تمثل المنظومة البشرية، وكالاتي بيانه :



إن هذه المنظومة غير المستقرّة أكدتها أسماء الفاعلين المتقدّمة على فاعلها في سياق النصّ، وقد أفادت نسبة الفعل لفاعله؛ إذ لو أستعملت جملة: ( حضرت أبدانهم )، و : ( غابت عقولهم ) لما كُنّا نعلم . حينئذٍ . لمن الحضور، ولا لمن الغياب، ولكانت الدلالة على الفعل وحده . أمّا الفاعل في النصّ؛ فقد عمل على أن تكون الدلالة: أنّ ثمة فاعلاً لهذا الحضور والغياب . وهو الإنسان . المنادى؛ أي : تلك الفئة التي خوطبت في النصّ، وجاءت مؤكّدة نتيجة الاستدلال في عبارة: ( عَجَزَ الْمُقَوِّمُ ) .

(1) نهج البلاغة: خ 96 / 216 .

(2) لسان العرب : مادة : ( ش ه د ) .

(3) ينظر : المصدر نفسه : مادة : ( غ ي ب ) .

(4) ينظر : المصدر نفسه : مادة : ( خ ل ف ) .

أما صيغة: ( اسم المفعول )، فقد وردت في قوله "عليه السلام":  
 " عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَعَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ؛  
 وَالْمَغْبُوتُ مَنْ عَبَنَ نَفْسَهُ، وَالْمَغْبُوتُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ  
 مَنْ أَخْذَعَ لِهَوَاهُ وَعُرُورِهِ. (1) .

الملحوظ في النص استعمال اسم المفعول: ( المغبون )، واسم المفعول: ( المغبوط ) في سياق  
 الجملتين المتضادتين في المعنى الكلي للألفاظ التي تتضمنها .

ويشير الجانب اللغوي إلى أن معنى: ( المغبون ) : عاقبة الأمر، وآخره، و: ( غب الأمر ) :  
 صار إلى آخره (2) . أما لفظ: ( المغبوط ) لغة؛ فأخوذ من: " الغبطة : المسرة، وقد أغبط الرجل  
 ، يغبطه، غبطاً، وغبطة : حسده " (3) .

وفي سياق النص ورد اسما المفعولين نتيجة استدلالية في : ( النصيحة ) التي تمثل نهجاً  
 واضحاً للسلوك الصائب المؤدي إلى حصيلة كريمة؛ هي الفوز بالسعادة الأبدية؛ وهي : ( رضا  
 الله ) تعالى .

ورد اسما المفعولين في الجملتين المتجاورتين المتضادتين :

علاقة	↑	[	المغبون : مَنْ عَبَنَ نَفْسَهُ	]	علاقة
تضادية	↓		المغبوط : مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ		تضادية

فالمغبون . في سياق النص هو . : محصلة وقوع الغبن على نفسه؛ نتيجة فعل الذات نفسها ،  
 دلّ على ذلك مجيء الفعل : ( عَبَنَ ) المبني للمعلوم بعد الاسم الموصول: ( مَنْ )، الذي  
 يعرف حقيقة المغبون، فتكون بذلك العلاقة مباشرة بين وقوع الغبن وفاعله .

أما المغبوط . ضمن سياقه في هذا النص . فيخرج إلى المُستحق؛ لأن يحسده الآخرون على ما  
 ينعم به من سعادة؛ نتيجة سلامة دينه .

وقد جاء الفعل: ( سَلِمَ ) فعلاً مبنياً للمعلوم، فيكون اسما المفعولين، وهما وصفان يؤخذان من  
 فعل مضارع مبني للمجهول؛ للدلالة على من وقع عليه فعل الفاعل (4)؛ ليدلا على التجدد

(1) : نهج البلاغة: خ 85 / 178 .

(2) ينظر : لسان العرب : مادة : ( غ ب ب ) .

(3) المصدر نفسه : مادة : ( غ ب ط ) .

(4) ينظر : الكتاب(كتاب سيبويه):أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(180هـ)، تح وشرح عبد السلام محمّد  
 هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1977م : 67 / 4 .

والحدوث<sup>(1)</sup>، وقد وردا متقدمين في الجملتين؛ للدلالة على تخصيصهما، وعلى تأكيد أهميّة كل منهما في نتيجة المعادلة السلوكيّة .

أمّا العلاقة التصاديّة في اسمي المفعولين؛ فقد أثرت دلالة السياق في موارد ذلك النهج ضمن المعادلة السلوكيّة .

وفي نصّ حكمته " عليه السلام " قال :

" يا أشعثُ : إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ ، وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ ، وَأَنْتَ مَأْزُورٌ " (2) .

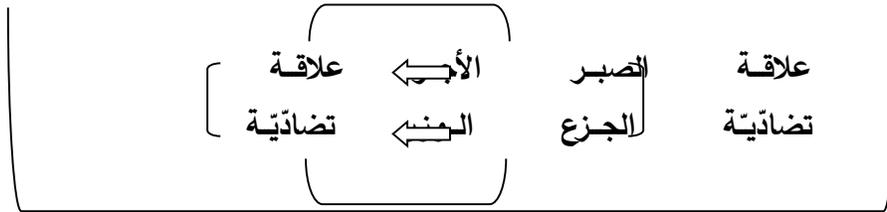
هذا النصّ يتضمّن جملتي شرط : ( إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ )، و : ( إِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ )، وهاتان الجملتان تمثلان مسلكين حياتيين، يتمثلان ب : ( الصبر )، و : ( الجزع ) ؛ وهما موضوعا الاستدلال .

يترتب على كلٍّ منهما نتيجتان كليّتان، هاتان النتيجتان تسايران هذين المسلكين؛ وهما : ( الأجر ) ، و : ( الأزر )، وهما نتيجتا الاستدلال .

ويخرج المعنى اللغويّ ل : ( الأجر ) إلى : الجزاء على العمل ، والثواب<sup>(3)</sup>، على حين يخرج معنى الوزر لغةً إلى : الذنب ؛ لنقله<sup>(4)</sup> .

وفي النصّ ورد اللفظان في سياق النتائج المحصّلة لمسيرة حياتيّة؛ تشمل عمر الإنسان كلّهُ، فيقع الأجر؛ نتيجة الصبر، ويقع الوزر؛ نتيجة الجزع ضمن هذه المعادلة :

### توافق



### توافق

#### المسلك الحياتيّ للبشر

إنّ هذه العلاقة التصاديّة جمعت بين موضوعي الاستدلال، ونتيجة كلٍّ منهما في سياق جملتي الشرط يعطيان دلالة واحدة؛ تتمثل بحركة السنن الإلهيّة، وأثرها في الذات الإنسانيّة؛ نتيجة فعل الإنسان نفسه .

(1) ينظر : معاني الأبنية في العربيّة: د.فاضل صالح السامرائي، ط1، 1401هـ - 1981م : 59 .

(2) نهج البلاغة: ج 293 / 694

(3) ينظر : لسان العرب : مادة : ( أ ج ر ) .

(4) ينظر : المصدر نفسه : مادة : ( و ز ر ) .

وتكمن فاعليّة اسمي المفعولين في النصّ في الإشارة إلى النتيجة الواقعة على الإنسان، والمترتبة على فعله، وعليه فإنّ مجيء كلّ منهما في سياق الجملة الشرطيّة توجّه الذهن إلى أنّ هناك إمكان اختيار بشريّ تجاه قوّة القدر المهيمنة .

وجاءت أوزان صيغ المبالغة في " نهج البلاغة " في مواضع متعددة، منها ما جاء في قوله " عليه السلام":

" أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَافَقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فُجْعَتُهَا، غَرَارَةٌ صَرَارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ " (1) .

فصيغ المبالغة في النص أربع؛ ( غرارة )، و : ( ضرارة )، و : ( أكالة )، و : ( غوالة )، وردت في مواضع استدلال بقصد : ( التحذير من الدنيا ) .

وتأتي للدلالة على المبالغة والكثرة في الحدث المنسوب إلى الذات على وجه يفيد التغيير والحدوث، ويتمثل فيها تأكيد المعنى ، وتقويته، والمبالغة فيه. (2)

والوزن الصرفي لكلّ من هذه الصيغ الأربع ( فعّال ) الذي تتجاوز دلالته صدور الفعل إلى تكراره، وكثرته، وثبوته صفة ملازمة للفاعل ؛ إذ إنّه : " إذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت ، قيل : ( فعّال ) مثل : ( علام )، و : ( صبار ) " (3) .

وتنبئنا معجمات اللغة أنّ: " ( غرارة ) من : ( غرّه ) ، فهو : ( مغرور )، و : ( غرير ) : أي : خدعه،، وأطعمه بالباطل " (4) .

و : ( ضرارة ) من الوجهة اللغويّة قد قيل إنّ : ( الضراء ) : "النقص في الأموال والأنفس، وكذلك الضرة ، والضّارة " (5) .

(1) نهج البلاغة : خ110 / 243 - 244 .

(2) ينظر : المقتضب: 2 / 113 ، و: شرح الرضيّ على الكافية:محمّد بن الحسن الرضيّ الاسترآبادي(688هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط2، 1384هـ : 3 / 422 ، و : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:أبو محمّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري(761هـ)، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م : 3 / 219 .

(3) الفروق اللغويّة: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(395هـ)، تح أبو عمر وعماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية، ب ت: 19.

(4) لسان العرب : مادة : ( غ ر ر ) .

(5) لسان العرب: مادة : ( ض ر ر ) .

أما : ( أَكَّالَة ) لغةً فمعنى: " الأكل : الطَّعْمَة ، يقال ( جعلته له أَكْلًا ) ، أي : طَعْمَة " (1) .  
ويذهب اللغويون في : ( غَوَّالَة ) أنه من : ( غال ) الشيء غولاً، و : ( اغتاله ) : أهلكه ،  
وأخذه من حيث لم يدر " (2) .

على حين أن إيراد هذه الصيغ في سياق النص؛ فإنها أتت مرتبطة بعلاقات الأفعال المنفيّة  
في: (لا تدوم)، و : ( لا تؤمن )، فهذه الأفعال . التي تتضمن معنى الانقطاع للمسرات فيها،  
وانقطاع الائتمان منها . جاءت متناسبة وتينك الصفتين؛ ( غرارة )، و : ( ضرارة )؛ إذ إنّ  
التغيير، والإضرار عاملان ملازمان للملاذ، والعلاقات التي تنتظمها الدنيا .

و : ( أَكَّالَة )، و : ( غَوَّالَة ) يشيران إلى شدة إفناء الحياة واستمرارها للأشياء ، ثمّ إنّ إيراد هذه  
الصفات . بتجاوزها المباشر . تشدُّ ذهن السامع إلى خطورة هذه الصفات الملتصقة بالدنيا، وإنّما  
هي حقيقة شفرات ذات دلالات على رؤية الإمام " عليه السلام " للدنيا، وحميّة زوالها، فالموقف  
منها الرفض، والزهد بها، والتحذير منها مع الاستدلال .  
وفي نص آخر جاء في قوله " عليه السلام " :

"وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُؤْمَةٍ، إِنَّ شَهْدَ لَمْ يُعْرِفْ، وَإِنْ عَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ،  
أَوْلَيْكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى " (3) .

في هذا النص استدلال الزمن؛ لتقرير معنى الانقطاع عن اللهاث من أجل الصيت بالرياء،  
فجاءت صيغة المبالغة ( نُؤْمَةٍ ) على وزن : ( فَعْلَةٌ ) مصدرًا من مصادر أدلة ذلك الاستدلال

وتأتي دلالة هذه الصيغة على صفة من كثر منه الفعل، وصار له كالعادة، نحو : ( ضَحَكَةٌ ) ،  
و : ( هُمَزَةٌ )، و : ( لُمَزَةٌ )؛ لكثير الضحك، والهمز، واللمز (4) ، مثلما جاء في الآية  
الكريمة "وَلِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ" (5)

ولغويًا؛ فإنّ معنى ( نُؤْمَةٍ ) يدلّ على الخمول؛ لذلك : يقال : " رجل نومة : إذا كان خامل  
الذكر، الغامض في الناس، الذي لا يعرف الشرّ، ولا أهله، ولا يؤويه له " (6) .

(1) المصدر نفسه: مادة : ( أ ك ل ) .

(2) المصدر نفسه: مادة : ( غ و ل ) .

(3) نهج البلاغة : خ 102 / 226 .

(4) ينظر : الكتاب : 4 / 359 ، و : أدب الكاتب، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري (276هـ)،  
تح محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية ، مصر، ط 4، 1963م. : 256 ، و : المزهري في علوم اللغة :  
454 / 2 .

(5) سورة الهمزة: الآية/1.

(6) لسان العرب : مادة : ( ن و م ) .

وفي سياق النصّ يأتي لفظ : ( نُومَة ) بمعنى ما يتناسب مع تلك الدنيا كثيرة الإفناء، والتغير، والإضرار، فتكون بذلك واحدة من الحلول والمعالجات في تجنب علاقاتها الغرائزية المدمرة، وجاء لفظ: ( نومة ) صفة للمؤمنين، ولم تكن في سياق النصّ صفة للإنسان بعامه، وبذلك أجملت هذه الصفة بالانزواء ذكراً، وليس عما يتعلق بواجبه العملي مؤمناً .  
وجاءت الصفة المشبهة في ( نهج البلاغة ) أيضاً في نصوص عديدة، منها قوله " عليه السلام : "

" طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضَى مَوَاسِمَهُ، يَصْغُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبِ عُمِي، وَأَذَانِ صُمَّ، وَاللِّسِنَةِ بُكْمٍ؛ مُتَتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْعُقْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيَرَةِ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَصْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ النَّاقِبَةِ؛ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدْ أَنْجَبَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ " (1) .  
وردت ثلاث صفات مشبهة في النصّ المتقدم؛ هي : ( عُمِي )، و : ( صُمَّ )، و : ( بُكْمٍ ) وهي أدلة على ( أنوار الحكمة ) التي تمثل الوعي بحقائق الدين، وفهم أسرار التنزيل، واتباع الحق .

فهذه الصفات تدلّ على العيوب الظاهرة عند أهل اللغة، قال سيبويه : " وقد بينى على : ( أفعل )، ويكون الفعل على : ( فَعَلَ . يَقَعَلُ )، ... ، وذلك ما كان داء وعبياً؛ لأنّ العيب نحو الداء، ففعلوا ذلك كما قالوا: أجرب ، وأنكد " (2) .

أما إيراد هذه الصفات في سياق النصّ؛ فقد خرجت عن معناها اللغويّ إلى معنى آخر مجازي؛ أي معنى وصف العيوب الحسيّة، والإدراكيّة، فمنها؛ القلوب التي لا تتدبّر حقائق التنزيل، والأذان التي لا تسمع حقيقة الموجودات، والألسنة التي لا تنطق بالمقاصد العميقة للنصّ الديني .

(1) نهج البلاغة : خ 107 / 235 .  
(2) : الكتاب : 4 / 25 .

وعلى أساس هذه المعاني فقد صار أصحاب هذه العيوب في سياق النصّ بمنزلة أصحاب العيوب الظاهرة، وهذا يتفق مع ما أكّده الدكتور . فاضل صالح السامرائي أنّ الصفة المشبهة ليست على درجة واحدة من الثبوت (1) .

تمثل هذه الصفات (عُمي، صَمّ، بكم ) انعكاساً لموقف فكريّ للواقع الاجتماعيّ الذي يعيشه الناس في عصر النبيّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" مجسداً بالجهل، والتعصّب القبليّ، والغفلة ، فتأتي بهم إلى مرتبة متدنية في التفكير، وفي النظر إلى الأمور، ووسط هذا الواقع تأتي هذه الصفات المشبهة.

وتتجلى فاعليتها . التي جاءت بنياتها في وحدات متجاوزة . في تكثيف الدلالة، وتوجيهها باتجاه تنبيه السامع، أو المخاطب بإبعاده عن التشبه بمن لا فائدة يربحها من النعم الإلهية التي زوّدها الإنسان، فضلاً عن أنّها بنيات تؤكد نتيجة موضوع الاستدلال في عبارة ( فهم في ذلك كالأنعام السائمة، والصخور الفاسية ) .

وفي نصّ آخر قال "عليه السلام" :

" أَفْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تُحَقِّرُوا مِنْهُ شَيْئاً ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي " (2) .

وردت صفتان مشبهتان؛ هما : ( كبير )، و : ( كثير )، وكلتاها على وزن: ( فعيل ) ؛ إذ يأتي هذا البناء للدلالة على الثبوت في الأوصاف الخلقية، أو المكتسبة، نحو : ( طويل )، و : ( قصير )، و : ( خطيب )، و : ( فقيه ) (3) .

ومثل هذه الصفات مصادر أدلّة لموضوع الاستدلال ( فعل الخير المطلق ) .  
ولغة؛ فإنّ لفظة ( كبير ) تشير إلى أنّه مشتقّ من: " ( كَبُرَ ) يكبر، أي: عظم، فهو كبير " (4) .  
أمّا لفظة : ( كثير ) لغوياً فمعناها يدلُّ على : الكثرة ، أي : "نماء العدد" (5) .

على حين أنّ إيراد الصفتين المشبهتين في النصّ؛ قد أفاد صفات أخرى في الجملتين المتجاورتين، فمن هذه المعادلة :

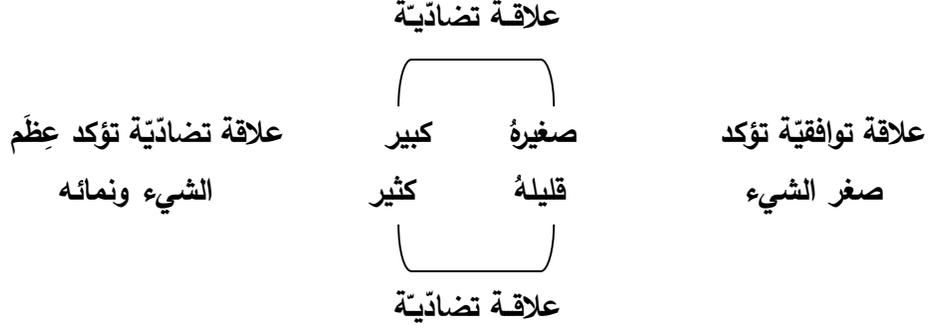
(1) ينظر : معاني الأبنية في العربية : 76 .

(2) نهج البلاغة : ح 720 / 417 .

(3) ينظر : أوضح المسالك: 3 / 243 .

(4) لسان العرب : مادة : ( ك ب ر ) .

(5) المصدر نفسه: مادة : ( ك ث ر ) .



إنَّ هذه المعادلة التي تضمَّنت علاقتي التوافق والتضادَّ، أثرت النصَّ بحقيقة علوِّ شأن فعل الخير، وثبات القيمة الأخلاقية فيه على قلَّته من ورود الصفات المشبهة في سياق النصِّ، ومنه؛ فإنَّ فاعليتها في النصِّ تحثُّ السامع باتجاه الاستزادة من الخير؛ لأهميَّته العظيمة في بناء الإنسان والمجتمع .

وقد ورد المصدر في نصِّ الإمام عليٍّ " عليه السلام " :

"وَأَحْمَدُ اللَّهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ".<sup>(1)</sup>

ورد المصدران الميميان؛ ( مداحر )، و : ( مزاجر )؛ وهما جمع للفظ: ( مدحر )، وجمع للفظ : (مزجر) بصيغة الإفراد .

والمصدر الميميُّ يؤخذ من الفعل الثلاثي المتعدِّي، وغير المتعدِّي على وزن: ( مفعل ) بفتح العين . قياساً مطرداً .<sup>(2)</sup> .

وتحقق في النصِّ استدلال على ( تحديد مواطن الفتن )، وتنتهي إلى تقرير الاستعانة والاعتصام

ففي اللغة تخرج لفظة: ( مداحر ) إلى : " تبعيدك الشيء عن الشيء، والدفع على سبيل الإهانة، والإذلال، والدحور: الطرد ، والإبعاد" <sup>(3)</sup> .

على حين تخرج لفظة: ( مزاجر ) من حيز الزجر إلى: " المنع، والنهي، والانتهاز" <sup>(4)</sup> .

ومؤدَّى النصِّ . بورود هذه المصادر في سياقه . يتجه إلى تلمس الوسائل التي تؤدِّي إلى هزيمة الشيطان، وانتصار الإنسان في صراعه مع قوى الشرِّ المتمثلة بقوة ( الاستعانة ) .

(1) نهج البلاغة: خ 301 / 149 .

(2) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب في علم الصرف أبو الفضل ركن الدين الحسن الاسترأبادي(715هـ)، تج د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1425هـ - 2004م : 1 / 303 .

(3) لسان العرب : مادة: ( د ح ر ) .

(4) المصدر نفسه : مادة: ( ز ج ر ) .

وفي نص آخر، قال " عليه السلام " :  
" الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ ، وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ " (1) .  
يتمثل موضوع الاستدلال في سياق الحكمة بـ ( الظفر )، فضلاً عن كونه يمثل نتيجة .  
وقد وظفت المصادر؛ ( الحزم )، و : ( إجاله )، و : ( تحصين ) بوصفها مصادر لغوية؛ لتدلّ  
على موضوع ( الظفر ) .  
ولغةً تخرج لفظة : ( الحزم ) إلى: " ضبط الإنسان أمره، والأخذ فيه بالثقة " (2) .  
وتخرج لفظة : ( إجاله ) إلى : " الإدارة " (3) .  
وتخرج لفظة : ( تحصين ) إلى : الحصن، وهو: " كلّ موضع حصين لا يوصل إلى ما في  
جوفه )، و : ( حصن حصين ) : من الحصانة " (4) .  
أمّا إيراد هذه الوحدات الصغرى في سياق النصّ، فقد جاءت مكرّرة لتوكيد أهمّيّتها في سياق  
جملها المتجاورة؛ مكوّنة سلسلة منغلقة تتمثل فيها ركائز ثلاث مهمّة في تحقيق ( الظفر )، وهو  
الفوز بما طلبت (5) .  
إنّ هذه الركائز الثلاث : ( الثقة )، و : ( الإدارة المنظمة على أساس المنطق )، و : ( كتم  
الأسرار ) هي التي جاءت في مصادرها؛ إذ إنّ كلّ مصدر يفضي إلى نتيجة عمليّة؛ هي بذاتها  
تعدّ مصدراً، لأنّها تجتمع لتؤسّس قاعدة كليّة منظمة مطلقة للتعامل الإنسانيّ .  
وضمّ " نهج البلاغة " صيغ ( اسم التفضيل )، حيث وردت صيغة ( أفعل ) في قوله " عليه  
السلام " :

" لَا مَالٌ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَحْدَةٌ أَوْحِشُ مِنَ الْعُجْبِ " (6) .

حيث ذكر اسميّ التفضيل ( أعود )، و : ( أوحش ) في سياق النصّ، كون الصيغتين تمثلان  
مصدري أدلة تقرر موضوع : ( العقل ذخيرة الإنسان في الدنيا )؛ إذ إنّها وردت في سياق  
المعادلة الحسيّة التي تضمّنت الجملتين المتقابلتين :

(1) نهج البلاغة : ح 48 / 638 .

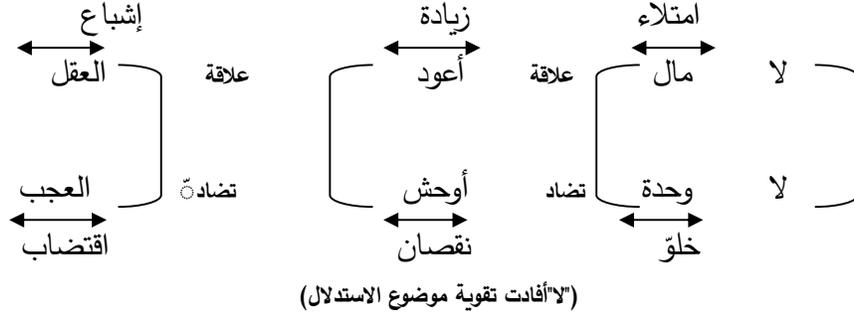
(2) لسان العرب : مادة : ( ح ز م ) .

(3) المصدر نفسه : مادة : ( ج و ل ) .

(4) المصدر نفسه : مادة : ( ح ص ن ) .

(5) ينظر : لسان العرب : مادة : ( ف و ز ) .

(6) نهج البلاغة : ح 114 / 651 .



ولغةً تفيد لفظة : ( أعود ) معنًى مفاده : " يقول هذا الأمر أعود عليك، أي : أرفق بك، وأنفع؛ لأنّه يعود عليك برفق ويسر" (1) .

في حين تخرج لفظة: ( أوحش ) لغويّاً إلى معنى : الوحشة، أي : الفرق من الخلوة، و: (مكان وحش): خالٍ، و : ( أرض وحشة )، أي : قفر" (2) .

أمّا لفظة : ( العجب ) فتخرج في اللغة إلى معنى : " الزهو، وقيل : ( المعجب ) : الإنسان المعجب بنفسه، أو بالشيء، وقد أعجب فلان بنفسه، فهو معجب برأيه، وبِنفسه" (3) .

وتتجّه فاعليّة اسمي التفضيل : ( أعود )، و : ( أوحش ) وهما على وزن : ( أفعل ) التي أشار إليها العرب، واستعملتها في لسانها؛ للدلالة على زيادة صاحبه على غيره في الفعل (4)، إلى تشكيل الثنائيات الضديّة في سياق الجملتين المتقابلتين؛ إذ تخرج كلّ علاقة من هذه العلاقات الضديّة إلى دلالة معيّنة أشير إليها في الرسم التخطيطي المذكور آنفاً، تكون مرتبطة بدلالة العلاقات الضديّة الأخرى .

وقد أكّد حرف : ( لا ) . الذي يفيد استغراق نفي الجنس الذي تكرر في الجملتين . تقوية موضوع الاستدلال ( العقل )؛ كونه القيمة العليا التي تقوّم حركة سلوك الإنسان، فهي : " تفيد التنصيص على نفي الجنس، وهي أكد من : ( لا ) العاملة عمل : ( ليس ) ، أو المهملة" (5) .

وإنّ مجموع هذه التضادّات أثرت دلالة النصّ بتقوية مفهوم موضوع الاستدلال، وشدّ ذهن السامع؛ كونه ركيزة حسّيّة توجّه سلوك الإنسان، وتقيه ضرر ما يرجع عليه لو أصابه الزهو .

(1) لسان العرب : مادة : ( ع و د ) .

(2) المصدر نفسه : مادة : ( و ح ش ) .

(3) المصدر نفسه : مادة : ( ع ج ب ) .

(4) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 3 / 447 .

(5) معاني النحو: د.فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1991م: 4 / 580.

ومن أمثلة اسم الآلة القياسي في نصوص " نهج البلاغة "، قال الإمام " عليه السلام " :  
**" فَأَلَّهَ اللهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَأَجَلَ وَخَامَةَ الظُّلْمِ، وَسُوءَ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مُصِيدَةٌ  
 إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتَهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ"**(1).

تستهلّ النصّ مقدّمة استدلالية ببنية ( الله الله ) التي تؤدّي وظيفة التحذير في النصّ، وتوجّه ذهن السامع إلى موضوع الاستدلال ( الكبر ) .

وجاء اسم الآلة : ( مُصِيدَةٌ ) في سياق النصّ، وهي صيغة قياسية على وزن : ( مَفْعَلَةٌ )، وهذا الوزن من الأوزان القياسية لاسم الآلة؛ لأنّ : " الآلة اسم ما يعالج به، فإنّها تجيء على وزن : ( مَفْعَلٌ ) ، و : ( مِفْعَالٌ ) ، و : ( مِفْعَلَةٌ ) " (2) .

و: ( مصيدة ) مشتقّ من الفعل الثلاثي : ( صاد ) ، ويعدّ مصدرًا من مصادر أدلّة الاستدلال، وفي سياق النصّ جاء لفظ : ( مصيدة ) حسيًا في جملة، نمطها خبري، وهذه الجملة مؤكّدة ب : ( إنَّ ) الحرف المشبّه بالفعل الذي يفيد التوكيد والنصب، وهو يمثل خطورة موضوع الاستدلال ( الكبر )؛ إذ أكّد تلك الخطورة مجيء اسم الآلة في سياق الألفاظ ( العظمى ) اسم تفضيل للمصيدة؛ لبيان قوتها، ولفظة : ( المكيدة ) ، ولفظة : ( السموم ) ، ولفظة : ( القاتلة). هذه الألفاظ جميعًا تؤلّف صورة فنيّة تكثف دلالة المصيدة التي تؤدّي إلى عاقبة وخيمة، وشديدة في إسقاط السوء على الإنسان الذي يلازمه ( الكبر ) .

وتوجّه ذهن السامع إلى وثوبه، وعجالاته في سريانه على قلوب الرجال في بنية التشبيه التمثيلي (مساورة السموم القاتلة)؛ وهي نتيجة الاستدلال .

وقد ورد اسما المكان، والزمان في نصوص " نهج البلاغة " في مواضع متعدّدة؛ فمن اسم المكان قوله " عليه السلام " :

**" مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يُلَومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ "** (3) .

ذكر لفظ : ( مواضع ) وهو اسم مكان، ومفرده : ( موضع ) على وزن : ( مَفْعَلٌ ) . بكسر العين .، وهي صيغة قياسية من الفعل الثلاثي لاسم مكان وقوع الفعل (4) .

وفي سياق النصّ يعدّ مصدرًا من مصادر أدلّة الاستدلال لموضوعه ( التهمة )، وفي سياق النصّ خرج اللفظ من المعنى المكاني الملموس إلى المعنى المجازي الحسي، ف : ( مواضع )

(1) نهج البلاغة: خ 404 / 190 .

(2) شرح شافية ابن الحاجب في علم الصرف : 1 / 317 .

(3) نهج البلاغة: ح 664 / 159 .

(4) ينظر : الكتاب : 4 / 87 ، و : الاشتقاق: عبد الله أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1267هـ - 956م : 243 - 244 ، و شذا العرف في فنّ الصرف: أحمد الحملوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ب ت: 12.

بنية حسية مكثفة تقتصد السلوكيات المبهمه جميعها التي تصدر عن الإنسان، وقد جاءت في سياق الجملة الشرطية التي تحتمل الخيار البشري، ولا توجه عليه .  
فإنَّ لكلِّ فعلٍ عاقبة؛ فإذا صدرت تلك السلوكيات كان الجواب في أن يبعد اللوم على من أساء الظنَّ به، وهي بنية نتيجة الاستدلال .  
وتتجه فاعلية اسم المكان إلى وظيفتها الوعظية؛ وذلك بتوجيه ذهن السامع إلى تشخيص تلك المواضع ( السلوكيات المشبوهة )، وتخصيصها التي توقع سوء الظنِّ عليه، وتجنّبها .  
على حين يرد اسم الزمان في قوله " عليه السلام " :

" بِئْسَ الرَّأْدُ إِلَى الْمَعَادِ ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ " (1) .

ورد اسم الزمان: ( المعاد ) في سياق النصّ موضعاً للاستدلال، وهو من الأوزان القياسية، ووزنه: (مفعول)، مأخوذ من الفعل الثلاثي: ( وعد ) الذي حدث فيه إعلال .  
وتشير المصادر اللغوية إلى أنّ لفظة: ( المعاد ) بمعنى: " ( المصير )، و: ( المرجع )، والمعاد:

(الآخرة)، و: ( الحجّ )، ويقال: ( إلى معاد )، أي: إلى الجنة" (2) .

وفي سياق النصّ تحتمل لفظة: ( المعاد ) اسماً للزمان، كما أشير إلى ذلك في ما تقدّم بقريئة: ( إلى ) ( إلى ) التي تشير إلى نهاية الشيء، وقد تضمّنت المدّة الزمنية في حياته حتى مماته .  
وربّما تحتمل أن تكون اسماً للمكان بقريئة: ( الزاد )، ويجد الباحث في الدلالة الزمنية أمراً راجحاً في هذا المقام .

على حين تتضح فاعلية اسم الزمان: ( المعاد ) في الربط بين بنية: ( بئس الزاد )، وبنية: (العدوان على العباد ) التي جاءت بنية مفسرة لها .

إنَّ هذا الرابط أكدَّ خطورة هذا الذنب العظيم ( العدوان )؛ كونه ذنباً يقع فيه الظلم على الآخر، فيتطلب عفواً، ومسامحة من المظلوم، ويعدُّ هذا من أصعب الأمور؛ لاتباع الإنسان هواه في ذلك .

(1) نهج البلاغة: ح 222 / 674 .

(2) لسان العرب: مادة: ( ع و د ) .

## رابعاً : المشترك اللفظي .

وقع الخلاف بين علماء اللغة العربية قدامى، ومحدثين في تحديد مفهوم اصطلاح المشترك اللفظي، وفي الضوابط التي تحدده<sup>(1)</sup> .

والمشترك اللفظي . عند اللغويين الغربيين . عبارة عن اصطلاحين؛ هما : تعدد المعنى ، والاشتراك اللفظي<sup>(2)</sup> .

إن تعدد المعنى للكلمة الواحدة له أثرٌ في بنية مركبة متعدّدة المستويات؛ إذ يتمثل هذا التأثير في أن يضفي عليها قيمة دلالية موحّدة، يجعلها صالحة لأداء وظائفها على هذه المستويات المختلفة<sup>(3)</sup> .

وبهذا؛ فإنّ معنى الكلمة قد لحقه إمام كبير، وصار من الممكن التطبيق على مدى أوسع، وأشمل<sup>(4)</sup>، ويمكننا ممايزة المشترك اللفظي الحقيقي، وإبراز خصوصيته من بين تلك المعاني المتعدّدة؛ وذلك حين لا نلمح أيّة صلة بين المعنيين، كأن يقال لنا . على سبيل المثال لا الحصر : إن الأرض هي الكرة الأرضية، وهي أيضاً الزكام !!، وكأن يقال لنا أيضاً: إنّ الخال هو أخ للأُم، وهو الشامة في الوجه، وهو الأكمة الصغيرة<sup>(5)</sup> .

وقد أشار صاحب: ( العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ) إلى تعريف المشترك اللفظي في باب: (الاشتراك ) بقوله: " النوع الثاني: أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين؛ أحدهما يلائم المعنى الذي أتت فيه، والآخر لا يلائمه، ولا دليل فيه على المراد " <sup>(6)</sup>، وقد حدّه الأصوليون ب : " أنّه اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة، واختلفت الناس فيه، فالأكثر على أنّه ممكن الوقوع " <sup>(7)</sup> .

وفي اللغة العربيّة . ومنذ وقت مبكر . ظهرت كتب كثيرة تعالج ظاهرة المشترك اللفظي، إذ تعدّدت أوجه الدراسة فيه، فمنه في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي اللغة العربيّة بوصفها كلاً<sup>(8)</sup> .

<sup>(1)</sup> ينظر: فقه اللغة: الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، ب ت: 189 - 190 .

<sup>(2)</sup> ينظر : البنى الأسلوبية في النصّ الشعري دراسة تطبيقية :د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004م : 168 .

<sup>(3)</sup> ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : 232 .

<sup>(4)</sup> ينظر : دور الكلمة في اللغة : 180 .

<sup>(5)</sup> ينظر : دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1963م : 214 .

<sup>(6)</sup> العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني (456هـ) تح محمّد محيي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط4، 1972م: 96 / 2 .

<sup>(7)</sup> المزهر في علوم اللغة : 1 / 292 .

<sup>(8)</sup> ينظر : علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط3، 1992م : 147 .

وقد صنفت جمهرة من اللغويين، والكتّاب مصنفات في ما يشبه المعجم ألفاظ المشترك اللفظي، هذه المصنفات تفاوتت اتساعاً، واختصاراً (1) .

وعند المحدثين ليس: " هناك شيء صعب بالفطرة حول اختلاف المعنى، وليست الكلمات المختلفة فقط هي التي لها معانٍ مختلفة، لكن القضية هي أنّ الكلمة نفسها قد يكون لها مجموعة من المعاني المختلفة، وهذا هو المشترك اللفظي " (2) .

وما يؤكّد هنا أنّ الألفاظ التي يتحقق فيها مفهوم المشترك اللفظي إنّما تتمّ بالسياق الذي وردت فيه، وقد يتنوع السياق بتنوع واقع النصّ، ومجاله (3) .

ففي سياقات " نهج البلاغة " ورد المشترك اللفظي، معطياً معاني مختلفة باختلاف المجال الذي وقع فيه واقع النصّ؛ لتخرج لنا بدلالات تؤدّي إلى تحقيق أغراض الاستدلال في النصّ.

ومن ذلك لفظة:(الأجل) في قوله " عليه السلام " :

" عِبَادُ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا، وَمَقْبُوضُونَ اخْتِصَارًا، وَمُضْمَنُونَ أَجْدَانًا، وَكَائِنُونَ رُفَاتًا، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمَيَّرُونَ حِسَابًا؛ قَدْ أَهْلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهَدُّوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعَمَرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ، وَكَشَفَتْ عَنْهُمْ سُدْفُ الرِّيبِ، وَخَلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ، وَرَوِيَّةِ الْإِزْتِيَادِ، وَأَنَاءِ الْمُقْتَبِسِ الْمُزْتَادِ، فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَمُضْطَرِبِ الْمَهْلِ . " (4)

يتشاكل لفظ: ( الأجل ) في الجانب اللغوي بمعنيين؛

أولهما : يتجه إلى تحديد معنى غاية الوقت في الموت، وحلول الدين، ونحوه .

الثاني : يقرّر معنى: ( مدّة الشيء ) (5) .

أمّا في سياق النصّ؛ فترد لفظة: ( الأجل ) بالمعنى الأول، وهو: ( غاية الوقت ) بقرينة

لفظة:(مدّة):(مدة الأجل ) في النصّ تمثل موضوع الاستدلال، وتؤكدّها تلك المسيرة الحياتية

المفعمة بالحركة من البشر مذ ساعة خلقه، حتى بعثهم بعد الموت وتلقي الحساب .

(1) : ينظر : علم الدلالة العربيّ : 78-81 ، و : التضادّ في ضوء اللغات السامية - دراسة مقارنة - : ربحي كمال، دار النهضة العربية،بيروت،1975م : 5 - 13 .

(2) علم الدلالة - إطار جديد - ف.بالممر،تر: د.صبري إبراهيم السيد،دار المعرفة الجامعية،1995م : 101 ، وينظر : التضادّ في القرآن الكريم :محمّد نور الدين المنجد،دار الفكر المعاصر،بيروت،1999م : 63 .

(3) المجال الدلاليّ بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة :د.عليّ زوين، مجلة آفاق عربية،ع1، كانون الثاني،س17،بغداد،1992م : 73 .

(4) نهج البلاغة :خ 82 / 165 .

(5) ينظر : لسان العرب : مادة : ( أ ج ل ) .

إذ شكلت مجموع هذه البنى: ( مخلوقون اقتداراً، .....، ومميزون حساباً ) صوراً فنيّة ترضع السامع في خضم هذه المدة التي توصله بالموت، فتجعله أمام اختبار إمكان استغلالها في أن ينهج الطرق الواضحة، المؤدية إلى رضا الله تعالى .

فالدلالة الزمنية هنا هي التي حرّكت النصّ باتجاه مقصديّته، وذلك في الحثّ على العمل الصالح الدؤوب في سبيل ملء هذه المدّة .

وهذا المعنى أكّده نتيجة موضوع الاستدلال، بعبارة: ( لو صادفت قلوباً زاكية، وأسماعاً واعية ، وآراءً عازمة، وألباباً حازمة ) .

أمّا المعنى الآخر للفظة: ( أجل ) . وهو الموت .، فقد جاء في سياق هذا النصّ قوله " عليه السلام":

" عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيْالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالزَّرِيَّ بِالظَّمِّ، وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوْا الْأَجَلَ". (1) .

وردت لفظة: ( الأجل ) بمعنى: ( الموت ) في سياق الجملة: (استقربوا الأجل )، التي تمثل مصدرًا من مصادر الاستدلال، وهو : ( تقوى الله )، ومنه؛ فإنّ طلب قرب الأجل بمعنى الموت في سياق النصّ، أكّده تلك الحركة الحثيثة المضنية التي عكستها الجمل التي تتضمن تلك الصور الحافلة بالتعب، والعناء في ما حملته من تشبيه تمثيلي، وهي : ( أسهرت الليالي، أظمأت هواجرهم ) .

فمن يطلب قرب الموت لا بدّ من أن يكون مستعداً لما بعده ، فكان هذا الاستعداد متمثلاً بنتيجة الاستدلال في عبارة : ( فبادروا العمل ) .

وفي موطن آخر تمرّ بنا لفظة : ( أعلام ) في سياق نصّ " نهج البلاغة " في قوله " عليه السلام":

وردت لفظة : ( أعلام ) واقعة في جملة فصل أتت نعتاً للفظة : ( نُومَة ) ، التي تعدّ مصدرًا من مصادر أدلة الاستدلال في النصّ.

(1) نهج البلاغة: خ 113 / 250 - 251 .

"وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ، إِنَّ شَهْدَ لَمْ يُعْرِفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ،  
أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السَّرَى، لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ، وَلَا الْمَذَابِيحِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ  
اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ صَرَاعَةَ نِقْمَتِهِ." (1) .

ومعنى لفظة: ( أعلام ) لغةً . ومفردا علم . : ما يدل على أثر بالشيء يمتاز به عن غيره ،  
والعلم: الجبل (2) .

وفي النصّ تحمل لفظة : ( أعلام ) لغةً معنى : الجبل ؛ لأنّ الساري في الليل تكون علامته  
الجبل في الطريق . أما الدلالة التي خرجت إليه اللفظة في سياق النصّ؛ فهو ( الدوال ) التي  
يتمثل بها الآخرون ، ويقتفون أثرها .

ويتملّس في النصّ رابطة توجهّ الذهن إلى العلاقة الضمنيّة التي تربط بين هذه الفئة من الناس  
المتصفين بالـ : ( نومة ) ، وبين الجبل ، فكلاهما في حال سكون ، وهذا السكون أكدته صيغة  
المبالغة التي أوردت، وهي في حال نفي : ( ليسوا بالمساييح ، ولا المذابيح ) .  
وبنية : ( أعلام ) . بهذه الفاعليّة النصيّة . توجهّ ذهن السامع إلى الحاجة إلى المثال الأخلاقيّ  
الثابت في ظلّ التخبّطات في عوالم الفتن والأهواء .

وتتضح مقدرة الإمام ( سلام الله عليه ) في توليد بنية لغويّة أخرى تكون مادّة يتكوّن منها نصّ  
آخر، يؤدّي إلى معنّى مغاير عن ذات البنية في نصّ آخر، وهذا المعنى الآخر للفظّة : (أعلام)  
ابتعد عن المعنى المذكور في النصّ السابق ؛ إذ قال " عليه السلام" :

" فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ،....، جَعَلَ  
نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا  
ادْلِهَامًا سُجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ " (3) .

حيث وردت لفظة : ( أعلاماً ) لتقيد بياناً استدلالياً على : ( قدرة الله ) . على حين أنّ في اللغة  
تخرج هذه اللفظة إلى: " ما جعل علامة، وعلماً للطرق، والحدود مثل أعلام الحرم، ومعالمه  
المضروبة" (4) . وجاءت لفظة : ( أعلام ) في سياق النصّ إشارة إلى الشواهد والأمارات المادّيّة  
الموضوعة في طريق الإنسان؛ للإفادة منها في حركته اليوميّة؛ إذ أكد هذا المعنى تتابع الألفاظ  
التي تنطوي على المؤدّى نفسه، الذي تتضمنه لفظة : ( أعلام ) ، وهي : ( يستدلّ ، حيران ،  
ضوء نورها ، ادلهام المظلم ) .

(1) نهج البلاغة:خ: 102 / 226 .

(2) مقاييس اللغة : مادة : ( ع ل م ) .

(3) نهج البلاغة :خ: 180 / 365 .

(4) لسان العرب : مادة : ( ع ل م ) .

وجاءت لفظة : ( علماً ) . وهي مفرد ل : ( أعلام ) . في نصوص أخرى أعطت معاني مغايرة، نذكر منها في قوله " عليه السلام " :

" أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمْوًا عِلْمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ " (1) .

يتضمن النص رؤية ضديّة للدنيا ، إذ جاءت جملة : ( أموا علماً ) نتيجة استدلالية في سياق : ( رفض الدنيا ) ، حيث خرجت دلالة : ( أعلام ) في سياق النص إلى المقصد ؛ إذ اكتسبت معناها في علاقة المجاورة مع لفظة : ( أموا ) .

والأَمَّ . بفتح الهمزة . لغة : " القصد ، ويمته : قصدته دون من سواه " (2) ، فيكون معنى : ( أموا علماً ) : قصدوا مقصداً في سياق الصور التشبيهية في النص ، هي : ( كسفر سلكوا سبيلاً ، فكأنهم قد قطعوه ، .... فكأنهم قد بلغوه ) .

على حين تتجه فاعلية هذه اللفظة : ( علماً ) في سياق النص إلى توجيه ذهن السامع إلى أنّ ما يعتقد الإنسان بما لديه من أهداف أخرى يريد تحقيقها ، أو مقاصد يبلغها . فاتجه النص بفكر المتلقي . على اختلاف الأزمنة . إلى أنّ هناك هدفاً واحداً لا بدّ من أن يبلغه الإنسان، وهو الآخرة .

ثم نجد معنى آخر لللفظة : ( علماً ) في نص آخر في " نهج البلاغة " في قوله " عليه السلام " :

" وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، .....، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْمًا مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ. " (3) .

انتظمت لفظة : ( علماً ) في النص المتقدم ملمحاً استدلالياً يشير إلى : ( التمثل بالفدوة ) ، حيث خرجت دلالة هذه اللفظة في سياق النص إلى معنى : ( الولاية ) .

فقد اكتسبت دلالتها من الفعل : ( يرفع ) ، وال ( راية ) هنا تحمل دلالة حسية تمثل : ( القيمة الأخلاقية ) بقرينة الجملة الفعلية : ( ويأمرني بالاقتراء به ) ، وهي نتيجة الاستدلال في النص ، فتتجه فاعلية هذه اللفظة باتجاه مكانة الخلق النبوي من أخلاق الإمام علي ( سلام الله عليه ) ، إذ كان محوراً لها ومرتكزاً؛ كونه التطبيق الأكثر صواباً .

(1) نهج البلاغة : خ 219 / 98 .

(2) لسان العرب : مادة : ( أ م م )

(3) نهج البلاغة : خ 411/190 .

ومن الألفاظ التي وردت في " نهج البلاغة " لفظة : ( عين )؛ إذ قال " عليه السلام " :

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ  
الْبَصِيرِ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أُتْبِتَهُ يُبْصِرُهُ " (1) .  
إذ إن لفظة : ( عين ) تعدّ هنا استدلالاً محورياً على ( ذات الله ) .

على حين أنّ في اللغة تؤدّي معاني كثيرة ومختلفة في الوقت نفسه، وهذه المعاني يحددها  
السياق الذي ترد فيه، والأصل فيها أن تأتي بمعنى: ( الباصرة )، وتستعمل بمعنى: ( نبع الماء  
)، والـ : ( عين ) لفظ يدلّ في بعض معانيه على العضو الذي يبصر به الإنسان، وينظر، ثمّ  
يشتقّ منه، والأصل في جميعه ما ذكرنا .

وهذان المعنيان أبرز معاني هذا المشترك اللفظي، وقد يأتي هذا اللفظ بمعانٍ آخر كـ :  
" (الجاسوس) ، و : ( السحاب ) " (2) .

ارتكز هذا النصّ على استدلال مباشر، يخاطب فيه الإمام ( سلام الله عليه ) العقل بحقيقة  
الوجود الإلهي .

وفاعليّة لفظ : ( العين ) تتجه بالدلالة إلى أنّ الباصرة لا يمكنها أن تحيط بكنه الذات الإلهية  
المقدّسة، وأنّ الذي يمكن له أن يتثبت من وجوده تعالى الشواهد الكونية، والمظاهر المنتشرة في  
هذا الكون الفسيح، وتركيز هذا المعنى في الذهن توطئة لتنفيذه، وتحويله إلى معتقد قلبيّ  
يستدعي أن يشار إلى بصر آخر لديه، وهو مسألة الوعي والإدراك القلبيّ. على حين تفيد لفظة  
: ( عين ) معنىً آخر هو الوارد في سياق نصّ " نهج البلاغة " في قوله " عليه السلام ":

" أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحِ وَعِظْ مُنْعِظٍ، وَامْتَاخُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنِ قَدْ  
رُوفِتْ مِنَ الْكَدْرِ. " (3) .

حيث جاءت لفظة : ( عين ) بقرينتها لفظة : ( صفو ) نتيجة استدلالية لموضوعه، وهو :  
(موطن العلوم الصحيحة ) التي تتمثل بعلم الإمام ( سلام الله عليه )، ويتضمّن النصّ ( صيغة  
طلبية ) في الفعلين ؛ ( استصبحوا )، و : ( وامتأخوا ) ضمن التشبيه التمثيليّ الذي كوّن صورة  
فنيّة مؤكّدة لصحة تلك العلوم ودقتها .

(1) نهج البلاغة:خ 49 / 122 .

(2) مقاييس اللغة : مادة : ( ع ي ن ) .

(3) نهج البلاغة :خ 104 / 229 .

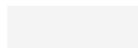
فلفظة: ( عين ) تفيد . لغةً . معنى : "العين الجارية النابعة من عيون الماء ، وإنما سُمّيت عيناً؛ تشبيهاً لها للعين الناظرة؛ لصفائها ، ومائها (1) .  
وفي سياق النصّ اتسعت مداليلها باتجاه فاعلية ( العين )، التي تشير إلى دلالة الصفاء لنبع المعارف في ما يخصّ المسلم، والتي تؤكد الصور التشبيهيّة في النصّ، وهذا يجنّب المسلم التيه والتعثّر في الحياة الدنيا .

---

(1) مقاييس اللغة : مادة : ( ع ي ن ) .

المبحث الثاني

الإيقاع



تعدُّ الأصوات أصل التكوين اللفظي، ومبعثها: ( الحروف )، وقد عدَّ الجاحظ ( 255 هـ ) الصوت : " آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف " (1).

وقد ذكر القاضي الجرجاني ( 392 هـ ) أهميّة الأصوات؛ بقوله : " إنّما الكلام أصوات محلّها من الأسماع محلّ النواظر من الأبصار " (2) .

ويمكن تلمس الرابطة الوثيقة بين الأصوات والإيقاع كون الأخير، مجموعة من أصوات متشابهة تنشأ من الشعر خاصّة، من المقاطع الصوتيّة للكلمات، بما فيها من حروف متحركة وساكنة (3).

والإيقاع " يكون في قالب متحرّك ومنتظم في الأسلوب الأدبي، أو في الشكل الفنّي والإيقاع صفة مشتركة بين الفنون جميعاً تبدو واضحة في الموسيقى والشعر والنثر الفنّي والرقص...، فهو إذن بمثابة القاعدة التي يقوم عليها أيّ عمل من أعمال الأدب والفن " (4) .

إنّ الإيقاع أمر وجدانيّ يدرّكه السامع (5)، وهو " فطرة، حركة غير محدودة، حياة لا تنتهي " (6)، وهو تموج منتظم (7)، وتردد ارتسامات سمعيّة متجانسة بعد مدد ذات مدى متشابهة (8)، وهو إحساس بالتكرار المنتظم لمجموعات، كلّ منها يشتمل على أحداث متشابهة ومتعاقبة " (9) وهو يشترك مع الأداء الذي يتصل بجانب المعنى والفكرة من حيث توضيحها، أو تأكيدها بالعناصر ذاتها وهي النبر، والتزمين، والتنغيم، والتلوين (10) .

ومن ذلك يمكننا أن نتصوّر البنية الإيقاعيّة بأنّها، أوّل المظاهر الماديّة المحسّنة للنسيج الشعريّ الصوتي وتعلقاته الدلالية، التي حدّها "غريماس" بأنّها "إجرامية التعبير الشعريّ" (11) .

ويمكن للفنان الأديب أن يعتمد على الإيقاع باتباعه إحدى طرائقه: التكرار، أو التعاقب، أو الترابط (12).

- 
- (1) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(255هـ)، تح حسن السندوي، المطبعة التجارية الكبرى، ط1، 1926م : 70 / 1 .
- (2) الوساطة بين المتنبي وخصومه: عليّ بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني(392هـ)، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعليّ الجاوي، 1966م : 674 .
- (3) ينظر: الإيقاع في الشعر العربيّ من البيت إلى التفعيلة: د.مصطفى جمال الدين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1394هـ-1974م: 14.
- (4) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس: 71.
- (5) ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف، 1963م: 152.
- (6) زمن الشعر: أدونيس، دار الساقي، ط6، 2005م: 243.
- (7) ينظر: موسيقى الشعر: نازك الملائكة، محاضرات ألقته على طلاب مقرر موسيقى الشعر بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1978م: 11.
- (8) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: جان كاتينو، تر صالح القرماضي، مركز الدراسات والبحوث، الجامعة التونسية، 1966م: 197.
- (9) علم الصوتيات: د. عبد العزيز أحمد علام، د. عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد، 1425هـ - 2004م: 355.
- (10) نفسه.
- (11) أساليب الشعرية المعاصرة: د.صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995م: 21.
- (12) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 71.

## الإيقاع الداخلي

يرتبط الإيقاع الداخلي ارتباطاً وثيقاً بمستوى دلالة الأصوات الألفاظ ضمن سياقها، وهذا يقرّبنا كثيراً من الإيقاع النثري؛ إذ كان محلّ دراسة النقاد القدماء واهتمامهم .  
ف نجد ( أرسطو ) أول من نادى به؛ بقوله : " فأما شكل القول فينبغي ألا يكون ذا وزن، ولا بدون إيقاع، فإنه إن كان ذا وزن فإنه يفتقر إلى الإقناع؛ لأنه يبدو متكلفاً ، وفي نفس الوقت يصرف انتباهه ، إذ يوجهه إلى ترقب عودة سياق الوزن .... ، وإذا كان بدون إيقاع فإنه يكون غير محدود ، بينما ينبغي أن يكون محدوداً ( لكن لا بالزمن )؛ لأنّ ما هو غير محدود لا يسر، ولا يمكن أن يعرف، وكلّ الأشياء محدودة بالعدد، والعدد الخاصّ يشكل القول هذا الإيقاع، والأوزان ( البحور ) أقسام من الإيقاع؛ ولهذا ينبغي أن يكون النثر ذا إيقاع " (1)  
وقد أجمع الباحثون على هذا الإيقاع غير المضبوط بالوزن الذي سبق مرحلة النضج الشعريّ، وإتقانه (2) .

وعليه فإنّ الإيقاع الداخليّ الذي تتجلى صورة ارتباطه بالإيقاع النثري؛ هو : " المادّة الصوتية الموظفة في النصوص الشعرية توظيفاً متنوعاً، والتي تحدث من خلال بعض المفردات واختلافها، وتكرار بعض الحروف ، والجناس بمختلف أنواعه ، والتقسيم وما يتفرّع منه من ترصيع ، وتوازن في الجمل وتوازٍ ؛ لأنّ هذه الأشكال الإيقاعية تخلق بنية إيقاعية داخلية تشحن لغة النصّ ، وتجعلها أكثر عمقا وتأثيراً " (3) .  
وأشار : ( الدكتور . صلاح فضل ) إلى أنّ الإيقاع الداخليّ إنّما يرتبط بالنظام الهارمونيّ الكامل للنصّ الشعريّ (4) . وهذا ما أكّده ( علوي الهاشمي ) في بنية الإيقاع في ممايزته بين : ( الإطار ) ، و : ( التكوين ) ، معتمداً على مفهوم ( حازم القرطاجنيّ ) عن : ( التناسب ) بجعله قانوناً مركباً يحيل النصّ الشعريّ إلى طبقات مترابطة، من شأنها أن تفرز في أعلى مستوياتها سطحاً متشكلاً ناجزاً واضحاً، يتمثل في الوزن ، أو البنية الإيقاعية الإطارية .  
على حين ينحو المستوى التكوينيّ نحو تأسيس بنية الداخل الإيقاعية المتحركة الحية المستعصية على الرصد الخارجيّ، والتقنين النظريّ؛ نظراً لعدم استقرارها على حال محددة؛ إذ

(1) الخطابة : لأرسطو، تر د. عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986م: 211 - 212.

(2) ينظر : جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث النقديّ والبلاغيّ عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للطباعة، بغداد، 1980م : 225 .

(3) البنى الأسلوبية في النصّ الشعريّ - دراسة تطبيقية - : 68.

(4) أساليب الشعرية المعاصر : 22 .

تتحرك في الاتجاهات كلها، حتى تتغلغل في جملة أبنية النص، وتهتزّ بخيوط شبكته المتلاحمة جميعها (1) .

وبناءً على ذلك؛ فإنّ الإيقاع الداخلي يعدّ بنية جوهريّة للنصّ، ولا يقتصر وجوده على النصّ الشعريّ، أو قصيدة النثر، بل هو روح النصّ النثريّ لما للفظّة من جرس، فإنّ الجرس يكون " خصيصة ذاتية محسوسة في بناء اللفظة من خلال تباين أجراس حروفها التي بنيت عليها؛ وتشكل هذه الحروف في ائتلافها، وتتأفرها نغم الألفاظ وقيمتها الحسيّة، مفردة كانت، أو منظومة في سياق التعبير الأدبيّ " (2) .

وقد حفلت نصوص " نهج البلاغة " بالإيقاعات الداخليّة التي أكّدت أثرها في المتلقي؛ حسّاً، وموضوعاً .

وسيقسم هذا المبحث إلى قسمين؛ هما :

أولهما : إيقاع المفردة .

الثاني : إيقاع التركيب

---

(1) ينظر : السكون المتحرك دراسة في البنية والأسلوب تجربة الشعر المعاصر في البحرين نموذجاً : علوي الهاشمي، بنية الإيقاع، منشورات اتحاد أدباء الإمارات، الشارقة، 1992م : 50 .  
(2) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : 170 .

## أولاً : إيقاع المفردة .

### 1 . تناوب العناصر المتشابهة .

#### الجناس

يدخل عنصر الجناس في سياق هذا المفهوم الذي كثر في متون " نهج البلاغة "، محدثاً إيقاعاً؛ لكونه من مظاهر التماثل الصوتي، بل هو أهمها، محققاً مبدأ التناظر والتماثل، فهو : " غرة شادخة في وجه الكلام " (1) ، وقد اجتذب اهتمام الشعراء والكتاب، وتصرفوا بأنواعه المختلفة؛ لما فيه من إثراء موسيقي صوتي، وجمال إيقاعي، وعمق دلالي . وقد كانت بانة مقدرة الإمام علي " عليه السلام " في استعمال أنواعه المختلفة في وضوح أثره النفسي في المتلقي، وتنوع دلالاته بتأديته المعاني المختلفة فيه . ومن أنواع الجناس ما جاء في قوله " عليه السلام " :

" مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ! وَأَخْرُهَا فَنَاءً! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ." (2) .

يتضح الجناس التام في هذا المعنى الخطابي بين : ( أبصر ) الأول، وهو فعل التعقل، أي : من تعقل بها، وجعلها عبرة يتبصر بها، و : ( أبصر ) الثاني، وهو مأخوذ من : النظر، أي : من نظر إليها أعمته .

فالعمل الأول وقع على رؤيته المتعلقة بكشف حقائق الأمور، فكانت الدنيا له آلة كاشفة لهذه الرؤية، والثاني وقعت على رؤيته العينية التي تشغله؛ فتعميه عن الخير .

إن هذا التكرار اللفظي لكلمة : ( أبصر ) ولد إيقاعاً بتكرار الأصوات ذاتها، وقد أدى ذلك إلى تأكيد أهميتها، وإثراء لصلتها الدلالية، وهذا ما أداه التجنيس المتمثل في النص (3) .

أما الجناس غير التام؛ فقد زخرت بها نصوص "نهج البلاغة"، ومن الأمثلة غير القليلة في هذا النوع من الجناس رصدت الآتي بيانه:

(1) المثل السائر: 1 / 241 .

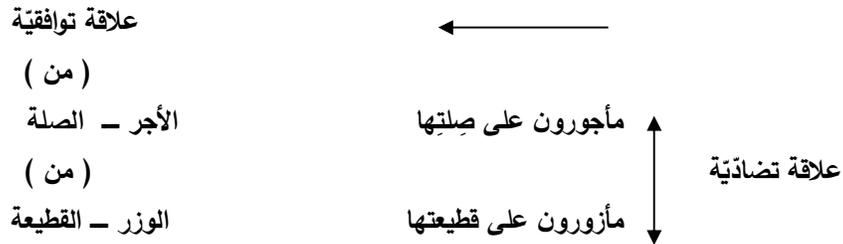
(2) نهج البلاغة : خ 81 / 159 .

(3) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : 1 / 354 .

في قوله "عليه السلام" :

"واعلم أنّ البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن ، فحادث أهلها بالإحسان إليهم ، واحلّ عقد الخوف عن قلوبهم ، ..... ، وإنّ لهم بنا رجماً ماسّة ، وقربة خاصّة ، نحن مأجورون على صلّتها ، ومأزورون على قطيعتها " (1) .

جاءت مقدّمة الاستدلال في (البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن ) مؤكّدة بمصادر أدلتها . الإحسان إليهم . . أمّا لفظا الجنس الناقص : ( مأجورون ) ، و : ( مأزورون ) متأتّيان في سياق جملتيهما المتوازيتين :



إنّ العلاقة التضادّيّة التي تضمّنها السياق أثرت المعنى المؤدّي، وزادت في إيقاعها، فكان التضادّ بين : ( مأجورون )، و : ( مأزورون )، وبين : ( صلة )، و : ( قطيعة ) . فأكد السياق . هنا . أهمّيّة تلك الرابطة الرحميّة، وخصوصيتها التي وردت في النصّ، وعلوّها، فجاءت لفظتا الجنس بثرائها الدلاليّ والإيقاعيّ، مؤكّدة مصادر أدلّة الاستدلال . ومن الحروف التي تثري الدلالة المنفّعة في الصفة الصوتيّة، والمختلفة في المخرج؛ ( الشين ) ، و : ( السين ) ، و : ( الخاء ) ، و : ( الحاء ) في الجنس المصحف ، في قوله: "عليه السلام":

" ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً يقنّدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمزيه (2) ، ..... ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا ، ..... ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرّة بلى كانت في أيدينا ( فذك ) من كل ما أظنّته السماء ، فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكّم الله " (3) .

(1) نهج البلاغة : ك 18 / 506 .

(2) الطمّز : الثوب الخلق ، ينظر : لسان العرب : مادة : ( ط م ر ) .

(3) نهج البلاغة : ك 45 / 559 .

يبدو جناس التصحيف واضحاً في هذا النصّ الخطابيّ، وهو مثل ما عرفته العرب: " اختلاف الكلمتين في الحروف المنقطة " (1)

يأتي موضوع الاستدلال : ( الإمام الزاهد ) المقتدى به . أمّا مصادر أدلته : ( الاكتفاء ) ، و : ( رفض ملذات الدنيا ) باستعماله أسلوب النفي ( ما + كنزت ) ، و : ( لا + ادخرت ) . تضمّن النصّ لفظي الجناس ؛ ( شَحَّتْ ) ، و : ( سَخَّتْ ) المؤدّيين لنتيجة ذلك الاستدلال؛ فتوضح أثرهما في سياق الجملتين الفعليتين المتقابلتين .

(فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ - وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخِرِينَ)

وإنّما وقعت المغايرة بين هاتين الفئتين في لفظ: ( آخِرِينَ ) ، هذا اللفظ الذي سبب انزياحاً في المماثلة بين هاتين الفئتين بالقيمة الأخلاقية أكدّها تباين المعنى في لفظي الجناس .

قال : ( شَحَّ ) نقيض ال : ( سَخَاء ) ، وهذا النقيض حقه صوتاً ( الشين ) ، و : ( السين ) ، وصوتاً ( الحاء ) المشدّد ، و : ( الخاء ) .

إنّ هذه الأصوات كلّها تشترك بالصفات نفسها بأنها أصوات احتكاكية، رخوة، مهموسة<sup>(2)</sup> أثرت الصلة الدلالية للجناس، وزادت في إيقاعها، الذي حَقَّق ذلك الافتراق والتباين للمعنى بين الشحّ المغالى به من الفئة الأولى، والذي قابله سخاء كبير من الفئة المغايرة . وفي نصّ آخر ، قال " عليه السلام " :

" وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) إِذَا احْمَرَّ النَّبَأُ ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ " (3) .

وفي نصّ آخر قال " عليه السلام " :

" فَأَحْذَرُوا عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ،.....، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ،.....، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ، فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ. " (4) .

في النصّ الأوّل يتّضح لنا موضوع الاستدلال في موقف الرسول ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) وسلّم ( عند اشتداد القتال بمصادر أدلته في تقديم أهل بيته ( سلام الله عليهم ) .

(1) البديع في نقد الشعر: قدامة بن منقذ (584هـ)، تح أحمد أحمد البدوي، شركة ومكتبة مصطفى الباي، القاهرة، سلسلة تراثنا : 17 .

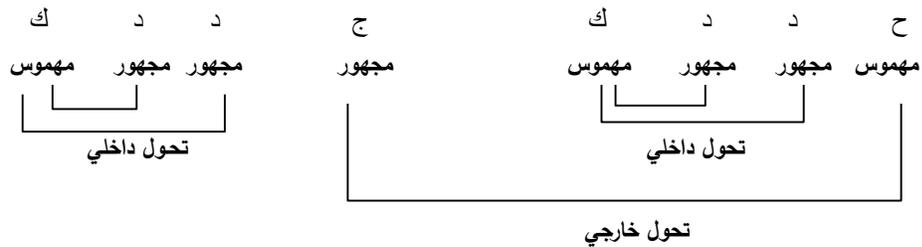
(2) ينظر: الأصوات اللغوية: 163، 177، 179، 182 .

(3) نهج البلاغة: ك 7 / 497 .

(4) نهج البلاغة : خ 190 / 396 - 397 .

أما النصّ الثاني؛ فموضوع الاستدلال يكمن في تحذير الإمام عليّ "عليه السلام" من أشدّ أعداء الله تعالى وهو : ( إبليس ) بقوله ( سلام الله عليه ) : ( فاحذروا . عدوا لله ) ، فكانت مصادر الأدلة الاستدلالية في أن : ( إبليس ) أشدّ ضراوة من أولئك الذين أصبحتم لهم مناصبين (وأورى في دُنْيَاكُمْ قَدْحًا) ، على حين أنّ ألفاظ الجنس التي وردت في النصّين بين : ( البأس ) ، و : ( الناس ) ، وفي النصّ الآخر بين : ( حدّكم ) ، و : ( جدّكم ) ، فجاءت بترائها الصوتي والدلالي نتيجة حتمية للاستدلال .

ف : ( الباء ) في لفظه : ( البأس ) ، و : ( النون ) في لفظه : ( الناس ) صوتان مجهوران يتقلبان في القوّة، ويختلفان في المخرج. والجهر بالبأس ما ابتغاه الإمام ( سلام الله عليه ) ليحدث أثره في الناس؛ وذلك بالهمس الذي ينتجه صوت السين في الناس، والبأس. وتكرر هذا الصوت في : ( السيوف ) ، و : ( الأسنّة ) ؛ ليكون هذا الهمس معادلاً موضوعياً بجهر : ( الباء ) في : ( البأس ) ، فارتبط صوت : ( الباء ) الشفوي الذي يواجه : ( الناس ) ب : ( البأس ) بصوت : ( النون ) اللثوي ، الأنفي الذي يكون متأثراً ب : ( البأس ) نتيجة وسوسة الهمس . أمّا الأثر الإيقاعي الذي أحدثه حرفا : ( الحاء ) في : ( حدّكم ) ، و : ( الجيم ) في : ( جدّكم ) ، فالمحوظ أنّ : ( الحاء ) من حروف الهمس، و : ( الجيم ) من حروف الجهر ، والصوتان اختلفا من حيث الجهر والهمس، مثل ما اختلفا من حيث المخرج، ف : ( الحاء ) صوت حلقيّ، رخو ، أمّا ( الجيم ) فصوت غاريّ، وهذا الاختلاف في القوّة والمخرج يتحوّل إلى انسجام بسبب مجاورتهما ل : ( الدال ) المشدّدة ، وهي تمثّل صوتين مجهورين :



فالتحوّل الصوتي الخارجيّ بين : ( المهموس ) ، و : ( المجهور ) في الكلمتين يناظره تحوّل داخليّ من : ( الجهر ) إلى : ( الهمس ) داخل كلمة : ( حدّكم ) ، أو : ( جدّكم ) ، وهذا الانتقال الصوتي الذي يحدث داخل كلمة واحدة يقابله تحوّل صوتي عند النطق بالكلمتين، من هنا يحدث الانسجام بين الكلمتين؛ نتيجة التغيّرات الصوتية التي تحدث منهما، أي: إنّ الاختلاف حقق انسجاماً بين كلمتي الجنس، وهذا التغيّر الصوتي الناتج . على المستوى الداخلي ، والخارجي اللفظي الجنس . من شأنه أن يعزز المستوى الدلالي للفظتين، فإذا كان : ( حدّكم ) تصبّ عليه ، فمن شأنها أن تكون القطيعة دليلاً قاطعاً لتلك الحدة .

وجاء في قول الإمام "عليه السلام" :

" أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ،.....، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا، وَوَضَّفَ لَكُمْ مَدَدًا، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمَحَاسِبُونَ عَلَيْهَا." (1) .

وفيه جناس مضارع، والأصل في المضارعة أن تتقارب في مخارج الحروف (2) ، وهو كما قالت العرب فيهما إتهما : " يختلفان بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج " (3) .

وتعدّ عبارة : (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ . بِتَقْوَى اللَّهِ . ) مقدّمة الاستدلال، أمّا : ( الذي . ضرب . ، ..... ، وأنذركم ..... ) وما بعدها في مصادر أدلّة الاستدلال .

أمّا لفظا الجناس المضارع في هذا النصّ فيبين الكلمتين : ( خبيرة ) ، و : ( عبرة ) بوساطة تغاير الصوت الأول؛ وهما : ( الخاء ) ، و : ( العين )، فهو الفضاء الذي وقع فيه الاستدلال؛ إذ إنّ هذين الصوتين يتقاربان مخرجاً؛ فالحاء صوت طبقيّ ( حنكيّ قصي )، و : ( العين ) صوتهما حلقيّ ، وكلاهما صوتان احتكاكيان، رخوان ؛ الأول مهموس ، والآخر مجهور :

ع ب ر ة

خ ب ر ة

مجهور

مهموس

يُرى أنّ الاستدلال قد وقع في البعد الترتيبي المنطقيّ لدلالة اللفظين؛ إذ لا يكون هناك اعتبار وانتعاض إن لم يسبقه اختبار هذه السلسلة التراتبيّة أداها صوتا : ( الخاء )، و : ( العين ) بالترتيب .

أمّا انتقال الصوت من المهموس إلى المجهور بين هذين اللفظين؛ فقد أدّى إلى توجيه ذهن المتلقي إلى أهميّة اللفظة الثانية، وهي النتيجة العمليّة التي بها يميز الإنسان بين الخير والشرّ

وفي نصّ آخر قال "عليه السلام":

(1) نهج البلاغة : خ 82 / 161 .

(2) ينظر : العمدة: 1 / 326 .

(3) مفتاح العلوم : 669 .

" حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَصَّتِ الدُّهُورُ،....، عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا، وَمَقْبُوضُونَ اخْتِصَارًا،...، فَيَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً " (1) .

وقعت مقدمة الاستدلال في : ( حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، ..... ) تمثل نهاية التاريخ .  
أما لفظا الجنس : ( اقتداراً ) ، و : ( اقتساراً ) فقد وقعتا مصادر أدلة الاستدلال، إذ جاء الاختلاف في حرفي : ( الدال ) ، و : ( السين ) ، وهما صوتان يجمعهما مخرج واحد هو الأسنان ، واللثة (2) ، لكنهما يختلفان في صفتيهما .

فصوت : ( الدال ) انفجاري ، شديد ، مجهور (3) ، وهذه الصفات من علامات قوة الحرف مع انفرادها، فإذا اجتمعت في صوت واحد اجتمعت قوته وأثر دلالة اللفظ ضمن سياقها، فالإقتدار على خلق العباد قدرة تختص الله تعالى ، و : ( الدال ) هنا يتفق مع هذه القدرة .

أما : ( السين )؛ فهو صوت احتكاكي، رخو ، مهموس ، وهمس السين ينسجم مع ضعف الإنسان لربه وخنوعه، وهكذا؛ فإن اختيار الحروف المتجانسة لها أثرها في تجانس الدلالة في سياق النص .

وفي قوله "عليه السلام":

" أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسْهًا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا؛ لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا " (4) .

تعدّ بنية : ( مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ ) مقدّمة الاستدلال، ووقع جناس القلب، وهو ما : " اختلف فيه المتجانسان في ترتيب الحروف " (5) بين : ( مَسْهًا ) ، و : ( سُمُّهَا ) ، وهما من مصادر أدلة لهذا الاستدلال، فكان القلب بين صوتي : ( الميم ) ، و : ( السين ) من دون أية زيادة في عدد الحروف، أو نقصانها، كما ورد في كلام العرب في حدّ الجنس المقلوب : " الذي يشتمل كلّ واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ، ولا نقص ، ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب " (6) .

(1) نهج البلاغة : خ 82 / 163 - 165 .

(2) ينظر: الأصوات اللغوية: 160، 163 .

(3) ينظر: المصدر نفسه: 180 .

(4) نهج البلاغة : ك 68 / 614 .

(5) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : 89 .

(6) خزنة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي (838هـ)، تح عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987م : 1 / 92 .

والملاحظ أنّ التقديم والتأخير بين صوتي : ( السين ) ، و : ( الميم ) قد أثرى دلالة النصّ، من حيث أنّ المسّ اللين يستحيل إلى سُم قاتل إن رغب الإنسان في نعومة الدنيا التي شبّهت بالحيّة السامة، فقد امتصّ همس : ( السين ) ، ورخاوته جهر : ( الميم ) .

وقد اتفق هذا الهمس مع صوتي : ( اللام ) ، و : ( النون ) في كلمة : ( لين ) ، وهي أصوات متوسطة بين الرخاوة والشدة<sup>(1)</sup>، وهذا الانسجام الصوتي انسحب على دلالة كلمة المسّ؛ ليفاجأ المتلقي بكلمة الجناس الأخرى : ( سمها ) ؛ إذ تأخر حرف : ( الميم ) عن حرف : ( السين ) ، فتنضح جهورية صوت : ( الميم ) منققة مع انفجارية صوتي : ( القاف ) ، و : ( التاء ) وشدتها في كلمة : ( قاتل ) التي سبقتها .

وبذلك يكون القلب في الحروف قد أوجد إيقاعاً قوياً أدى إلى إثراء دلالة الكلمة في بيان خطورة ذلك الملمس اللين .

وفي نصوص أخرى من " نهج البلاغة " نجد جناساً آخر يسمّى : ( الجناس اللاحق ) الذي جاء في مواضع عديدة اختلفت فيها الحروف في أولها ، نحو قوله " عليه السلام " :

"مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْحَشِيَّةَ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ،....  
فَعَاوِدُوا الْكِرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا  
عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجْحًا،....، حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ .  
(2)»

وقعت مقدّمة الاستدلال في : ( اسْتَشْعِرُوا الْحَشِيَّةَ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، .... ) ؛ إذ تمثل حالة الاستعداد لملاقاة العدو في ساحة الوعى .

أمّا الجناس في : ( الكرّ ) ، و : ( الفرّ ) ؛ فمثل أدلة استدلالية لهذا الاستعداد ، فالاختلاف في : ( الكاف ) ، و : ( الفاء ) في لفظي الجناس .

فصوت : ( الكاف ) صوت انفجاريّ ، شديد ، مهموس ، مخرجه من : ( أقصى الحنك )<sup>(3)</sup>، على حين أنّ صوت : ( الفاء ) صوت احتكاكيّ ، رخو ، مهموس ، مخرجه الأسنان ، والشفة<sup>(4)</sup>.

والجناس في : ( عار ) ، و : ( نار ) ، ف : ( العين ) و : ( النون ) يشتركان بصفة الجهر، لكنّ مخرج العين حلقيّ<sup>(5)</sup> ، ومخرج النون لثويّ<sup>(1)</sup>، وهذا الاختلاف في صفات الحروف،

(1) ينظر: الأصوات اللغوية: 173 - 174.

(2) نهج البلاغة : خ 65 / 139 - 140 .

(3) ينظر: الأصوات اللغوية: 178.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 178، 158 .

(5) ينظر: الأصوات اللغوية: 180.

ومخارجها، وملاحقة الراء التكراريّ لألفاظ الجناس جعلها تولد إيقاعاً مترتباً يستحيل فيها الاختلاف إلى انسجام يوجّه شعور المتلقي إلى أنّ الدلالة تنزاح به إلى ضرورة الكَرّ في مواقف السجال ، فهي أدعى إلى الارتقاء به .  
وفي نصّ آخر قال "عليه السلام" :

" وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ؛ مَرْمَةً لِمَعَاشٍ ، أَوْ حُطُوءَةً فِي مَعَادٍ ، أَوْ لَذَّةً فِي غَيْرِ مَحْرَمٍ " (2) .

ومقدمة الاستدلال تتضح في عبارة : (وليس للعاقِلِ أن يكون شاخِصاً إلا في ثلاثٍ) .  
أمّا لفظا الجناس فهما من مصادر أدلته، فالجناس بين : ( معاش ) ، و : ( معاد ) كان الاختلاف بينها في حرفي : ( الشين ) ، و : ( الدال ) ، اللذين يختلفان في صفة الصوت، ف: ( الشين ) صوت انفجاريّ ، ( شديد ) ، مجهور ، ينسجم و هَوَلٌ يوم المعاد وعظمه، ويختلف الحرفان . أيضاً . في مخرجي الصوت .

ف : ( الدال ) أسنانيّ لثويّ ، و : ( الشين ) غاريّ ، فهما مخرجان متباعدان ، ويلحظ . أيضاً . أنّ حرفي الجناس . هنا . وقعا في آخر اللفظين، وهذا ما أشار إليه الحمويّ (626هـ) في تعريفه؛ حين ذكر الفرق بين الجناس اللاحق والجناس المضارع ، قال : " إنّ الفرق بين الجناس اللاحق والجناس المضارع دقيق جداً ، فاللاحق ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ، فإذا اختلف اللفظان وتقارب المخرج؛ فذلك هو المضارع ، وإذا اختلف اللفظان وابتعد المخرج؛ فذلك هو اللاحق ، ولا يشترط أن يكون الإبدال في الأوّل، ولا في الوسط، ولا في الآخر ، فإنّ جلّ القصد الإبدال كيفما اتفق " (3).

ومن ذلك كلّهُ يعدّ الجناس الذي استعمل في النصّ قد رفته . كما رقد النصوص الأخرى الوارد فيها الجناس . ببعد موسيقيّ استعمل فيه مظاهر التنوع الصوتيّ، ومبدأ التناظر .

والجناس يأتي في مقدّمة مظاهر التنوع الإيقاعيّ ، متفقاً مع جزالة اللفظ ، ومرتبطاً بالجذور التاريخيّة، وللجناس بنية تراثيّة حاضرة دائماً في الخطاب النصّيّ عند العرب قديماً ، وفي عصر الإمام "عليه السلام" ، وفي هذا دلالة على حرصه (سلام الله عليه) بهذه الصلة التراثيّة التي تتسم بالأصالة ، فخرجت نصوص " نهج البلاغة " التي ورد فيها الجناس متظافرة؛ إيقاعياً، ودلاليّاً؛ نتيجة التناغم والتضادّ على صعيد واحد؛ إذ إنّ الدلالات تتوافق وتتخالف؛

(1) ينظر: المصدر نفسه: 173.

(2) نهج البلاغة : ح 388 / 715 .

(3) خزائن الأدب وغاية الأرب : 1 / 55 - 56 .

لتأسيس الدلالة وتقريرها ، وهذا يؤدي إلى توفير طاقة إيقاعية ، تحقق نتائجاً دلاليًا ، يكون له تأثير بالغ في المتلقي .

ويعدّ الجناس التامّ أهمّ الأنواع التي تحقق الجرس الموسيقيّ ، وذلك بتكرار جرس الحروف المتماثلة ، وهذا الجرس يعمل على إثارة ذهن المتلقي بدقة للإسماع التي تتشوّق النفوس لسماعه ، مثل ما أنّ هذه المماثلة والمجانسة اللفظية تؤدي معنىً متقارباً في تقليبات الاشتقاق الذي وجد في نصوص " نهج البلاغة " ، الذي ولّد المعاني الجديدة نوات القوة التعبيرية، والمجانسة اللفظية الاشتقاقية : تحقق في التعبير جرساً رخيماً ، وموسيقية شجية تكون نافلة القول لا يضام لها واحد من اللفظ والمعنى<sup>(1)</sup> ، فضلاً عن فائدة الجناس اللفظية الإيقاعية، فله وظائف أخرى في نصوص " نهج البلاغة " تمثلت في: ( الترادف الحقيقي )<sup>(2)</sup>، و : ( الترادف الازدواجي )<sup>(3)</sup> ، و : ( التكامل )<sup>(4)</sup> ، و : ( التضادّ )<sup>(5)</sup> .

## السجع

ويعدّ السجع العنصر الآخر في تناوب العناصر المتشابهة ، ولغةً فإنّ السجع مأخوذ من : " سجع يسجع سجعاً : استوى واستقام ، وأشبهه بعضه بعضاً ، والسجع : الكلام المقفى ، وسجّع تسجيحاً : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، وسجع الحمام يسجع سجعاً: هدل على جهة واحدة " <sup>(6)</sup> .

وكرّرت تعريفات السجع؛ فمنها : " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد " <sup>(7)</sup> ، و : " مناسبة بين الألفاظ في الصيغ " <sup>(8)</sup> .

و : " الاعتدال في مقاطع الكلام " <sup>(9)</sup> .

وتجتمع هذه التعريفات على أنّ السجع بنية صوتية تلزم نهاية مقاطع الكلمات ، مؤلدة نغمة تساهم في تشكيل إيقاع معين ، يؤدي إلى غاية معنوية ، أو تأثرية : " ولما كان الإيقاع قاعدة مهمّة يسهم السجع في تركيب بنيتها الصوتية؛ فهو والفاصلة سواء في تحقيق الانسجام

(1) البنى الأسلوبية في النصّ الشعريّ - دراسة وتطبيق - : 83 .

(2) ( ند ) ، و : ( ضد ) : خ 64 / 138 .

(3) ( أنين ) ، و : ( حنين ) : لفظتان مزدوجتان ، مبنيتان على الازدواج في الأصل : خ 114 / 253 .

(4) ( برّ ) ، و : ( بحر ) : التكامل - هنا - في نظام الأرض : خ 159 / 325 ، و : ( عدة ) ، و : ( أهداء ) :

تكامل لتناسب بين المتجانسين ؛ المادّي ، والمعنويّ : ك 291 / 574 .

(5) ( رَهَب ) ، و : ( رَغَب ) : تضاد : خ 78 / 156 .

(6) لسان العرب : مادة : ( س ج ع ) .

(7) الإيضاح في مسائل الخلاف : 1 / 362 .

(8) سر الفصاحة : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (466هـ) ، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان، ط1 ، 1402هـ - 1982م : 171 .

(9) المثل السائر : 1 / 197 .

ودقة التناسق الفنّي في القرآن " (1) ، ولما : " كانت الأواخر أكثر إيقاعاً كانت النفس أشدّ أثراً، والمعنى أكثر خلوداً " (2) .

وبذلك يكون للسجع معنىً يحققه . هو الذي سيق من أجله . ، وربّما : " لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه ، واستدعاه ، وساق نحوه ، وحتى (3) تجده لا يتبغى به بدلاً ، ولا تجد عنه حولاً " (4) .

وقد كثر استعمال العرب له؛ إذ صار كثير التداول، وعظيم الاستعمال في السنة البلغاء؛ لشدة حاجتهم لتحسين الكلام، ويقع السجع في الكلام المنثور، وهو يقابل : ( التصريح ) في الكلام المنظوم الموزون في الشعر (5) ، وللسجع قيمة صوتية تماثل الفاصلة القرآنية (6) . ومنهم من يجعله في ثلاثة أضرب؛ مطرّف ، ومتواز ، وترصيع (7) ، أمّا العلوي؛ فجعل المتوازن النوع الثالث (8) ، ومنهم من يزيد عليه قسماً آخر وهو : ( المشطر ) (9) . وفي نصوص " نهج البلاغة " ما يستدلّ بها على تحقيق استعمال الأنواع السجعية ، التي أدت أثرها الإيقاعي السعبيّ محدثة استجابة شعورية تثري الصلة الدلالية في تلك النصوص .

#### السجع المطرّف .

هو ما اتفق فيه الإعجاز في الفواصل من غير وزن (10) ، نحو قوله تعالى : " مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " (11) . وجاء في قول الإمام " عليه السلام ":

" وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، نَقُولُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ،....، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكُتُبَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النُّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ

(1) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري: عواطف كنوش مصطفى، إطروحة دكتوراه، آداب البصرة، 1416هـ - 1995م : 106 .

(2) الإعجاز الفني: عمر السلامي ، تونس، 1980م : 230 .

(3) هنا خطأ في الاستعمال اللغوي ، حيث إن : ( حتى ) لا يسبق بـ : ( الواو ) .

(4) أسرار البلاغة : 7 .

(5) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (749هـ) تح أحمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ - 1995م:

407. و : منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 122 .

(6) ينظر : الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني : 105 .

(7) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة: 1 / 362 .

(8) ينظر : الطراز: 407 .

(9) خزانة الأدب وغاية الأرب : 2 / 412 .

(10) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : 362.

(11) سورة نوح : الأيتان 13 و 14.

وَمَتَّبُونًا أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَ لِلإِيمَانِ  
عُودٌ، وَأَيُّمُ اللهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا، وَلَتَتَّبِعُنَّهَا نَدْمًا! " (1) .

إنَّ مقدّمة الاستدلال في هذا النصّ تتمثل بهذه العبارة : (وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ.....) في  
الحروب التي خاضها الرسول ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) ، وفي هذا المقطع من النصّ  
جاءت ثلاثة سجعات من نوع واحد : ( السجع المطرف ) تمثل بنى احتجاجية على تلك الفئة  
المغايرة التي واجهها الإمام "عليه السلام" وصحابته ، وقد جاءت في جمل متقابلة ضمن سياق  
النصّ ، مولدة إيقاعاً متبايناً ، مثل ما موضح في الترتيب المبيّن في أدناه :

و

مُلَقِيًا جِرَانَهُ - مَتَّبُونًا أَوْطَانَهُ

و

مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ - لَا اخْضَرَ لِلإِيمَانِ عُودٌ

و

لَتَحْتَلِبُنَّهَا نَدْمًا - لَتَتَّبِعُنَّهَا نَدْمًا

إن هذا التآليف الثنائي كَوّن تماثلاً إيقاعياً ، وذلك باتفاق الحرف الأخير من كلّ ثنائي ،  
إذ إنّه وُلد إيقاعاً أغنى الصلة الدلالية .

ففي الثنائي الأوّل المسجوع بصوت : ( النون ) المجهور ، المتوسّط بين الشدّة والرخاوة (2)  
يتناسب و ما يقنضيه الاستقرار من الموازنة في أساليب الشدّة واللين . والثنائي الثاني ارتكزت  
السجعة على صوت : ( الدال ) المجهور ، الانفجاريّ ، الشديد<sup>(3)</sup> في : ( عمود ) ، و : ( عود  
) ؛ ليتناسب مع قوّة وسائل قيام الدين، وتكامل الإيمان، ثمّ امتصاص تلك الحدة والشدّة بالسجعة  
الأخيرة التي انتهى بها الثنائي الثالث : ( دماً ) ، و : ( ندماً ) الذي مثّلها صوت : ( الميم )  
المتوسط بين الشدّة والرخاوة<sup>(4)</sup> ، إذ يتناسب و حالة التأسيّ على حال تلك الفئة التي يطالها  
الندم؛ لسوء عاقبتهم؛ نتيجة أعمالهم السيئة .

وبذلك؛ فإنّ هذه الوحدات التي تمثلت بتلك الثنائيات قد امتلكت طاقة نظمت تلك البنيات  
المتقابلة التي أثرت صلتها الاحتجاجية :

(1) نهج البلاغة : خ 56 / 129 .

(2) ينظر : الأصوات اللغوية:173.

(3) ينظر:المصدر نفسه:160.

(4) ينظر: المصدر نفسه:157.

## الترصيع :

ويوقف . هنا . على نوع آخر من السجع في نصوص " نهج البلاغة " ، يستدل به على أثر هذا اللون من الإيقاع ، فقد جاء في قوله " عليه السلام " :

" زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ " (1) .

وفي قوله " عليه السلام " :

" أَيُّهَا النَّاسُ، شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنِ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَصَعُّوا تَيْجَانَ الْمُفَاحِرَةِ. " (2) .

وفي قوله " عليه السلام " :

" وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَقْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي عَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتِ إِلَّا بِهِ. " (3) .

ورد الترصيع في النصوص الثلاثة المتقدمة من خطب الإمام (سلام الله عليه) في جمل متوازية .

إذ مثلت في النصّ الأوّل بنى احتجاجية للفئة المغايرة لآل الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، هذه البنى تؤكد الاستدلال الذي وقع في العبارة التي تليها ، مؤكدة تفرد آل بيت الرسول ( صلوات الله وسلامه عليهم ) بخصائص لا يشترك معهم فيها أحد .  
أمّا في النصّ الثاني فمثال الترصيع : ( المنافرة ) ، و : ( المفاخرة ) مصادر أدلّة لمقدمة الاستدلال في نداء الناس إلى شقّ أمواج الفتن .

أمّا مثال الترصيع في النصّ الثالث؛ فيتمثل في : ( أنيق ) ، و : ( عميق ) فمثال مصادر أدلّة للاستدلال بالآيات القرآنية الكريمة التي تقدّمت النصّ في نفي التغاير في القرآن الكريم .  
إنّ ألفاظ الترصيع التي وردت في نصوص " نهج البلاغة " المتقدمة تكاد تتساوى فيها عدد الحروف، ومتفقة في حرف الروي ، وهذا ما اتفق عليه القدماء، فعرفوا الترصيع في الألفاظ المنثورة أنّه : " ألفاظ الفصل الأوّل مساوية لألفاظ الفصل الثاني في الأوزان ، واتفاق الأعجاز " (4) .

وهذا التوازن الذي ورد فيه هذا النوع من السجع جعله : " أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه " (5) .

(1) نهج البلاغة : خ 2 / 49 .

(2) المصدر نفسه : خ 5 / 60 .

(3) المصدر نفسه : خ 18 / 76 .

(4) الطراز : 381 .

(5) المثل السائر : 1 / 334 .

وبذلك يحقق الترصيع أثراً إيقاعياً متوازناً بين الوقفات، وأثراً وظيفياً لموضوع الاستدلال داخل الخطبة نفسها.

أمّا الترصيع في النصّ الثاني؛ فقد ورد في كلمة : ( المنافرة ) ، وكلمة : ( المفاخرة ) اللتين أوقعتا أثراً إيقاعياً رسخ دلالتهما في ذهن السامع بأنهما أشدّ وسائل وقوع الفتن . وفي النصّ الثالث جاء الترصيع بأثر إيقاعيّ موسيقيّ ذي نغم يوقع في الأذن ترنماً ، وفي النفس تألقاً يستمدّ من همس صوت : ( القاف ) الانفجاريّ ، الشديد ، المشبع بلين : ( الياء )؛ لينسجم و قوّة ما في القرآن ، وإذا ما عُرضت صفات أصوات الحروف المكوّنة للفظي الترصيع؛ لوجِد هناك توازٍ صوتيّ كبير في الحروف كلّها .

نجد أنّ توسّط : ( النون ) بين الشدّة والرخاوة؛ قد امتصّت انفجاريّة صوت : ( الهمزة )، وشدّتها<sup>(1)</sup>؛ لتتعاقد مع احتكاكيّة صوت : ( العين ) ، ورخاوته<sup>(2)</sup> في لفظ الترصيع الآخر:(عميق).

وكذلك؛ فإنّ التحوّل الخارجيّ بين همس : ( الهمزة ) ، وجهر : ( العين ) قد أدّى إلى إثراء الدلالة في بيان قوّة ما في القرآن الكريم من جهة ، وحلاوته من جهة أخرى كما في المخطط المثبت في أدناه ، ومن هذا تتجلّى وظيفة الإقناع للمتلقّي بمصدري الأدلّة المتمثلة بلفظي الترصيع : ( أنيق ) ، و : ( عميق ) .

<sup>1</sup> () ينظر: الأصوات اللغوية: 184.

<sup>2</sup> ()ينظر: المصدر نفسه:180

## السجع المتوازن :

أما السجع المتوازن؛ فمثله كثير في نصوص " نهج البلاغة " يستدل ببعض منها ؛  
لبيان أثره الإيقاعي ، فقد جاء في قول الإمام "عليه السلام" :

" يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَاتِ الحِجَالِ،.....، قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ  
مَلَئْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً "(1).  
وفي قوله "عليه السلام" :

"فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ،.....، وَمِنْهُمْ الْمُصْلِحُ لِسَيِّفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ،. وَلِبِئْسَ  
الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عَوْضاً!"(2).

في النص الأول؛ يتمثل السجع المتوازن في : ( قَيْحاً ) ، و : ( غَيْظاً ) ببنية إنكاريّة ينكر فيها  
الإمام "عليه السلام" على القوم تقاعسهم ، الذي يمثل بنية الاستدلال بمصادر أدلته الواقعة في  
بنية : ( يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ .... الحِجَالِ ) .

أما النص الثاني؛ فتمثل بنية السجع المتوازن نتيجة الاستدلال الذي وقع في بيان صفة من باع  
دينه بدنياه من أجل : ( مقنب يقوده ) ، أو : ( منبر يفرعه ) .

نجد أنّ بنيتي السجع المتوازن في النصين المتقدمين قد اختلفتا مع الترصيع من حيث إنّه لا  
يلتزم بحرف الروي نفسه ، وهذا ما جاء في أقوال العرب القدماء ، وهو ما اتفق الإعجاز فيه في  
الوزن من دون الحرف (3) ، نحو قوله تعالى : " وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَرَزَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ "(4) ، ولكنّ  
الأصوات التي كوّنت الأسجاع في سياق نهايات الجمل المتوازية المبيّنة في أدناه :

النص الثاني

أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً

و

مما لك عند الله عوضاً

النص الأول

ملأتم قلبي قيحاً

و

شحنتم صدري غيظاً

قد كوّنت قيمة أدائيّة تعبيرية عالية ، فضلاً عن جمال هذه الفاصلة الإيقاعيّة التي تظهر نتيجة  
دلالة التوازي ، متمثلة بالسجع الذي يدور عليه محور الإيقاع، وذلك كان يمكن استعمال لفظ: (

(1) نهج البلاغة : خ 27 / 92 .

(2) المصدر نفسه : خ 28 / 100 .

(3) ينظر : الطراز : 407 .

(4) سورة العاشية : الآيتان 15 و 16 .

غضباً ) في النصّ، وهي لفظة تعطي الدلالة نفسها ، ولا سيّما أنّ لها عدد الحروف نفسه، لكنّ الدلالة اقتضت اللفظة الثانية ؛ لاستمرار الأثر الإيقاعيّ لصوت : ( الباء ) الذي يستطيل به النطق دالاً على استمرار الألم، وتصاعد الغيظ إلى أعلى درجاته في نفسه "عليه السلام" .  
أمّا في السجعتين في النصّ الآخر : ( ثمناً ) ، و : ( عوضاً )؛ فإنّنا نجد أنّه قد نوسب في اختياره لفظ : ( عوضاً ) ؛ لما في صوت : ( الواو ) من إحياء للتأسّف ، والتأسّي في سياق النصّ ، فهو صوت صائت ، ، ممتدّ (1) ، ولم يقل : ( بدلاً ) على سبيل المثال؛ لأنّ الباحث لم يجد أقرب من هذه اللفظة؛ ولأنّها وردت في اصطلاحات الفقهاء بدل العوض. وبذلك تكون الألفاظ بهيأتها الصوتيّة دوالّ على معانيها .

وقد أشار ابن جنّي ( 392 هـ ) إلى هذا الأمر ، وأفرد له باباً أسماه : ( باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني ) ، قال فيه : " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمّت الأحداث المعبر عنها . فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها ، ذلك أكثر ممّا تقدّره ، وأضعاف ما نستشعره " (2).

(1) ينظر: الأصوات اللغوية:157.

(2) الخصائص:أبو الفتح عثمان بن جنّي(392هـ)، تح محمّد عليّ النجار، بيروت ، ب ت : 2 / 157 .

## 2 . التكرار

يعدُّ التكرار: " من سنن العرب في إظهار العناية بالأمر " (1). أمّا الأصوات؛ فهي ذبذبات تتجمّع في مدار الفرد داخل محيطه اللغويّ ، مكوّنة أثراً سمعياً يصدر طواعية واختياراً من أعضاء النطق (2) ، و : " هي الرموز التي تحتضن الكلام المنطوق ، والمكتوب ، في حلقات متسلسلة من الجمل والعبارات " (3)، ثمّ تتحوّل السلسلة الصوتيّة عند المتلقي إلى مفاهيم يدركها ويعيها (4).

ويعدُّ التكرار خصيصة أسلوبية تحقّق تأثيراً وظيفياً وتفاعلياً في بناء الحدث وتصويره، ممّا يؤدّي إلى منحه قيمةً أدائيّة وتعبيريّة تثير انتباه المتلقي ، وذلك بأن : " يسلط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها " (5).

وسيُعنى البحث في موضوع التكرار في جانبين من نصوص " نهج البلاغة " ؛ هما :

أ . التكرار اللفظي .

ب . التردّد الصوتي .

(1) فقه اللغة وسرّ العربية : أبو منصور الثعالبي (429هـ)، تح ومراجعة عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م : 256.

(2) ينظر : علم اللغة العامّ - الأصوات - د. كمال محمّد بشر، دار المعارف، مصر، ط1، 1980م : 64 .

(3) البنى الأسلوبية في النصّ الشعريّ - دراسة تطبيقية - : 103 .

(4) ينظر : المصدر نفسه .

(5) قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة، بيروت، ط5، 1978م : 276 .

## أ . التكرار اللفظي

تكرّر اللفظ في نصّ " نهج البلاغة " في قوله " عليه السلام " :

" الْجِهَادُ الْجِهَادُ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرُّوَاخَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ. "(1).

تكرّر لفظ : ( الجهاد ) وهو موضوع الاستدلال مرتين متتاليتين في سياق النصّ، وتتضح المميّزات الصوتيّة لحروف هذه اللفظة بما يثري الدلالة في توجيهه الذهن إلى تخصيص هذا النوع من المقال، وترغيبهم فيه ، ويعمق الأثر الإيقاعي في نفس المتلقي .

إن صوت : ( الراء ) التكراريّ الذي ورد بكثرة في سياق النصّ في الألفاظ : ( معسكر ) ، و : ( أراد ) ، و : ( الرواح ) ، و : ( فليخرج ) ؛ إذ تكرّر خمس مرات ، وصفته التكراريّة تضاعف هذا العدد، ومنه؛ فإن الدلالة هنا تتجه إلى استمرار الجهاد ، والعناية به . ويمكن ملاحظة تكرار يتصل بالدلالة في : ( تشابه الأطراف ) ؛ وهو إعادة الشاعر لفظ القافية في أول البيت اللاحق لها ، وفي النثر أن يعيد الناثر القرينة الأولى في أول القرينة التي تليها ، نحو قوله تعالى : "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِصْبَاحٌ فِي رُجَاةٍ الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ "(2) . وفي قوله " عليه السلام " :

" الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ ، وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ "(3) .

إنّ تكرار هذه الوحدات اللسانية أدّى إلى إثراء الصلة الدلالية في بيان المواطن الذي يصار به إلى الظفر ، فجاء الاستدلال هنا كاشفاً عن ماهيّة : ( الحزم ) ، وكيفيّة المؤدّيّة إلى نتيجة يطمح إليها كثر؛ وهو : ( الظفر ) .

وفي نصّ آخر قال " عليه السلام " :

" لِأَنْسَبَنَّ الْإِسْلَامَ نَسَبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي ، الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ "(4).

(1) نهج البلاغة : خ 180 / 369 .

(2) سورة النور : الآية / 35 .

(3) نهج البلاغة : ح 48 / 638 .

(4) المصدر نفسه : ح 126 / 654 .

تعدّ نسبة الإمام ( سلام الله عليه ) للإسلام مقدّمة استدلالية ، فكانت الألفاظ التي تكرّرت بنوع تكرار : ( تشابه الأطراف ) مصادر أدلة استدلالية لتتجه النتيجة إلى العمل الصالح، وهذه الألفاظ : ( التسليم ) ، و : ( اليقين ) ، و : ( التصديق ) ، و : ( الإقرار ) ، و : ( الأداء ) مصادر تتضمّن ثبات الشيء ، فجاءت مرّة معنوية ، مثل : ( التسليم ) ، و : ( اليقين ) ، و : ( التصديق ) ، وأخرى مادّية مثل : ( الإقرار ) ، و : ( الأداء ) ، فهذا النمط التكراريّ وجه الدلالة إلى أنّ الإسلام الحقيقيّ ما كان بهاتين الوسيلتين ؛ ( المعنوية ) ، و : ( المادّية )؛ وقد أدّى هذا النمط التكراريّ إلى نتيجة واحدة؛ هي: ( العمل الصالح )، فتكون الدلالة: (الإسلام ) يعدل بمعناه : ( العمل الصالح ) .

وإنّ هيمنة الأصوات : ( السين ) ، و : ( التاء ) ، و : ( الصاد ) في النصّ . وهي من الأصوات المهموسة التي تنتج بجهد مضاعف ، وتحتاج إلى وقت أكثر من الأصوات المجهورة . إنّما تدلّ على أنّ الإسلام شأن عظيم ، وميزان ثقيل ، فمن يتّصف به لا بدّ من أن يعي عظمة ذلك الشأن ، وهذا التلاحم في الدلالة . الذي ينتج من هذا النوع من التكرار . يكشف عن انثيال الألفاظ عند الإمام ( سلام الله عليه ) ، وتمكّنه منها .

والنوع الآخر من التكرار الذي يمثل حلقة مغلقة في نمطيّتها يرتبط فيها أول الكلام بآخره<sup>(1)</sup> ( ردّ الصدر على العجز ) ؛ وهو في النثر : " أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها " <sup>(2)</sup> ، نحو قوله تعالى: " وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ " <sup>(3)</sup> .

وفي قول الإمام " عليه السلام " :

" وَأَوْصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ " <sup>(4)</sup> .

يتبيّن . عن طريق النصّ . أنّ الموت هو موضوع الاستدلال ، وذكره ، وإقلال الغفلة عنه هي مصادر أدلته .

فجاءت بنية التكرار : ( غفلتكم ) ، و : ( يغفلكم ) بنية إنكاريّة بأسلوب التعجب:

( كيف ) للمصدر الثاني من أدلة الاستدلال؛ فضلاً عن التذكير والتثنية ، وذلك بنموّ المعنى من أول اللفظ ؛ وصولاً إلى خاتمة يتكرّر فيها هذا اللفظ .

فقد وُدّ الانتقال الداخليّ في لفظة : ( الغفلة ) التي اشترك بها لفظا التكرار بين صوتي:

(1) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 221 .

(2) الإيضاح في علوم البلاغة : 1 / 360 .

(3) سورة الأحزاب : الآية 37 .

(4) نهج البلاغة : خ 186 / 385 .

( العين ) المجهور ( الفاء ) ، المهموس في توليد ضربة إيقاعية تلك الضربة هي : " النقرة التي يلتقطها الذهن عند نقطة التقاطع بين حركتي التكرار والانتظام في النسق التعبيري " (1).  
وهذه الضربة الإيقاعية أثرت الصلة الدلالية في التذكير، والتبني، والإنكار، وقد عدّ الدكتور إبراهيم سلامة هذا النوع من التكرار : " إلى نوع الدلالة التي تهدف إلى: (التقرير) ، و : ( التبيين )، و : ( التلليل )، وإلى ما فيه من زيادة المعنى التي ترجع إلى الإيحاء النابع من اللفظ بتوقع الثاني، وهذا الإيحاء يذكر عند الإنشاد، فهو رابط من روابط التكرار ، كما إنّ التردد المتمثل في اللفظين يعطي لونا من الإيقاع الموسيقي يتقارب مع الغناء الذي يطلب فيه ترداد بعض ألفاظ يعيها ويدركها السامعون على البديهة " (2).  
ومن الأنواع البلاغية الأخرى التي تتقارب مع هذا اللون من التكرار : ( الإحصاء )، و : ( التسهيم ) .

وقد عرف العلويّ الأرصاء أنّه: " أن يكون أول الكلام مرصداً لفهم آخره، ويكون مشعراً به " (3)، نحو قوله تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " (4). ف : " النظر إلى السياق يؤدي إلى وجود توقع يشارك به المخاطب والمتكلم " (5).  
وجاء في قوله "عليه السلام" يصف السماء :

"وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَخُوسِهَا وَسُعُودِهَا." (6).

يُستدلّ من قوله "عليه السلام" على أنّ عملية الإحصاء المتحققة من السياق بأحوال السماء على مرّ الزمن، قد أكدها ذلك الفنّ البلاغيّ : ( الإحصاء ) المتمثل في رصد الثوابت، والمتحرّكات: ( ثابتها ) ، و : ( سائرها ) ، والمعاني التي تليها .  
ولم تخلُ نصوص " نهج البلاغة " من لون بديعيّ آخر ينتج من تشابك الدلالة بوساطة التكرارية؛ وهي : ( المشاكلة ) .

فقد عبّر الدكتور . محمّد عبد المطلب بقوله : " ويمكن أن نتبين في بعض ألوان البديع ما يدلّ على أنّ الحيز المكانيّ يؤدي إلى تماسّ الدلالة، وتشابكها من خلال التكرارية مثل:

(1) فاعلية المشتقات في البنية الأسلوبية للسياق القرآنيّ : 122 .  
(2) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان دراسة تحليلية، نقدية، تقارنية : د. إبراهيم سلامة، القاهرة، الإنجلو، ط2، 1371هـ - 1952م : 127 .  
(3) الطراز : 355 .  
(4) سورة العنكبوت : الآية 40.  
(5) البلاغة والأسلوبية : 224 .  
(6) نهج البلاغة : خ 90 / 195 .

المشاكلة<sup>(1)</sup>، وهي : " ذكر الشيء بلفظ غيره ؛ لوقوعه في صحبته ؛ تحقيقاً ، أو تقريراً " (2) ، نحو قوله تعالى: "تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ " (3).

والمشاكلة . كما يراها الدكتور . أحمد كمال زكي . : " تهدف إلى ناحية معنوية تجاوز الدقة المنطقية كما تفارق الدلالة الرمزية " (4) .

أما الدكتور . محمد عبد المطلب؛ فيرى أنها : " تقوم على اكتساب الألفاظ من المجاورة تمازجاً في الدلالة يخرجها عن النمط المؤلف ، ويعدل بها عن دلالة المطابقة إلى الناحية الإبداعية، وهذا التمازج لا يتمثل في التكرار المجسم في العبارة ، بل إنه يتحقق ذهنياً من خلال تقدير المجاورة في الدلالة ، وما يستتبع ذلك من تمازجها " (5) .

وقد تمثلت المشاكلة في " نهج البلاغة " في قوله "عليه السلام" :

"وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، .....، فَاجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ" (6) .

وقع الاستدلال في هذا النص في : ( التحذير من الدنيا ) ، فجاءت المشاكلة في لفظ :

( واسألوه ) ، ولفظ : ( سألكم ) وسيلتي تحقيق ذلك الاستدلال : ( التحذير ) .

فقد جاء الخطاب في النص تقابلياً بين الفعل الأمر المسند إلى ضمير الظاهر في : ( واسألوه )

وهو : ( واو ) الجماعة ، والفعل الماضي المسند إلى ضمير الغائب في : ( سألكم ) ، وهو :

هو .

إنّ هذا التناظر والتماثل في البنية الشكلية للفعلين؛ قد حمل معه تخالفاً في بنية المضمون، فقد

كان الفعل الأول بمعنى السؤال الحقيقي : ( طلب الشيء ) .

أما الفعل الثاني : ( سألكم ) فليس بهذا المعنى؛ لأنّ حقيقة السؤال لا تجوز نسبتها إلى الله

تعالى، وإنّما معناه : أن يمنّ عليك بالتوفيق في أداء حقه في وجوب العمل بالطاعات .

وإنّما جاء لفظ الفعل الثاني بهذه البنية للمشاكلة بين الألفاظ، فكانت وسيلة تحقيق

الاستدلال بهذه البنية التكرارية للألفاظ؛ ليكون حافزاً للتأثير في نفس المتلقي، وإثارة السامع،

وجذب انتباهه بالتركيز على كلمة : ( السؤال )، وإعادتها صوتياً مرّات عديدة، وهذه إحدى قواعد

(1) البلاغة والأسلوبية : 225 .

(2) الإيضاح في علوم البلاغة : 1 / 327 .

(3) سورة المائدة : الآية / 116 .

(4) النقد الأدبي الحديث - أصوله واتجاهاته - د. أحمد كمال زكي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت

، 1981م: 111 - 112 .

(5) البلاغة والأسلوبية : 225 .

(6) نهج البلاغة : خ 112 / 248 - 249 .

بنية التكرار، فهو : " في الواقع بنية عقلية تمحو من كل حالة خصوصيتها؛ كي تبقى منها ما يتوافق مع الحالات الأخرى " (1).

## ب . التردد الصوتي .

تتضمن بنيات نصوص " نهج البلاغة " كثيراً من التجانس الصوتي الذي يوحى بتردد صوتي يشير إلى قرابة معنوية . وقد شدّد : ( ياكيسون ) على أنّ الأساس في ممايزة هذا النوع من التجانس الصوتي هو التشديد على عنصر السمة المميّزة؛ إذ تأتي ميزتها من كونها ممايزة الألفاظ عن بعضها، ما دامت عبارة عن موجّهات دلالية (2). وإن كان يقصد بالسّمات المميّزة الفونيم (3) ، فبذلك يكون ركيزة ترتكز عليه كلّ دراسة للتجانس الصوتي، فقد جاء في قوله " عليه السلام" :

" فَهَلْ بَلَعَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ؟ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ؟ أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ (4) بِالْقَوَادِحِ، وَأَوْهَقْتَهُمْ (5) بِالْقَوَارِعِ " (6)

يتجلى الاستدلال ب : ( جحود الدنيا لأهلها ) ، ومن مصادر أدلة ذلك الجحود اللفظان اللذان وقع فيهما التجانس الصوتي : ( أرهقتهم ) ، و : ( أوهقتهم )؛ إذ وردتا بجملتين متوازيتين .

أَرْهَقْتَهُمْ بِالْقَوَادِحِ

أَوْهَقْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ

- 
- (1) بلاغة الخطاب وعلم النصّ: د.صلاح فضل ، عالم المعرفة ، يناير، 1978م : 280 .  
(2) ينظر : الفونولوجيا وعلم الألفاظ ، مجلة الفكر العربيّ، العددان 8-9 السنة الأولى، بيروت، 1979م ، و : البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد: حسن الغرقي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 ، 1989م : 81.  
(3) وهو "الوحدات الصوتية التي تشكل النظام الصوتي للغة" علم اللغة العام: د. توفيق محمد شاهين، دار النظام ، القاهرة، ط1 ، 1980م : 116.  
(4) ( أرهقه ) : غشيه ، و : ( القوادح ) : أكال يقع في الشجر والأسنان .  
ينظر : لسان العرب : مادة ؛ ( ر ه ق ) ، ومادة : ( ق د ح )  
(5) ( أوهقهم ) : جعلهم في الوهق ، وهو الحبل المغار يرمى في أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان و : ( القوارع ) : جمع قارعة : ( الداهية ) .  
ينظر : لسان العرب : مادة : ( و ه ق ) ، ومادة : ( ق ر ع ) .  
(6) اعتمدت في توثيق هذه المادة على نسخة، د. صبحي الصالح، وذلك أنّه من حيث التجانس الصوتي كما يرى الباحث.. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) ، ضبط نصه، الدكتور صبحي الصالح، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط3، 1426ق - 1384ش:خ:245/110 - 246.

فهذا النظام المتوازن يوحي بتشابه صوتي بين لفظي التجانس الصوتي؛ إذ إنّ نتيجة التكرار في صوت : ( القاف ) في كلمات الجملتين كلّها، وبالأوزان الصرفيّة نفسها قد يوهم القارئ بأنّ الكلمة قد تكرّرت مرّتين .

ومع إعادة النظر فيهما يزول شيء من الإيهام؛ وذلك لوجود السمة الصوتيّة التي ميّزت بينهما، وهو صوت : ( الواو ) في : ( أوهقتهم ) ، وصوت : ( الراء ) في : ( أرهقتهم ) . ونجد . أيضاً . الكلمتين متوازيتين من جملة لأخرى على المستوى الدلالي؛ إذ إنّ كلمة: (أوهقتهم) تربطها علاقة دلاليّة بكلمة : ( القوارع )، فالمحن ، والدواهي تشدّ الإنسان بالإنشوطة كشدّه للدابّة، فهي توهقه ، على حين أنّ كلمة : ( أرهقتهم ) ينظر إليها في علاقتها الدلالية مع كلمة: ( القوادح ) .

إنّ الغشية ، والتعب الشديد ينسجم مع الألم الذي يسببه ذلك الشيء المسنّن، وهذا التوازي الدلاليّ نتج عن اختزالهما الدلالة العميقة لهذا النظام المتوازن .

## ثانياً: إيقاع التركيب .

### 1 . التوازي الدلالي

أما في اللغة؛ لغة الخطاب؛ فالتوازي يعدُّ بديلاً لسانياً حلَّ محلَّ المفاهيم التي تختزل أشكال التوازي والتناظر البلاغية كلها، و: " هو عنصر قد يحتلّ المنزلة الأولى بالنسبة للفظ اللفظي " (1) .

ويمثل بنية تماثل بنية مجاورة لها ، أو مجموعة بناء في ( وحدة الوزن ) بغض النظر عن اختلاف دلالة كل بنية، و : " هو من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل تماثل في الطول، والنغمة ، والتكوين النحوي ، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب " (2).

فمبدأ التوازي يقوم على المجاورة، والتماثل ( الانسجام الصوتي ) بين بنيتين فأكثر؛ ولا سيما في النثر، أما في الشعر؛ فقاعدته الصوتية في تماثل أبياته، أو أشطار الأبيات ، ووحدة الوزن العروضي .

ف : " كلما كان التوازي عميقاً متصلاً بالبنية الدلالية كان أحفل بالشعرية . وأكثر ارتباطاً بالتشاكل المكوّن للشعر في مستوياته العديدة " (3).

وقد لا تتساوى البنى المتجاورة في الطول، والشكل، والنهايات، وقد لا تحقق انسجاماً في التركيب النحوي، أو الصرفي، أو البلاغي، فهو تأليف ثنائي يقوم على أساس التماثل الذي لا يعني التطابق (4) ، ويقوم الإيقاع المتناوب في هذه البنى مهما كان نوع تركيبها، وشرطه تجاوز البنى على الرغم من التغير في الأشكال اللفظية الدالة، أو الضمائر، أو الأسماء، والأفعال، أو القواعد النحوية، والأساليب البلاغية .

وإنّ هذا الإيقاع المتناوب يثير في السجع انسجاماً صوتياً ، ويثري دلالة كل بنية ، فضلاً عن تأثيره في المتلقي؛ نفسياً، وجمالياً، ويطلق عليه البلاغيون العرب ( التشطير ) (5)، وحين نتفحص معناه في معجمات اللغة نجده يعني : المواجهة ، والمقابلة (6).

(1) قضايا الشعرية : رومان ياكسون، تر. محمد الولي مبارك حنوز، ط1 ،دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م:

103 .

(2) بلاغة الخطاب وعلم النص : 198

(3) المصدر نفسه: 199.

(4) ينظر: قضايا الشعرية: 103.

(5) البديع في البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ(584هـ)، تح عبد آ. علي مهنا، بيروت، 1987م : 216 .

(6) ينظر: لسان العرب : مادة ( و ز ن ) .

أما في النقد العربي؛ فقد ظهر هذا الاصطلاح عند العلويّ في كلامه عن السجع ، قال : " فإن اتفقت الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن سُمّي ( المتوازي ) " (1) ، واعتمد الأوائل على النصّ الكريم؛ قال تعالى : "فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ" (2).

لذلك؛ فالتوازي يؤدّي . في النثر . الأثر نفسه الذي تؤدّيه القافية في الشعر؛ نظراً لامتلاكهما الوظيفة الجماليّة نفسها ، الناتجة عن وجود مبدئين متلازمين ؛ هما: مبدأ: (التجانس الصوتي) ، أي : اتفاق الفواصل في الحرف ، ومبدأ : ( التجانس الخطّي ) ، أي : اتفاق الفواصل في الوزن .

ويعدّ التقابل توازياً إن كانت هناك بنية ما، أو أكثر تناظر بنية ، أو بنى مثلها ( مغايرة ، أو نقيضة بالمعنى ) .

و : " من التوازي ما يأخذ معناه من داخل هذه التناقضات التي يثيرها ، فيقيم من وسط التناقض والتداعي حركة إيقاع خاصّة " (3).

وجملة القول في التوازي أنّه تكافؤ صوتيّ تكراريّ : ( ترجيع ) ، ( تماثل ) ، ( انسجام ) ، وهذه كلّها تدلّ على الإيقاع الثابت ، أو المتغيّر في وحدة الوزن ، وبعد؛ فهو عامل أساس في خلق الانسجام (4).

ومدار الأمر فيه ليس على القيمة الصوتيّة ، إنّما التوازي هو نتاج دلاليّ مستمرّ ، تحدّثه متغيّرات البنى نحوياً ، وبلاغياً مرتبطاً بوحدة الوزن ، ويؤدّي إلى سعة في تنوع الوصف، والاحتجاج في الموضوع الواحد .

وجملة الأمر : فالتوازي بناء إيقاعيّ يقوم على البناء الأسلوبيّ في الكلام . وعلى هذا؛ فإنّ القانون العامّ، والأساس الذي يقوم عليه التوازي؛ إنّهُ علاقة تماثل دلاليّ بين طرفين تتبني على خصيصتين متلازمتين ؛ هما : التشابه ، والتضادّ ، ما دام كلّ حرف يحتفظ بما يميزه عن الطرف الآخر .

قال ( لوتمان ) : " التوازي مركب ثنائيّ التكوين، أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر يرتبط مع الأول بعلامة أقرب إلى التشابه ، بمعنى أنّهما ليست علامة تطابق كامل ، ولا مباين مطلق ، ومن ثمّ فإنّ هذا الطرف الآخر يحظى من الملامح العامّة بما يميزه الإدراك

(1) الطراز: 407 .

(2) سورة الغاشية : الآيتان 13 و 14 .

(3) ينظر : البنى الإيقاعيّة في مجموعة محمود درويش ( حصار لمذائح البحر ) : بسام قطوس ، مجلة أبحاث

البرموك، م9 ، ع1 ، 1991م : 61 .

(4) ينظر : قضايا الشعرية : 106 - 107 .

من الطرف الأول ، ولأنهما . في نهاية الأمر . طرفا معادلة، وليسا متطابقين تماماً؛ فإننا نعود ونكافئ بينهما على نحو ما، ونحاكم أولهما بمنطق خصائص وسلوك ثانيهما " (1).

ومثال ذلك ما جاء في قول الإمام ( سلام الله عليه ) ، وفيه توازٍ تامّ :

" واعلموا . عباد الله . أَنَّ الْمُتَّقِينَ  
 ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الآخِرَةِ // تشابه وتضادّ  
 فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ،  
 وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ // تشابه وتضادّ  
 سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ // تشابه  
 وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ "

فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ  
 وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ " (2) . // تشابه وتضادّ

ويدلّ التوازي هنا على علاقة التشابه، والتضادّ في حياة المتقين، وعلاقتهم بالآخرة، وسلوكهم مع غيرهم في الدنيا، وبهذا يحقق التوازي قيمة استدلالية منطقية في بيان واقع حال في نظر الإمام "عليه السلام" .

وتوازٍ خاصّ ، وهو ما تتحقق فيه سلسلة من التضادّ في الصفات الإلهية :

قال الإمام في وصيّته :

" وَاَعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ المَوْتِ // هُوَ مَالِكِ الحَيَاةِ "

وَأَنَّ الخَالِقَ // هُوَ المُمِيتُ "

(1) تحليل النصّ الشعريّ مهاده نقدي : تر محمد أحمد فتوح، النادي الثقافي الأدبي، جدة، 1999م : 178 .  
 (2) نهج البلاغة : ك 27 / 516 .

وَأَنَّ الْمُفْنِي // هُوَ الْمُعِيدُ

وَأَنَّ الْمُبْتَلِي // هُوَ الْمُعَافِي " (1).

فمالك الموت // الحياة

الخالق // المميت

المفني // المعيد

المبتلي // المعافي

كلها ترتد على وجه : ( التضاد ) إلى الله تعالى ، والتوازي هنا يؤكد هذه التضادات باستعمال الجمل الاسمية المؤكدة .

ذلك أن : ( هو ) ضمير ارتكاز ، وما بعده يأتي خبراً ، وهو أبلغ صيغ التوكيد في العربية .  
وانبنى التوازي في بنيات النصّ الخطابى على مجموعة أصداد تخبر بالصفات المتلازمة،  
والمتماثلة دلاليّاً في الذات الإلهية ، وتخرج إلى توكيد القدرة الإلهية على الإحاطة بمصائر  
الخلق جميعاً .

والنوع الآخر من التوازي الدلاليّ في "نهج البلاغة" هو "التوازي الشرطي" الذي يكون مبنياً على  
مجموعة قيم معينة ، ترتدّ كلها إلى موقع ثابت .

ومثاله ما جاء في قوله ( سلام الله عليه ) :

" يا بُنَيَّ ! اجعل نفسك ميزاناً في ما بينك // وبين غيرك

فأحِبُّ لغيرك ما تُحِبُّ لنفسك ،

واكره له ما تكره لها ،

ولا تظلم كما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ،

وأحسن كما تُحِبُّ أَنْ يُحَسَّنَ إِلَيْكَ ،

واستقبخ من نفسك ما تستقبخه من غيرك ،

وارض من الناس ممّا ترضاه لهم من نفسك ،

(1) نهج البلاغة : ك 31 / 531 .

ولا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ وإنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ ،  
ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لك " (1).

فهذه القيم ترتد كلها إلى موقع ثابت؛ هو النفس في مطلع قوله : " اجعل نفسك ميزاناً " .

ويرد توازٍ آخر ينبني على المفاضلة بين أشياء متناقضة في قوله " عليه السلام " :

" واعلم أن أمانك عَقَبَةٌ كَوُوداً ،  
المُخَفُّ فيها أحسنُ حالاً من المُثَقِّلِ ،  
والمُبْطِئُ عليها أقبحُ حالاً من المُسْرِعِ ،  
وأنَّ مَهْبِطَكَ بها لا محالة إمَّا على جَنَّةٍ ، أو على نارٍ ،  
فارتدْ لِنَفْسِكَ قبلَ نُزُولِكَ ،  
ووَطِئِ المَنْزَلَ قبلَ حُلُولِكَ ،  
فليسَ بعدَ المَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ،  
ولا إلى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ " (2).

يقوم التوازي هنا على إيجاد معادلات تنتهي إلى تفضيل عالم الجنة على النار، وذلك في موازنة متناقضة هي الحياة الدنيا// الآخرة وما بينهما (الموت )، وبذلك حقق التوازي ضرباً من التذكير على سبيل الوعظ بمصير الإنسان .

وتأتي بنى الاشتراط السببي في متون الخطاب النصي في نهج البلاغة ، وهو كل بنية مشروطة بقيام البنية الثانية، وبالعكس ، وذلك في قوله " عليه السلام " :

" وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق  
حقُّ الوالي على الرَّعِيَّةِ  
وحقُّ الرَّعِيَّةِ على الوالي ،  
فريضةٌ فَرَضَهَا اللهُ سبحانه لِكُلِّ على كُليٍّ ،  
فَجَعَلَهَا نظاماً لألْفَتِهِمْ //  
وعِزّاً لدينِهِمْ //  
فليست تصلحُ الرَّعِيَّةُ إلا بصلاحِ الوُلاةِ ،  
ولا تصلحُ الوُلاةُ إلا باستقامةِ الرَّعِيَّةِ

(1) نهج البلاغة : ك 31 / 533 .

(2) المصدر نفسه : ك 31 / 534 .

فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ،  
 وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا  
 عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ  
 وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ ،  
 وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ ،  
 وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ ،  
 فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ ،  
 وَطَمِعَ فِي بَقَاءِ الدُّوَلَةِ ،  
 وَيَسَسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ  
 وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهْيَا // وَأَجْحَفَ الْوَالِي بَرْعِيَّتَهُ  
 اخْتَلَفَتْ هُنَاكَ الْكَلِمَةُ  
 وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ  
 وَتَرَكْتَ مَحَاجُّ السُّنَنِ ،  
 فَغَمِلَ بِالْهَوَى // وَعُطِلَتِ الْأَحْكَامُ ،  
 وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ ،  
 فَلَا يُسْتَوْحَشُ بِعَظِيمِ حَقِّ غُطْلٍ ،  
 وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعْلٍ " (1) .

ويأتي الاستدلال بالوصف على أهل النفاق على شكل سلسلة بنى متوازية في إطار الوصف  
 المتصل ، الذي يقوم على الاستيفاء ؛ استيفاء الحالات .  
 ومثله قوله "عليه السلام" :

" وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ // الْمُضِلُّونَ ،  
 وَالزَّالُّونَ // الْمُرْتَلُونَ  
 يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا //  
 وَيَفْتَنُونَ افْتِتَانًا //  
 وَيَعِيدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ //  
 وَيِرْضُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ //

(1) نهج البلاغة : خ 214 / 450 - 451 .

قلوبُهُمْ دَوِيَّةٌ //  
وصفاهُم نَقِيَّةٌ ،  
يمشونَ الخفاءَ //  
ويدبُّون الصِّراءَ //  
وصفُهُم دَوَاءٌ //  
وقولُهُم شِفاءٌ //  
وفعلُهُم الدَّاءُ العِيَاءُ ،  
حسَدَةُ الرِّخاءِ //  
ومؤكِّدو البلاءِ //  
ومقنطو الرِّجاءِ .... " (1).

وكذلك يرد التوازي الوصفيّ في قوله "عليه السلام" :  
" وإنَّمَا الدُّنْيَا منتهى بصرِ الأعمى ،  
لا يبصِرُ ممَّا وراءَها شيئاً ،  
والبصيرُ ينفُذُها بصرُهُ ويعلمُ أنَّ الدَّارَ وراءَها ،  
فالبصيرُ منها شاخِصٌ //  
والأعمى إليها شاخِصٌ  
والبصرُ منها متزوِّدٌ //  
والأعمى لها متزوِّدٌ " (2).

أمّا التوازي الدلاليّ الآخر؛ فهو توازٍ يمكن أن نطلق عليه ( المعادلة)؛ فهو يحقق نوعاً من المعادلة الصوتية التي تقوم على أساس الموازنة بين الألفاظ صوتياً مع اختلاف الدلالة، ويكون ذلك بإعادة اللفظ بنوع الصور في القول بمادتين مختلفتي البناء مرتين فصاعداً، وهو ما يطلق عليه بلاغياً (الموازنة)؛ أي: توازن الوحدات اللغوية التي ترد باطراد داخل البنية الواحدة، وتتكرّر بإيقاع متوازن مع وحدات لغوية أُخر في بنية متجاورة، أو سلسلة من البنى، وقد جاء مثال ذلك في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى:

(1) نهج البلاغة : خ 192 / 418 - 419 .  
(2) المصدر نفسه : خ 133 / 281 .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا  
فَيَذَرُهَا قَاعًا  
صَفْصَفًا  
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا  
وَلَا أَمْتًا (1)

وتأتي وظيفة توازي المعادلة في الخطاب القرآني وظيفية احتجاجية توقع الرهبة في قلب السامع  
أثر ذلك التردد الإيقاعي الخاص به .  
وجاء في نصوص "نهج البلاغة" مثل ذلك في قوله "عليه السلام" :

"اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوتَاتِ، وَدَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا: شَقِيَّتِهَا  
وَسَعِيدِهَا .

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ،  
الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ،  
وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ،  
وَالْمُعَلِّنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ،  
وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ،  
وَالدَّامِعِ صَوْلَاتِ الْأَصَالِيلِ،  
كَمَا حُمِلَ فَاضْطَلَعَ،  
قَائِمًا بِأَمْرِكَ، ....،  
وَاعِيًا لَوْحِيكَ،  
حَافِظًا لِعَهْدِكَ،

مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ; حَتَّى أُوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْخَابِطِ (2)

تأتي بنية توازي (المعادلة) في سياق النص الخطابى بصيغة ( اسم الفاعل) التي تكرر  
ترددها باختلاف مدلولاتها؛ إذ استوقف تلك المدلولات الوصف النبوي الشريف للرسول محمد  
"صلى الله عليه وآله وسلم"، وقد جاءت البنية الصرفية (اسم الفاعل) على مستويين دلاليين  
قطعت بينهما البنية التركيبية صرفياً (كَمَا حُمِلَ فَاضْطَلَعَ)، فكان المستوى الدلالي الأول بأسماء  
الفاعل (الخاتم ، الفاتح ، المعلن ، الدافع ، الدامغ) التي تساق فيها الإيقاع تردداً، باختلاف

(1) سورة طه : الآية: 105 - 107 .  
(2) نهج البلاغة: خ 71 / 146 - 147 .

مدلول وحداتها، وهي تمثل نتاج الحركة الفعلية للرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" في المجتمع، أما المستوى الدلالي الآخر؛ فقد خرجت فيه أسماء الفاعل إلى استيفاء رصد وصف الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" بالصفات (قائماً، واعياً، حافظاً، ماضياً) الثابتة فيه، وهي بنيات احتجاجية في تأدية رسالته "صلى الله عليه وآله وسلم" وبلوغ أثرها في المجتمع، ذلك البلوغ الذي حقق نتيجة الاستدلال في (حتى أورى قيس القابس، وأضاء الطريق للخابط). وفي نص آخر قال "عليه السلام":

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ،  
 وَسَلَّمًا لِمَنْ دَخَلَهُ،  
 وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ،  
 وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ،  
 وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ،  
 وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ،  
 وَتُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ،  
 وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ،  
 وَتَبْصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ،  
 وَعِبْرَةً لِمَنْ انْتَعَطَ،  
 وَجَاهًا لِمَنْ صَدَّقَ،  
 وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ،  
 وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ،  
 وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.  
 فَهُوَ أْبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَاضِحُ الْوَلَانِجِ"<sup>(1)</sup>.

يأتي توازي المعادلة في النص الخطابي بصيغة (المصدر) الدالة على ثبات الصفة فيه، فجاءت المصادر الأولى في النص (أمناً، سلماً، برهاناً) ممثلة بنى تفسيرية لمن يتخذ الإسلام ديناً، وهي من مقدمات موضوع الاستدلال (بساطة شرائع الإسلام لواردية) أدت بإيقاعها الصوتي الترددي أثراً يوقع في النفس الرغبة في ورود الإسلام والدخول فيه .

(1) نهج البلاغة: خ 230/105 – 231.

وجاءت صيغة اسم الفاعل (شاهداً) محدثة قطعاً صوتياً بوصفها بنية احتجاجية في النص؛ إذ اتفقت هذه الصيغة مع دلالة التركيب ( لمن خاصم به)، فالخصومة تحتاج إلى شهادة الآخر، ثم إنها بنية نقلت صيغة (المصدر) من وظيفته التفسيرية إلى وظيفة احتجاجية في المستوى الآخر في البنى المتوازية من النص في الصيغ ( نوراً، فهماً، لباً، آية، تبصرة ، عبرة، نجاة، تقة، راحة، جنّة) لنبرهن دلالة وإيقاعاً نتيجة موضوع الاستدلال (فهو أبلج المناهج، وأوضح الولايج ) .

وجملة الأمر؛ فإنّ ما تحقّقه هذه الوحدات اللغوية المتوازية بطريق المعادلة احتجاجاً واستقصاءً ( استيفاء وصف الحالات )؛ فضلاً عن تساوق الإيقاع المرّد على كلّ وحدة منها؛ مؤتلفاً بغيرها صوتياً مع اختلاف الدلالة، وتغاير الصورة في كلّ وحدة منها .

## 2. التوازي الإيقاعي

ويأتي التوازي بنسق آخر في الخطاب النصي في قوله "عليه السلام" التي تقف نهايات العبارات فيه على القافية التي تلزم نهاية عبارات متشابهة في الإيقاع، والذي تحدث فيه القافية : " تجانساً صوتياً يوحى دائماً بقرابة معنوية " (1) تتصل بدلالة النص الخطابى، فهي " كغيرها من الصور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى " (2).

ويقوم النص الخطابى للإمام "عليه السلام" في أغلبه على عنصر التحول الإيقاعي بالتنوع في القافية، وعلى وفق النسق النغمي الذي يفرضه إيقاع النص، وكانت نتيجة هذا التنوع في القوافي إشارة إلى عناصر الخيال عن طريق تحول القافية من شكل إلى آخر ضمن النص الواحد.

ورد عنصر التوازي في خطب " نهج البلاغة "، في قول الإمام "عليه السلام":

" وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا، وَإِلَى الأَخِرَةِ وُلاَهَا. وَلَا تَضَعُوا مَن رَفَعْتُهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَن رَفَعْتُهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ. أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيةُ العُنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الحُرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الحُورُونُ، وَالْجَحُودُ الكُنُودُ، وَالْعُنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ المَيُودُ. حَالُهَا انْتِقَالٌ، وَوِطَانُهَا زَلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزَلٌ، وَعُلُوهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٌ، وَنَهْبٌ وَعَطْبٌ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمْ المَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمْ المَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمْ المَحَاوِلُ: فَمِنْ نَاجٍ مَعْفُورٌ، وَلَحْمٌ مَجْزُورٌ، وَشَلْوٌ مَذْبُوحٌ، وَدَمٌ مَسْفُوحٌ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٌ لِكَفِّيهِ، وَمُرْتَفِقٌ بِخَدْيِهِ، وَزَارٌ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٌ عَنِ هَرَمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ العِغْلَةُ. (3).

يحمل النص رؤية ضدية لعلائق الدنيا، ومغرياتها، تمثلت بمقدمة الاستدلال بالجملة الطلبيّة : ( وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا ) لموضوع الاستدلال في النص، وهو ( الزهد بالدنيا والإدبار عنها )، التي أكدتها النتيجة الاستدلالية في النص، المتمثلة بعبارة ( وَمَصَّتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بِأَلِهَا )

(1) بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ، تر محمد الولي محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، ط1 1986م : 75 .

(2) المصدر نفسه : 74 .

(3) نهج البلاغة : خ 189 / 392 - 393 .

وجاءت الجمل المتوازية في النصّ مصادر أدلّة موضوع الاستدلال التي وردت على أشكال بنائية متشاكلة مشحونة بتفاعل صوتي واحد .

فقد تنوّعت هذه الجمل بين متوازيات تامّة، ومتوازيات غير تامّة، ومتوازيات جزئية، وعلى مستويين في النصّ :

أولهما : المستوى الأفقيّ ( مستوى بناء الجملة الواحدة ) .

الثاني : المستوى العموديّ ( مستوى بناء النصّ ) .

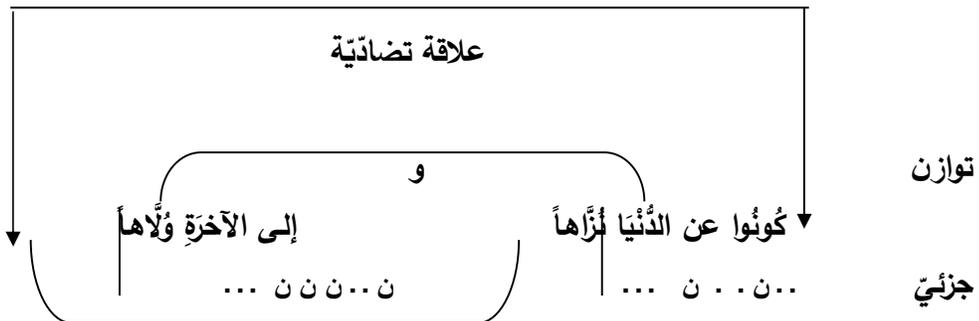
إذ تشكلت تلك البنى بين بنى متغايرة بتغاير النتاج الدلاليّ لها، وبنى متشابهة تؤدّي تفصيل البعد الدلاليّ، أو تأكيده، والمؤدى الوظيفيّ الذي يشترك مع الصوت في نتاج دلالة النصّ .

وإنّ هذا التغاير، والتشابه، وما يتضمّنه من دلالات، وسمات جماليّة يُلحظ فيه حشد من البنى الصياغيّة الصوريّة بحسب متطلبات الموقف، التي تعتمد على الإيقاع سعة لها، الذي يهبها جماليّة لغويّة واضحة .

إنّ رصد هذه المستويات الصياغيّة في البناء النصّي لهذه الخطبة على مستوى الدلالة، والإيقاع، والصورة، والبناء تثري الموقف، أو الحدث في وحداته الجزئية ( الجملة )، أو وحداته الكبرى ( مجموعة الجمل ) بالتشاكل الوظيفيّ المؤدى للنصّ من مجموع التحوّلات بين وحداتها الإيقاعيّة المثيرة للانفعال التي امتازت بالانفتاح، والشمول، والاتساع في النصّ إلى إغناء السامع، والمتلقي، وتحقيق درجة إقناعيّة تامّة بموضوع الاستدلال .

يرتسم التشكيل البيانيّ على أساس تشابه ما نسمّيه ( نهاية الجمل ) ، وهي ما وجدناه في اتحاد القافية، فيكون كما يظهر في أدناه :

مغايرة موضوعيّة ( زمنيّة ) تتضمّن البعد الزمنيّ لحياة الإنسان

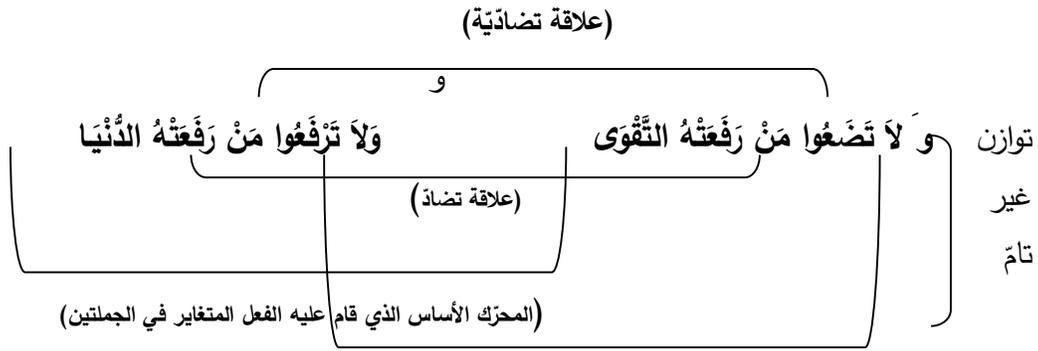


علاقة تضادّية تجمعهما وحدة قافية

فعلى المستوى الأفقيّ للجملة الخبريّة المتوازية أعلاه يكون فيها التوازي جزئيّاً، وهذا ما اقتضته المغايرة الدلاليّة التي أدتها العلاقة التضادّية في تركيب الجملتين بين : ( الدنيا ) ، و : ( )

الآخرة ( لکنهما اشتراكاً بوحدة القافية ( . . ) في (زاهاً) و (لاهاً) في كلمة: ( نُزَّاهاً)، وكلمة : ( وَّلَّاهَا )؛ إذ يحتمل المعنى الأول مضمون : ( النقصان ) متمثلاً بالزهد، ويحتمل المعنى الثاني مضمون:

( الزيادة ) متمثلاً بطلب الآخرة التي أدت إلى الانسجام الإيقاعي .  
فيكون التوازي تاماً باتحاد القافية، وتوازناً جزئياً بالفارقة الموضوعية نتج عن زيادة الفعل الطلبي في الجملة الأولى؛ لضرورة وجوده في بنية الطلب المتصدرة الكلام .  
يتسع الإخبار ليشمل التركيبية الثانية ، هي :



### علاقة توافقية في صيغة الطلب ( النهي )

ويأتي وزن هذا التركيب الثنائي على وزن بحر الرجز التام كالاتي بيانه:

لَا تَضَعُوا مَن رَفَعْتَهُ النَّقْوَى / لَا تَرْفَعُوا مَن رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا  
 لَا تَضَعُوا مَن رَفَعْتَهُ النَّقْوَى / لَا تَرْفَعُوا مَن رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا  
 - ن - ن - / - ن - - - / - ن - ن - - -  
 مستعلن مستعلن مستعمل / مستعلن مستعلن مستعمل

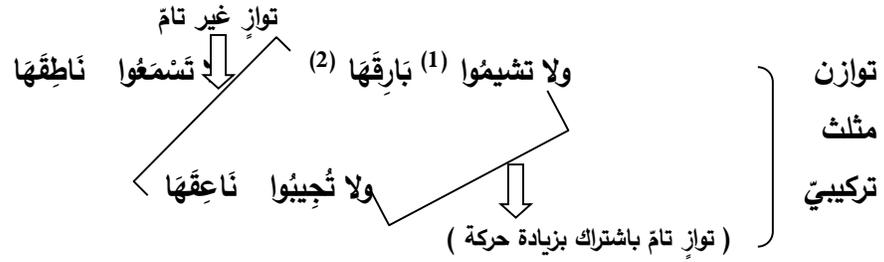
فعلى المستوى الأفقي اتحدت بالقافية ( . . ) نفسها في كلمة (تقوى) و كلمة (دنيا) في التركيب الأولى، وفيها كاد يكون التوازي تاماً لولا أن اختلاف دلالة الفعل : ( تضعوا ) عن دلالة الفعل : ( ترفعوا ) تطلب وجود حرف متحرك زائد هو : ( ز )؛ لينسجم و دلالة الرفع التي تتطلب استمرار الحدث، وهذه الزيادة تتضمن القوة بمعنى حسبي، التي يحتاج معها إلى زيادة خلاف الوضع الذي تساعد قوة الجذب في إسقاطه .

تتجلى فاعلية الفعل الطلبي : ( لا ترفعوا ) متضامناً مع الفعل : ( لا تضعوا ) ، وهما فعلا الحاضر الذي يتطلب الحركة؛ إذ تجمع بينهما علاقة تضادية منسجمة مع التضادات الأخرى في المتوازنية، فهي تأتي مجتمعة في إثراء دلالة ثبات مكانة المتلقي، وتقويتها .

إنّ هذا التشكيل الرباعيّ الذي جمع تركيبتي التوازي قد اجتمع بوحدة القافية ، وإن اختلفت في اللفظ بين المتوازيتين .

وهذا الأثر الإيقاعيّ ولدته وحدة الدلالة باتجاه طلب الآخرة بترك الدنيا، بالزهد فيها، وطلب التقوى، فهذا التتابع بين الجمل نتج علاقات خطيّة أثّرت مؤدّى الكلام المنجز .

يستمرّ الإخبار على المستوى الأفقيّ في النصّ إلى حدّ تشكيل لفظيّ آخر، بتحوّل إيقاعيّ مغاير، أضفى على النصّ مزيداً من التدفق، والامتداد في قوله "عليه السلام" :



ويأتي هذا التركيب الثلاثي على الأوزان الآتية بيانها:

لا تشيّموا بارقيها / لا تُجيبوا ناعقها  
 لا تشيّموا بارقيها / لا تُجيبوا ناعقها  
 - ن - - ن - / - ن - - ن -  
 فاعلاتن مستعلن / فاعلاتن مستعلن

لا تسمّعوا ناطقها  
 لا تسمّعوا ناطقها  
 - ن - - ن -  
 مستعلن مستعلن

في هذه المتوازية نجد حضوراً لأفعال الحواسّ في: ( تشيّموا ) اشتملت على حاسة البصر، و: ( تسمّعوا ) اشتملت على حاسة السمع، و: ( تجيبوا ) اشتملت على حاسة النطق، ومشاركة أكثر من حاسة يساهم في الإحاطة بالموضوع، فهي وسائل العقل لإدراك العالم الخارجي، وإحضار هذه الحواسّ الثلاث يساعد في بناء موقف أكثر وعياً؛ يحرك هذه المتوازيات الثلاث إذ اشتركت

(1) شام البرق : نظر إليه أين يمطر ، ينظر : لسان العرب : مادة : ( ش ا م ) .  
 (2) بارقيها : السحاب : ينظر المصدر نفسه : مادة : ( ب ر ق ) .

الجملتان؛ الأولى، والثالثة بتوازٍ تامّ، وافترقتا مع الجملة الثانية؛ وذلك للدلالة التي يخرج إليها  
 الفعلان؛ باشتراكهما في زيادة حركة في نتاج فعليهما أثرت في فقد المتحرّك في أوزانها .  
 فوزن الفعلين : ( لا تشيما ) ، و : ( لا تجبوا ) هو : ( . ن . . ) ، ووزن الفعل : ( لا تسمعوا  
 ) هو : ( . . ن . ) ؛ لأنّ عملية الإصغاء لا توجب تلك الحركة الزائدة .  
 وفي هذا المثلث التركيبيّ الإيقاعيّ؛ نجد أنّ القافية قد اتفقت في أوزانها، وفي نهاياتها، وهي :  
 ( . ن . ن . ) في الكلمة (بارِقَها) والكلمة (نَاطِقَها) والكلمة (نَاعِقَها). منتجة إيقاعاً قوياً يتناسب  
 مع حواسّ الإنسان التي تتأثر بشدّة مع الوقع الصوتي .

تستمرّ صيغة الطلب بمتوازية ثنائية؛ لترتبط بعلاقة ربط، وتؤكد بمتوازيتين ثنائيتين  
 تجتمع جميعاً بوحدة القافية ( . ن . ) ، وهذا الربط يتضمّن تأكيد ما نهى عنه الإمام "عليه  
 السلام"، وترسيخه في المتوازيات السابقة من جهة، ومن جهة أخرى تصفي دلالة الاستمرار  
 لسوء أحوال الدنيا من دون استثناء ، ففي قوله "عليه السلام":

←	توازٍ غير تامّ)	وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا	وَ لَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا
←	علاقة ربط وتوكيد) فَإِنَّ	.. ن . . ن . .	.. ن . . ن . .
←	توازٍ تامّ)	بِرَقِّهَا إِخَالِبُ	و نُطَقُّهَا كَذِبُ
←	توازٍ تامّ)	وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ	وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ

يأتي التركيب الثالث على وزن (مجزوء الرجز) الآتي بيانه:

أَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ / أَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ مجزوء الرجز  
 أَمْوَالُهَا مَحْرُوبَتُنْ / أَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَتُنْ  
 - - - ن - - - / - - - ن - - -  
 مستعلن مستعلن / مستعلن مستعلن

إنّ في علاقة الربط والتوكيد بصيغة : ( فَإِنَّ ) مع مصادر أدلة الاستدلال في البنى التي سبقتها  
 باختلاف الصيغ اللفظية، واتفاق القافية في تشكيلة التوازي التامّ .

وهذا تتوّع صياغيّ آخر تضمّن مترادفات، وهي سمات متنوّعة قالها الإمام "عليه السلام" بمفردات دقيقة تحوم على معنى الانتخاب بافتراقها الدلاليّ؛ ممّا يكشف التقرّد اللغويّ في أسلوب خطبه وحكمه في "نهج البلاغة" "عليه السلام" .

إنّ هذه المترادفات عززت سلاسة البنيات التركيبيّة الوزنيّ واتفاقها، مولّدة متوازيات تامّة أثرت المعنى الذي يخرج إلى رسم سلسلة من الصور التمثليّة في الاستضاءاة بإشراق الدنيا، والافتتان بعلاقاتها، فنأتي صيغة التأكيد في إظهار خداع براقها، وكذب منطقتها، مصوّرة حال أموالها المنهوبة .

أمّا الحركات الإيقاعيّة بقافيتها المتناغمة؛ فقد خلقت حيويّة، وخصوبة في نصّ هذه المتواليات المتتابعة في النسق الإيقاعيّ، التي تتناغم و الحركة الداخليّة لها، مولّدة دفقة إيقاعيّة تفيض بتلك الحياة، وذلك الخصب .

ونجد أنّ التوازي التامّ الذي شمل المتوازيّتين؛ الثانية ، والثالثة . وكادت تكون المتوازية الأولى تامّة لولا اشتغال الفعل : ( تستضيؤوا ) على : ( التاء )، و : ( السين ) التي تغيد الزيادة في الطلب .

ودخول : ( لا ) حرف النهي والجزم عليه أفاد الاحتراز الشديد من طلب هذه الزيادة، فاتجه التوازي إلى غير تمامه؛ لضرورة دلالة الفعل؛ وهذه المتوازيات الثلاث وإن اختلفت في تركيبها، وصيغها جميعاً لكنّ الإيقاع الصوتيّ الناتج عن اتحاد القافية ( ن . ن ) في الكلمة ( راقِها )، والكلمة ( لاقِها )، والكلمة ( خالِب )، والكلمة ( كاذِب )، والكلمة ( رُوبَة )، والكلمة ( لُوبَة ) التي تكون نهاية التراكيب قد أثرت تلك الرابطة التوكيدية في اتحاد الدلالة .

يستمرّ الإخبار بالجمل الاسميّة في النصّ، متضمّنة حضوراً فاعلاً للصفة التي جاءت على صيغة اسم الفاعل : ( المتصدّية ) ، و : ( الجامحة ) ، و : ( المائنة ) الدالّ على ثبوت الصفة بها، أو على صيغة المبالغة التي تؤدّي دلالة التكثير والمبالغة من تلك الصفات فيها، وجاءت في سياق التركيبيين المثلثين المتواليين في النصّ :



: ( الجامحة ) التي تخرج دلالتها إلى الرفض العنيف ، و : ( المائنة ) التي تخرج دلالتها إلى تغيير الحقائق، لكنّها اتفقت باتحاد وزن النهايات (ن . ن .) واتحاد القافية :  
( .. ) ل (نُونُ) في كلمة (العنون)، و(رُونُ) في كلمة (الحرون)، و(ثُونُ) في كلمة (الخُنُون)؛ إذ تنتهي هذه القافية بصوتي ( و ن ) منتجة إيقاعاً ثراً بما يتصف به صوت : (النون) من دلالة الشجن والأسى ؛ فقد عمّقه صوت : ( الواو ) بمدّيته ، مشيرة إلى دلالة الأسى منسجماً مع الصفات المخلوعة عن الدنيا .

ويستمرّ الحدث الواحد بالاسترسال الأسلوبيّ نفسه في المثلث التركيبيّ المتوازي التامّ الثاني بالقافية ( .. ) نفسها ل (نُونُ) في كلمة (الكنودُ)، و(دُونُ) في كلمة (الصدودُ)، و(يُونُ) في كلمة (الميودُ) ، مع اختلاف المقطع الأخير منها الذي ينتهي ب : ( و د ) حيث أدى إلى كثافة صوتية بهذا المقطع الإيقاعيّ .

فكلا الصوتين : ( الواو ) ، و : ( الدال ) مجهوران جاء في سياق صيغ المبالغة على وزن: ( فعول )؛ لتثري دلالة هذا المثلث التركيبيّ : ( سلبية الدنيا )، التي ركزت في ذهن السامع تلك الحلقة المغلقة من المؤثرات السلبية في من يلهث وراءها .

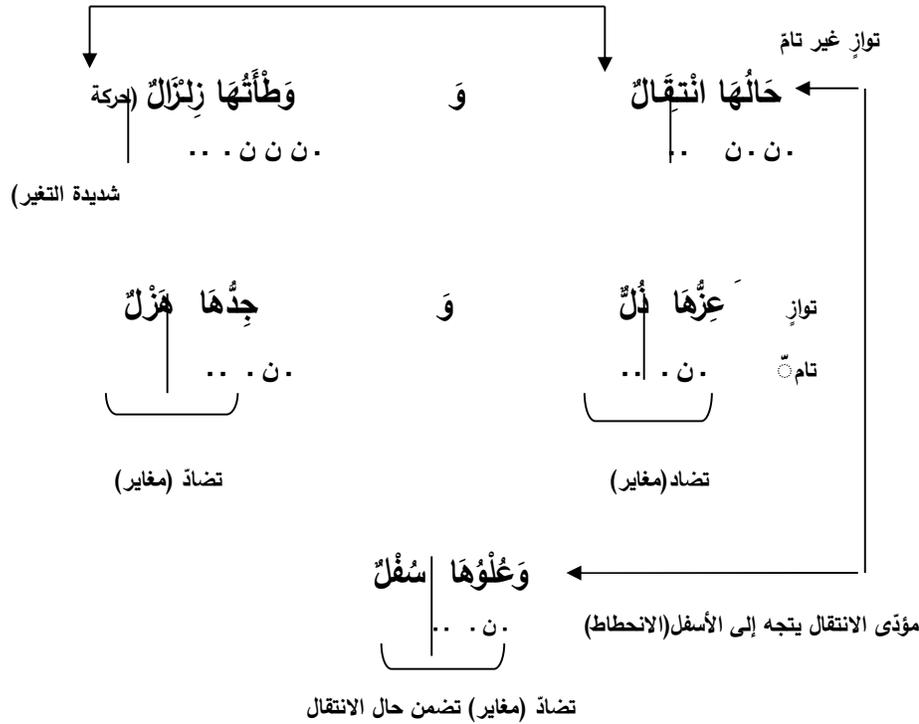
واللافت للنظر في هذا المثلث التركيبيّ وسابقه، أن الصفات كلّها جاءت مبتدأة بحروف قمرية إلا صفة: ( الصدود ) في المثلث التركيبيّ المتوازي التامّ الثاني، فقد بُدئت بحرف شمسيّ؛ لخلق هذا التوازي التامّ، ويتفق مع دلالة العناد في الصفة التي تسبقه؛ لأنّهما صفتان تحتاجان إلى حركة إضافية .

إنّ مجموع البنى المتجاورة في المثلثين المذكورين أنفأ، التي تربط بينها وحدة القافية بتتوّع المقطع الأخير منها، الذي جاء التوازي تامّاً الغالب عليها في سياق النصّ أثر في وحدة الأثر الإيقاعيّ، وأكّدت موسيقيّته؛ لتوجيه ذهن السامع إلى مركز ثقل النصّ في هذين المثلثين التركيبين، التي تمثل سلبية الدنيا المطلقة ، وحثّه على تجنّبها؛ لخطورة تلك السلبيةّ .

وتتّضح مقدرة الإمام "عليه السلام" في تصريف الألفاظ وتنسيقها، فجعل منها لغة جديدة، تشتمل على كثير من الحيويّة، والحركيّة، والإيقاعيّة، الذي يؤدي بها إلى تكثيف المعاني، ويجعلها شديدة الإيحاء بمغايرة إيقاعيّة تتمثل بتحوّل آخر بقافية جديدة ضمن ألفاظ تتعدّى دلالتها المعجميّة إلى معانٍ أخرى تفيض بالانفعالات والأفكار الجديدة .

ففي التركيب الخماسي الذي جمعته وحدة القافية : ( .. ) ، وتضمن متواليتين متوازيتين بتوازٍ غير تامٍّ في الأولى ، وتوازٍ تامٍّ في الثانية في قوله "عليه السلام" :

### علاقة معنوية توافقية مؤكدة لدلالة تغيّر الدنيا

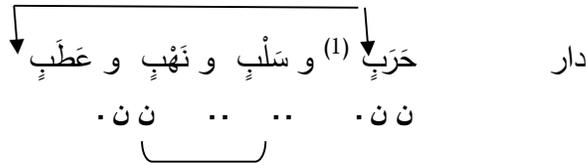


يشتمل هذا التركيب الخماسي على جمل خبرية وحدت إيقاعها وحدة القافية : ( .. ) ؛ إذ إنها حفلت بالمغايرات اللفظية : ( المتضادات ) في جملها المتوازية كلها . فقد أثرت هذه المزوجات الضدية دلالة النص بالتحريض والتأثير في السامع على رفض الدنيا؛ لثبات التغيّر المستمر فيها، الذي يتجه إلى الانحطاط الذي تركّز في الجملة الخامسة : (عُلُوُّهَا سُفْلٌ) .

ويتجلى الأثر الصوتي في هذا التركيب الخماسي بالإيقاع، وارتكاز القافية : ( .. ) على حرف الروي : ( اللام )، وهو صوت مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، ويتّصف بالانحراف الذي ينسجم و دلالة الألفاظ : ( انتقال ) ، و : ( زلزال ) ، و : ( ذل ) ، و : ( هزل ) ، و : ( سفلى ) التي تقضي إلى كثرة انحرافات الدنيا عن مستوى الثبات .

ويُرى أنّ التوازي . جزئياً . في هذا المقام جاء متناسباً ومنسجماً و حالة تغيّر الدنيا، ممّا أكّد إيقاعه في تركيز ذلك التغيّر في ذهن السامع، وأنّ هذا التوازي في الجمل يحاكي الأثر النفسي للسامع .  
 فهذا التقطيع المنظم، والمتواصل يعكس التقلّب لحال الدنيا، وأثر هذا التقلّب في إقناع السامع في عجزه عن اللحاق بها، والإمساك بأطرافها؛ لتباعد أجزائها .  
 يتصل النصّ الإخباريّ بالجمل المتوازية المتقدّمة الذكر بالجملة المفسّرة لحالة التغيّر، والتقلّب، والسليبيّة في نصّ قوله "عليه السلام" :

حركة تتجه باتجاه الهلاك ←



دلالة مكثفة تركز عملية السلب ( حَرْبٍ )

يتشكّل التوازي في هذه العبارة بنحو جديد؛ يتحدّد بوقوف كلّ لفظين على وزن واحد؛ إذ تكون اللفظة الأولى، والأخيرة متحدّتين بوزن : ( ن ن . ) ، واللفظة الثانية ، والثالثة متحدّتين بوزن : ( .. ) .

وهذا توازٍ بنحو جديد أيضاً في النصّ، فيتشكّل الإيقاع بتنغيم متناوب، والتوازي على هذا النحو جاء منسجماً و هذه الصيغ ذات الاقتصاد اللغوي؛ لأنها : " تتضمّن اليُسْر بتوسطها بين الأحادية الصارمة، أو الثنائية الضيقة، وبين ما بعد الثلاثيّة من تعقد وانتشار " (2).

في هذه الصيغ حشد من المعاني التعبيريّة المختلفة التي تحمل في طياتها دلالات مختلفة في صور إيقاعيّة واحدة كوّن فيها حرف الروي : ( الباء ) بجهره ، وانفجاريّته الشديدة تلك الحركة السلبية الهائجة المتّجهة نحو الهلاك التي عكستها المترادفات المتجاورة؛ فكشفت الدلالة مجتمعة مع إيقاع القافية المتناوبة ، وخاصيّة : ( الباء ) إلى ذلك الاكتناز البنائيّ للدار : ( الدنيا ) مثلت المترادفات فيها مرتكزات بنائها، وكوّن فيها التوازي التامّ في كلّ ثنائيّ الأثر النفسي الذي يجذب ذهن السامع إلى خطورة دخول تلك الدار .

(1) حرب:سلب المال:لسان العرب:مادة:(ح ر ب).

(2) الاقتصاد اللغويّ في صياغة المفرد: فخر الدين قبّوة ، الشركة المصريّة العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 2001م : 78 .

يتحوّل الخطاب بانقطاع عن المتوازيات الدنيويّة إلى الإخبار برؤية مستقبلية عن أهلها  
بمتوازيات ثلاث مفردة اتحدت بالقافية : ( ن .. ) وتتصدّرها قافية : ( .. ) مغايرة، وبذلك يكون  
توازيًا غير تامّ ، هو :

أهلها على ساقٍ و سِياقٍ و لِحاقٍ و فِرَاقٍ  
.. ن .. ن .. ن ..

ارتبط التوازي غير التامّ لهذه البنيات بمغايرة اللفظة الأولى : ( ساق )؛ كونها اسماً للساق؛ دلالة  
القيام والاستعداد لعمل المصادر التي تلتها من سياق للموت ولحاق للماضين، وفراق عن الباقين

وقد أثر المقطع الأخير من أوزان الألفاظ في بنيات التوازي: ( اق ) في دفقة إيقاعية كبيرة  
اجتمعت فيه جهر (القاف)، وشدّته، وقلقلته التي كشفها صوت : ( الألف ) مدّاً صوتياً أثرى  
دلالة الألفاظ بتلك الطاقة الكامنة فيه؛ إذ صوّر ذلك الهياج الحركي القلق لأهل الدنيا، وقد حقق  
فيه التوازي التامّ في الألفاظ الثلاث الأخيرة وظيفة إيقاعية إقناعية على مستوى الإنجاز  
التعبيري.

ونجد في المتواليات المتوازيتين في متوازيات : ( دار ) ، ومتوازيات : ( أهلها ) الذي  
كان فيها التوازي التامّ؛ هو الغالب قد كوّن وقّمة إيقاعية مكثّفة مغايرة لبنيات التوازي الأخرى في  
النصّ، أغنى فيها الإيقاع سعة في الدلالة لتشمل : ( المكان ) ، و : ( الزمان ) ، و : ( البشر  
( ، و : ( المستقبل ) ، فعلى الرغم من قصر ألفاظها لكنّ إيقاعها أثقل السمع بمضمونها  
الكوني .

فكان أن حدث تحقيق من مستوى الخطاب المكثف إلى بنيات إخبارية وعظيمة مفسّرة تمثلت في  
قوله "عليه السلام" :

توازٍ جزئي  
قد تَحَيَّرْتُ مَذَاهِبَهَا      و      أُعْجَزْتُ مَهَارِبَهَا  
ن . ن . ن . ن . ن      . ن . ن . ن . ن . ن  
و      خَابَتْ مَطَالِبُهَا  
.. ن . ن . ن .

جمع هذه البنيات توازٍ جزئيّ جمعها اتحاد القافية ( . ن . ن . ) ، وجاء توازيًا جزئيًا؛ لأنّ  
كلّ بنية فيها افتردت في اللفظ، واتجهت اتجاهاً واحداً في الدلالة، وهي مترادفات كتفت دلالة  
( تيه البشر ) في طلبها؛ لضبايية مسالكها، وولد اتحاد القافية المنتهية بصوت : ( الهاء ) إيقاعاً

مقترناً بالتأسّف والتحرّس؛ لما لصوت ( الهاء ) من دلالة تفضي إلى هذا المفهوم، بما فيها من همس وانفتاح .

ويستمرّ النصّ بتخفيف شدّة الخطاب فيه في بنيات المثلث التركيبيّ الذي يكوّن توازياً جزئياً في قوله "عليه السلام" :

<table border="0"> <tr> <td style="text-align: center;">فَاسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ</td> <td style="text-align: center;">وَ</td> <td style="text-align: center;">لَفَطَتْهُمُ الْمَنَازِلُ</td> </tr> <tr> <td style="text-align: center;">. ن . ن . ن . ن . ن .</td> <td></td> <td style="text-align: center;">. ن . ن . ن . ن . ن .</td> </tr> </table>	فَاسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ	وَ	لَفَطَتْهُمُ الْمَنَازِلُ	. ن . ن . ن . ن . ن .		. ن . ن . ن . ن . ن .	}	توازي
فَاسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ	وَ	لَفَطَتْهُمُ الْمَنَازِلُ						
. ن . ن . ن . ن . ن .		. ن . ن . ن . ن . ن .						
<table border="0"> <tr> <td style="text-align: center;">أَغَيْتُهُمُ الْمَحَاوِلُ</td> <td style="text-align: center;">وَ</td> <td style="text-align: center;">أَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ</td> </tr> <tr> <td style="text-align: center;">. ن . ن . ن .</td> <td></td> <td style="text-align: center;">. ن . ن . ن .</td> </tr> </table>	أَغَيْتُهُمُ الْمَحَاوِلُ	وَ	أَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ	. ن . ن . ن .		. ن . ن . ن .	}	جزئيّ
أَغَيْتُهُمُ الْمَحَاوِلُ	وَ	أَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ						
. ن . ن . ن .		. ن . ن . ن .						

ويستمرّ حضور الفعل الماضي في هذا المثلث التركيبيّ المتوازي؛ إذ إنّ الإكثار في استعماله بعامّة فيه دلالة على الحاضر المعيش .

حيث تمثل هذه البنيات أحوال الماضين، وأحوال أهل الحاضر الذين يكونون ماضياً لأهل المستقبل، فالحدث مستمرّ إلى قيام الساعة .

إنّ التوازي الجزئيّ الذي اتحد في القافية : ( . ن . ) في تلك البنى التفسيرية عمل فيها صوت : ( اللام ) . حرف الروي . المتضمّن صفة الانحراف التي تتناسب و المغايرات الحياتية المتمثلة : ( المعاقل ) ، و : ( المنازل ) ، و : ( المحاول ) .

ثمّ تأتي المتواليّة التركيبيّة المتوازية مفصّلة للبنيات التي سبقتها بحرف الجرّ : ( من ) في قوله "عليه السلام":

<table border="0"> <tr> <td style="text-align: center;">نَاجٍ مَعْقُورٍ</td> <td style="text-align: center;">وَ</td> <td style="text-align: center;">لَحْمٍ مَجْزُورٍ</td> </tr> <tr> <td style="text-align: center;">. . . . .</td> <td></td> <td style="text-align: center;">. . . . .</td> </tr> </table>	نَاجٍ مَعْقُورٍ	وَ	لَحْمٍ مَجْزُورٍ	. . . . .		. . . . .	⇐	توازي تامّ
نَاجٍ مَعْقُورٍ	وَ	لَحْمٍ مَجْزُورٍ						
. . . . .		. . . . .						
<table border="0"> <tr> <td style="text-align: center;">شَلُوبٍ مَذْبُوحٍ</td> <td style="text-align: center;">وَ</td> <td style="text-align: center;">دَمٍ مَسْفُوحٍ</td> </tr> <tr> <td style="text-align: center;">. . . . .</td> <td></td> <td style="text-align: center;">. . . . .</td> </tr> </table>	شَلُوبٍ مَذْبُوحٍ	وَ	دَمٍ مَسْفُوحٍ	. . . . .		. . . . .	⇐	توازي غير تامّ
شَلُوبٍ مَذْبُوحٍ	وَ	دَمٍ مَسْفُوحٍ						
. . . . .		. . . . .						

يغلب التوازي التامّ على البنيات الأربعة إلا في التركيبة الرابعة؛ فقد اختلف الوزن في بدئه بنقصان : ( ساكن ) الذي تتأغم و لفظة: ( دَم )؛ كونها تمثل جزءاً من : ( ناج ) ، و : ( لحم ) ، و : ( شلُوب ) .

ولم يؤثر هذا التوازي غير التام في شدة إيقاع المتوازيات المنسجم و دلالة الصفات : ( معقور ) ، و : ( مجزور ) ، و : ( مذبح ) ، و : ( مسفوح ) التي وردت بصيغة اسم المفعول، وقد تركزي في ذهن السامع غياب عنصر الفاعل ؛ زمنياً ، ومكاناً؛ إذ جعلته في دائرة الجهل بهذا الأمر الخطير .

ويستمرّ السياق في وصف آخر لمجموعة أخرى من أهل الدنيا بمثلث تركيبّي آخر بتوازٍ جزئيّ، تتحد بقافية واحدة : ( . . ) في قوله "عليه السلام" :

وَ عَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ وَ صَافِقٍ لِكَفِّيهِ  
 .. ن . ن .. | .. ن . ن . .  
 وَ مُرْتَفِقٍ بِخَدِّيهِ  
 .. ن . ن . . | ..

تضمّنت هذه المتوازيات أجواء مفعمة بانفعالات الندم الشديد عُبر عنها بتشبيه تمثيليّ يجعل السامع يعيش وضعاً في خضمّ هذه الحركة النفسية .

ونلاحظ أنّ القافية التي ارتكز عليها إيقاع التوازي تكوّنت من صوت : ( الدال ) ، و : ( الباء ) ، و : ( الهاء ) الذي يشبه نطقه صوت : ( الصفة ) في جملتين ؛ الأولى ، والأخيرة، وبينهما القافية المكوّنة من صوت : ( الفاء ) ، و : ( الياء ) ، و : ( الهاء ) الذي يشبه نطقه صوت : ( التحسّر ) ، وهذا التنظيم الإيقاعيّ أثرى هذا التوازي وجه الدلالة إلى أنّ تحسّر الإنسان من نتائج فعله .

وقسم آخر من أهل الدنيا اشترك مع نتيجة الاستدلال بمتوازية وحدت بينها القافية بتوازٍ جزئيّ في قوله "عليه السلام":

و زَارٍ عَلَى رَأْيِهِ وَ رَاجِعٍ عَنِ هَرَمِهِ تَضَادٍ بَيْنَ  
 .. ن . ن .. | .. ن . ن .. موقف الإنسان  
 وَ قَدْ أَدْبَرَتِ الْحَيْلُ وَ أَقْبَلَتِ الْغَيْلُ (مفارقة)  
 .. ن . ن . . | .. ن . ن . . تبيين عداوتها

للتوازي في هذين التركيبين المتتاليين اللذين وحدتهما القافية : ( . ن . ) أثر كبير في دلالة النصّ، فعلى الرغم من وجود الإيقاع الصوتي الموحد المؤثر لكنّ هناك انقطاعاً بين المتوازية الأولى، والمتوازية الثانية؛ قد أثرى الرابطة الدلالية في النصّ جميعاً، فقد جمع بين القسم الأخير من أهل الدنيا الذي تمثل فيهم الندم بفعل سلوكي في تصحيح مساره، غير أنّ المتوازية الأخيرة في النصّ رفدت هذه الدلالة بقطع السبل على أهل الدنيا .

تجلّى ذلك في العلاقة التضادّية بين المتوازية الثانية ، والمتوازية الرابعة : ( أقبلت الغيلة ) التي مثلت النتيجة الاستدلالية (استدلال النصّ) بين موقف الإنسان اللائم نفسه ، وموقف الدنيا وثبات الشرّ فيها ، وجاءت لفظة : ( الغيلة ) تصويراً شمولياً للتوصيفات كلّها في المواضع السالفة الذكر في النصّ .

ومنه يمكن الخلوص إلى بعض النتائج العامّة لظاهرة التوازي الإيقاعيّ في نصّ الإمام "عليه السلام".

1 . إنّ التوازي الرأسي التامّ نجده جلياً ضمن التطابق التامّ بين بنى الجمل المتوازية نحوياً، وذلك بالتطابق التامّ بين كلّ جملتين متوازيتين، أو مجموعة جمل متوازية، وهذا ما حقق للنصّ الخطابّي ترابطاً بنائياً رأسياً .

2 . تركّز التوازي التامّ الذي يولّد إيقاعاً أقوى ، وأثراً نفسياً أبلغ ، ومؤدّى مكثفاً في المواضع الوصفيةّ للدنيا خاصّة؛ لينسجم مع موضوع الاستدلال ، وهو رفض الدنيا ، والزهد فيها لسوء حالها مطلقاً ، وهذه غاية الاستدلال .

3 . أدّى التوازي إلى إظهار التحوّل الإيقاعيّ الصوتي ، وجعله المؤثر الأكثر في النصّ على وفرة التحوّل الدلاليّ فيه وراثته؛ إذ أغنى البنية الصوريّة ، وزاد من أثرها في نفس المتلقي .

4 . إنّ التحوّل الإيقاعيّ في النصّ؛ ليس تحوّلاً في القافية فحسب، وإنّما شمل الوحدات الإيقاعيّة في بنية النصّ الداخليّة؛ يمتاز هذا التحوّل بقدرته الفائقة على تنويع القافية، وتعميق أثرها في نفس المتلقي، على وفق الرؤية التي يطرحها .

الفصل الثاني

بنى الاستدلال

(الأسلوب والدلالة)

## مدخل : مفهوم النصّ

### أولاً : الاستدلال موجّهاً نصّياً :

تفهم النصوص حدسياً بأنها وحدات لغويّة، وتصنف النصوص الأدبيّة عند علماء الأدب؛ بأنها أجناس معيّنة ، مثل القصيدة والرواية والقصة، أو الخطاب الأدبيّ عموماً.

وقد تنوّعت تعريفات النصّ، إلا أنّ بعضهم خرج بتعريف شامل له؛ بصفته " مكوّناً لغويّاً أفضيّاً، نهائياً، مقصوداً به التطابق لواقعة التواصل المختصّة، يصير من خلال الدمج الإنجازيّ وأوجه التناظر الدلاليّة والموضوعيّة والترابطات النحويّة تتابعاً متماسكاً من الجمل"<sup>(1)</sup>.

ويمكن من هذا التعريف أن نقول إنّ الخلوص إلى مقومات النصّ التي يرتكز عليها وبها يتحقق الخطاب الموجّه، هو البنية السطحيّة، والقصد الأدائيّ الذي يحقق عمليّة التواصل مع المُخاطب، والبنية العميقة التي تتشكل من العلائق النحويّة الرابطة بنظام متتابع: " ليصبح العمل بمجمله إشارات دلاليّة إلى النموذج الأعلى لذلك العمل الذي هو نتاج الأديب المعين"<sup>(2)</sup>.

وبهذا المفهوم، يكون النصّ موجّهاً بنوعه الخاصّ الذي يقصده المتكلم ليحقق مؤداه بالاستدلال به، بأشكال نحويّة وبلاغيّة .

### ثانياً : البناء التركيبيّ للنصّ ( الخطبة ) :

سيأتي البحث في هذا البناء على ثلاثة أقسام، هي:

- 1- الاستهلال .
- 2- الغرض الرئيس .
- 3- مصادر أدلة الاستدلال.

ويمكن تشغيل ما ذكر من أدوات تحليليّة في النصّ الآتي :

---

(1) مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النصّ: زتسيسلاف واورزيناك، تر. أ.د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ - 2003م: 60.

(2) الخطيئة والتكفير : 110 .

"أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِئْثَامًا لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَهُ إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَصِلُ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَبُلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا حُزِنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةً مُتَّحِنًا إِخْلَاصَهَا، مُعْتَقِدًا مُصَاصَهَا، نَتَمَسِّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدْخِرُهَا لِأَهْوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْصَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ الْمَأْتُورِ، وَالكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالصِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ، وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعَّرَعَتْ سَوَارِي الْبَاقِينَ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَصَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ.

عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَوَصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ، فَأَنْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَقَّتْ شُرُكُهُ.

أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لَوَاؤُهُ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهَمُّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْثُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهْوٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بَارِضٌ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ".(1).

## 1- الاستهلال :

عني النقد العربي القديم بتأنق بنية الاستهلال في النص؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فيطمع السامع فيه إذا كان عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى (2).

(1) نهج البلاغة : خ 2 / 47 - 49 .  
(2) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : 428 .

وقد انمازت بنية الاستهلال في مطالع نصوص نهج البلاغة ببعديها الإيقاعي والدلالي ومناسبتها لموضوع النص، وهي ملمح أسلوبيّ فريد من نوعه، وأصيل في جدته، ومن مجموعة من بنيات الاستهلال يستدلّ الباحث على هذه الجدة والفرادة في خطبته "عليه السلام" بعد انصرافه من صفين قال :

### بنية الاستهلال الأولى

"أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَامًا لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَبُلُّ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ"<sup>(1)</sup>.

### بنية الاستهلال الثانية

"وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَنًا إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ"<sup>(2)</sup>.

### بنية الاستهلال الثالثة

"وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمُشْهُورِ، وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ"<sup>(3)</sup>.

بدأ النصّ الخطابي بالاستهلال المستحدث مع الرسالة الإسلامية من حيث التحميد لله تعالى والشهادتان، فهو استهلال فنّي تتواشج فيه البنيات مكونة بناءً هندسياً محكماً يعتمد على ركنين أساسيين مهمّين هما الإيقاع والدلالة .

وإنّ أهمّ ما يمكن الاستدلال عليه هو حضور بنية الاستهلال لكونه محرّكاً يقود ذهن المخاطب صوب موضوع النصّ، وهو البناء الإيقاعي، حيث يتضمّن ثلاثة مقاطع، فيتضمّن

(1) نهج البلاغة : خ 2 / 47 .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه:خ2|47- 48

المقطعان الأول والثاني تسع وحدات لغوية، والمقطع الثالث يتضمّن إحدى عشرة وحدة لغوية تنتظم هذه الوحدات في بنيات الاستهلال الثلاث بإيقاع منتظم لاثنين، أو لثلاث، أو لأربع؛ مكوّنة مجاميع متشابهة تختلف بإيقاعها عن بعضها البعض مولدة كثافة إيقاعية تستجلب إحساس المتلقي وتشدّ ذهنه، ومولدة لديه إيعازات إيجابية باتجاه الدخول إلى موضوع النصّ، وهذه هي إحدى وظائف الاستهلال في النصّ .

إنّ هذا النسق الإيقاعي لم يكن مقتصرًا في جماليته على الوحدة والتنوّع المذكورين في دائرة ( الصوت ) بل يتواشج مع الدلالة؛ وبذلك تؤدّي بنية الاستهلال وظيفتها الأخرى في الفهم لدى المتلقي .

تتماز بنية الاستهلال الأولى(أحمد... وأفضل ماخُزن) باللغة المباشرة؛ وذلك لوضوح التحميد والاستعانة ... إلخ مع وضوح الموقف، فهذه الأفعال تستوجب طرحاً مباشراً؛ لأنّها أمور تفرض على الجميع .

أما في بنية الاستهلال الثانية؛ فيجد الباحث انزياحاً باتجاه الأسلوب المجازي الذي يعتمد العنصر التركيبيّ في التصوير البسيط، وهذا ما ناسب مقام توصيف الشهادة؛ وهي من متعلقات الله سبحانه وتعالى. مثال قوله: ( معتقداً مصاصها، فإنّها عزيمة الإيمان، فاتحة الإحسان ... )

ثمّ يتحوّل إلى المباشرة في الأسلوب في بنية الاستهلال الثالثة في توصيف الدين الإسلامي؛ لأنّ التقريرية في الأسلوب في هذا المقام دعته الوظيفة الاحتجاجية لبنية الاستهلال على المخاطب في عرضه لصفات الإسلام حتى لا تكون له حجة في الإعراض عنه.

أما المحور الأساسي الآخر في بنية الاستهلال وهي الدلالة؛ فإنّ كلّ واحدة من الوحدات اللغوية ( أحمد، وأشهد ألاّ الله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ) تحمل دلالة تفرق عن الأخرى؛ وجاء معنى الحمد عند النحاس بأنه أعمّ من الشكر والثناء؛ فهو " يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر والجزاء "(1).

(1) معاني القرآن الكريم : أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس(338هـ) ، تح محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1 ، 1409هـ:57/1.

وبنية (أشهدُ) في الاستهلال الثاني متعلقة بالإيمان القلبي مصدر الفعل الشرعيّ وبنية (أشهدُ) في الاستهلال الثالث بنية تتجاوز النطق والإيمان القلبيّ إلى الفعل الحركيّ الذي تمليه الشريعة الإسلاميّة على المسلمين لعلاقة وجود الرسول الماديّ في دعوته للرسالة الإسلاميّة. وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من ارتباط لفظ الفعل في بدء كلّ بنية من بنى الاستهلال مع الناتج الدلاليّ له في البنيات التي تتبعها .

أمّا ما يميز الدلالة من حيث بناؤها؛ فهو الالتحام العضويّ بين أجزاء المقطع من جهة، وتناميه من جهة أخرى؛ وذلك أنّ بنية الاستهلال الأول كشفت عن العطاء الثرّ من لدن الله سبحانه وتعالى للإنسان من دون مقابل بعد أن تضاعفت الدلالة في بنية الاستهلال الثانية إلى وجوب الجهر بالشهادة لوحداية الله معطي هذه النعم، ثمّ تتابع نموّ الدلالة واستمرارها في بنية الاستهلال الثالثة في الرسالة العمليّة والحركيّة المطلوبة من المسلمين في الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى للوحدة اللغويّة (أشهد أنّ محمداً عبده) أمّا لفظ (رسوله)؛ فمتعلق بالرسالة الإسلاميّة وهو الإقرار باعتراف الإسلام وتنفيذ بنوده .

إنّ الملامح الأسلوبية كثيرة تضيء بنيات الاستهلال عموديّة النصّ الخطابية، فكلّ وحدة لغويّة تعدّ رمزاً حافلاً بإثارات متنوّعة، فمفهوم الحمد والاستعانة مثلاً مرشحة إلى أكثر من دلالة؛ فهي رمز لقناعة الإنسان بعطايا الله بصفاتها ظاهرة روحية وعقائدية؛ فتكون بمعنى الموقف الفكريّ، ومن زاوية أخرى نجد أنّ بنية النصّ (أشهد أنّ لا إله إلا الله)، (وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله) حملت النصّ معنىً حسياً ربطت بين النطق بها على سبيل الإشهار بالشهادة والتسليم لله، وبين تأويلها ببنيته العميقة في الإخلاص لله، والعمل على تنفيذ شريعته في الأرض باعتراف الإسلام والالتزام بالدعوة له .

وجملة الأمر أنّ مجموع هذه الملامح الأسلوبية التي توشجت فيها العلاقة السطحية بالبنية العميقة بركنين أساسيين؛ هما الإيقاع والدلالة أثرت الوظيفة العامّة لبنيات الاستهلال الثلاث في وظيفتها الإفهامية والاحتجاجية في مؤدّى النصّ؛ هو أنّ الإسلام الدين الكامل للناس كافة .

## الغرض الرئيس :

يتنوع الغرض الرئيس في نصوص نهج البلاغة بتنوع الموضوع، وضرورة الباعث للنص وفي بنية النص الخطابي المذكور يتضح الغرض الأساسي (تفرق الناس عن أصول دينهم) وهو موضوع الاستدلال، فكان باعث هذا النص موقف القوم من الإمام "عليه السلام" في معركة صفين وتخاذلهم عن نصرته، وهو ما يؤكد موضوع الاستدلال الغرض الرئيس للنص الخطابي .

## 2- مصادر أدلة الاستدلال:

وتتمثل بالبراهين والبيّنات والحجج التي يعتمد عليها البناء النصّي للخطاب، وتتمثل بالبنى ( عُصي الرحمن، ونُصر الشيطان، وخُذل الإيمان ... أطاعوا الشيطان ... ووردوا مناهله )، فهي أفعال قصدية غير محدّدة بفاعلها، أو عددهم، وهذا المعنى أكدته صيغة الفعل المبني للمجهول؛ وهي بنى نصية احتجاجية تثري مؤدى النصّ الإبلاغي .

## المبحث الأول

البنية الصغرى للاستدلال ( الجملة )

يتحدّد مجال بروز القيمة الدلاليّة للكلمة في فضاء البنية المركبة متعددة المستويات؛ إذ إنّ هذا الفضاء يجعلها صالحة لأداء وظيفتها على هذه المستويات المختلفة،<sup>(1)</sup> فتكشفها وظيفة البحث الأسلوبّي في " فحص الأنواع المؤثرة، ودراسة الوسائل التي تعبّر بها اللغة والعلاقات التبادليّة، وتحليل النظام التعبيري " <sup>(2)</sup>.

وتظهر دلالة هذه الأساليب في مجال التحليل الأسلوبّي الذي يكشف عن المدلولات الجماليّة في النصّ بنفاذه في مضمونه وتجزئة عناصره .

إنّ معرفة المعنى الدلاليّ تحتكم على دراسة جميع المستويات التي عبّر عنها سيبويه في أقسام الكلام "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"<sup>(3)</sup>، وأضيف إليها مستوى الأسلوب؛ <sup>(4)</sup> إذ يعدّ " تلك القدرة التي تتكوّن لدى فرد من أفراد مجتمع معين والتي يمكنه من تكوين ما يريد من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة"<sup>(5)</sup>.

## البناء التركيبيّ للجملة :

وردت لفظة (التركيب) تعريفاً لاصطلاح الجملة في بعض مباحث النحاة؛ فقد جاء عند عبد القاهر الجرجانيّ أنّ " الجملة هي المركّب الذي تتمّ به الفائدة، فلو قلت " إن تأتني "، وسكتّ لم يفد، كما لا يفيد إذا قلت زيد "<sup>(6)</sup>، ويجمل القول في أنّ الكلام هو حاصل تألف الجمل <sup>(7)</sup>.

(1) ينظر البنائية في النقد الأدبي : 232 .

(2) شعر على شعر . معارضات شوقي بمنهجية الأسلوبية المقارنة : محمد الهادي الطربلسي ، مجلة فصول : مج 3 / ع 1 / 1982م.

(3) الكتاب : سيبويه : 1 / 25 .

(4) علم الدلالة دراسة وتطبيقاً : د. نور الهدى لوشن : منشورات جامعة قارونس / بنغازي ، ط1 ، 1995م : 90.

(5) البلاغة والأسلوبية : 32 .

(6) أسرار البلاغة : 89 .

(7) ينظر : دلائل الإعجاز : 83 .

وذهب بعضهم إلى أنّ الجملة هي الصورة التركيبية للكلام في ما اصطلح عليه النحاة بعبارة "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها" (1)، وفي تعريف آخر هي التركيب المفيد، (2) وحدث السيوطي الجملة بـ (القول المركب) (3)

فالتركيب ضمُّ كلمةٍ إلى أخرى بإفادة المعنى (4)، وإنَّ انتظام هذه الكلمات ضمن حركة تتسج علاقات معيّنة؛ فإنَّها تسهم في إظهار قيم الجمال التي يزخر بها النصّ في التركيب اللغويّة تكون بالغة التعقيد والخصوبة حين تفيض بها النفوس الحيّة، وذلك لأنّ كلّ ما في النفس من قلق ونبض، وكلّ ما تحسّه الروح ويفور به القلب لا يجد له مسرّباً إلا هذه الكلمات (5)، وهذا يتصل بإدراك المتلقي لنظام العلاقات في ذلك النصّ، وأثره في خلق الظواهر الأسلوبية في التركيب والسبك هو الذي يمنح الكلمة حظها من الحياة (6)، فضلاً عمّا توصل إليه من أنّ استعمال العلاقات القائمة في التراكيب من شأنه أن يثري العمل الأدبي بمفاهيم ودلالات تكتسب عن طريق إمكانات النحو خاصّة، وذلك أنّه لُحمة العمليّة الإبداعية وسداها في الشعر والنثر (7). لأنّ "بناء التراكيب اللغويّة ونظم الكلام وتأليفه، يحتاج إلى دقة في الفهم ورويّة في التفكير وبعُد في الرؤية والبحث عن الدلالات المختلفة، وما يستسيغها من المعاني القائمة كلّها على قواعد النحو" (8).

(1) شرح ابن عقيل على الألفية : 14/1 .

(2) ينظر : حاشية الصبان : 66/1 .

(3) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، تح، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2006م : 49 /1 .

(4) ينظر: الأصول في النحو: أبو بكر محمّد بن سهل بن السراج النحوي (316هـ)، تح. د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط3، 1988م : 111 /2 ، واللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري (387هـ)، تح، غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م : 505/1 .

(5) دلالات التركيب : محمد أبو موسى ، دار التضامن ، القاهرة ، ط2 ، 1987م : 3 .

(6) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم : د . فتحي أحمد عامر ، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1975م : 140 .

(7) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 43 .

(8) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر : د. عبد الفتاح لاشين ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ب.ت: 106 .

ومن ثمَّ فإنَّ العمل الأدبيّ . قبل كلّ شيء . بناءً لغويّ قائم بذاته، وذو غاية فنّيّة؛ فالقارئ، أو ناقد النصّ يعتمد في موقفه على تحليل هذا البناء اللغويّ في جانبه الأسلوبيّ من أجل الكشف عن العلاقات التي تجمع بين عناصر البناء المختلفة (1).

## صور التنوع في بناء الجمل الاستدلاليّة :

### أولاً: الذكر والحذف :

يُعدُّ الحذف في لغة العرب أسلوباً تعبيرياً له معانيه ودلالاته، وهذا الأسلوب بارز في النسيج الخطابيّ إن كان على مستوى النصّ الإلهيّ المعجز ، أو النصّ البشريّ ؛ فقد يدعو مقتضى دلالة الكلام إلى حذف بعض أجزائه لتحقيق غاية ما؛ حيث يكون الحذف في بعض المواضع الكلاميّة أولى من الذكر في بلوغ المراد، وذلك أنّه " باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبَيّن " (2) ، فالحذف من " سنن العرب " (3)، وقد يكون للحذف صلة بسياق الحال ف " كلما كان معلوماً في القول جارياً عند الناس فحذفه جائز لعلم المخاطب " (4)، وهذا الحذف لا يخلُّ بالفهم عند وجود ما يدلُّ على المحذوف من قرينة لفظيّة أو معنويّة (5) .

ويتعلق الحذف بالعناصر الأسلوبية ذات المزية في النصّ الأصليّ، وبذلك تعدُّ " تجديدات مستحدثة " (6) تكوّن أسلوباً نحوياً يرتبط كثيراً بـ " المستويات اللغويّة كالمستوى التركيبيّ، والمستوى الدلاليّ، ولا يمكن إقامة هذين المستويين في الجملة دون تقدير ما هو محذوف، ورده إلى مكانه على ضوء ما تمّ وضعه من قواعد وقوانين " (7)، وهذا الربط بين الحذف والدلالة صلة

(1) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 184-185.

(2) دلائل الإعجاز : 121 .

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : 261/1.

(4) المقتضب : 254/3 .

(5) ينظر : التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية : د. هادي نهر ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، 1987م : 151 .

(6) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د. صلاح فضل ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1419 هـ - 1998م : 191.

(7) قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين : د. محمود سليمان ياقوت ، دار المعارف ، 1985م : 209 .

أثبتها النحاة؛ وذلك حين رَدّوا هذا الحذف إلى ضروب من البلاغة من القول والإبهام الذي يؤدي إلى أن يكون الحذف أشدَّ وقعاً في النفس؛ ثم إنَّ له صلة بالحرص على انزجار الموبّخ عما أنكر عليه. وإنه - أي الحذف - قد يكون لبعض النواحي الدلالية كالاختصار، والاستهجان، والعلم، والجهل، والخوف، والتعظيم، وإثبات الفعل لفاعله، وغير ذلك ممّا يؤكد الصلة بين الحذف، والدلالة، وإنه لم يأت في " التراكيب النحوية على الضرب من الضروب الدلالية " (1).

والحذف في نصوص "نهج البلاغة" سمة دلالية، وتصوير لفظي جمالي سامٍ في بلوغ الداعي منه؛ إذ ب " الحذف الذي يحقق الإطلاق، يتحقق إزاءه عدّة أمور جمالية ومقامية " (2)، نتلمّسها في القيمة الفعلية في إطار رؤية خاصة للنظم في خطاب الإمام "عليه السلام" "في النفاذ من التأليف، أو الصياغة إلى معرفة علة، أو سبب اختيار الحذف، وترك الذكر " (3) في الأمثلة المختارة من نصوص "نهج البلاغة" في حيّز تحليل مضامينها .

#### 1. الاستدلال بحذف المسند إليه:

يعدُّ جمهور النحويين الأصل في أن يذكر طرفا الإسناد في الجملة الاسمية؛ وهما المبتدأ والخبر باستثناء وجود قرينة لفظية، أو حالية تغني عن النطق بأحدهما أو بهما معاً، " لأنَّ الألفاظ إنّما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لاتأتي به ويكون مراداً حكماً وتقديراً " (4).

ورد في نصّ نهج البلاغة قوله "عليه السلام":

"فِيهِمْ كَرَامِ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كَنُورِ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا....، فَلْيَصُدِّقْ رَائِدَ أَهْلَهُ، وَلْيُخَضِّرْ عَقْلَهُ،....، فَاِنَّا نَظَرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلِ بِالْبَصْرِ يَكُونُ مَبْتَدَأً عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ

(1) قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين: 209 .

(2) الإطلاق والتقييد في النصّ القرآني دراسة دلالية : سيروان عبد الزهرة الجنابي / رسالة ماجستير بإشراف د. عبد الأمير زاهد ، كلية الآداب جامعة الكوفة ، 2002م : 52 .

(3) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : د. حسن البحيري ، مطبعة مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2005م : 247 .

(4) شرح المفصل: 94/1

طريق، فلا يزيدُه بُعْدُهُ عن الطريق الواضح إلا بُعْداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فليُنظَر ناظِرُ أسائِرٍ هو أم راجِعٌ<sup>(1)</sup>.

جاءت مواطن الحذف في النصّ الخطابيّ تمثل ضرباً من الإيجاز وتكثيف العبارة؛ فالحذف" مظهر من مظاهر تكثيف العربيّ وإيجازه والتخفيف من ثقله، ومن ثمّ التخفيف من عبء الحديث"<sup>(2)</sup>، وقد جاءت في النصّ مصادر أدلة لموضوع الاستدلال، وهو التزام الفضائل الكبرى والقيم العليا المتمثلة بالصدق والتعقل والتبصّر.

جاء حذف المسند إليه في جملتي الشرط المتجاورتين جواباً للاستفهام المتقدم:

و

فإن كان له مضي فيه ، وإن كان عليه وقف فيه

والتقدير في هاتين الجملتين هو (فإن كان عمله)، فكان الإيجاز في هذا المقام مؤدّي الحذف الذي يحيل ذهن السامع إلى فُهْم المراد من سياق النصّ السابق عليه (فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمّله أن يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عليه أم له)، وهي الوقفة مع النفس بالتبصّر فيما ينفع؛ إذ يرتكز هذا النصّ على كلمة العلم لكونه مقياس خطوات البشريّة في ميادين الحياة جميعها<sup>(3)</sup>، وحذف المسند إليه هنا أثار في ذهن السامع مجموعة تساؤلات أشبعها دلالات النصّ السابق.

والأمر ذاته مع قوله "عليه السلام": (فليُنظَر ناظِرُ أسائِرٍ هو أم راجِعٌ)؛ فقد جاء حذف المسند إليه في (أم راجع) وتقديره (هو راجع) في سياق الجملة الاستفهاميّة لبلوغ مستوى فُهْم نتيجة الاستدلال للنصّ المتمثلة بـ(والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح)، وهذا الحذف دلّ عليه سياق النصّ في (أسائِرٍ هو) ومؤداه في إمكانيّة تقدير المحذوف، وإنّما كان الحذف هنا لغرض إظهار جماليّة التعبير، وحسن اتساق النظم وقصد الفعل، والتأثير في السامع وإيقافه على دلالات الحذف.

(1) نهج البلاغة: خ: 308/153

(2) التراكيب اللغوية في العربية: 151-152، وينظر: المقتضب: 254/3

(3) ينظر: في ظلال نهج البلاغة محاولة لفُهْم جديد، شرح محمّد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، قم، ط1 1427هـ ق: 389/2.

والمؤدى الكليّ للحذف في جملة النصّ (أسائرٌ هو أم راجعٌ) التي كثر الحذف فيها؛ إذ يمكن تقديره بـ(أسائرٌ هو في الطريق وفي الزمان)، وكذلك(راجعٌ) التي تأخذ بالسامع إلى مساحة عريضة من التأمّلات وتجعله باعثاً لرسالة النصّ كي تملأ هذه الفراغات المحذوفة للتأويلات المختلفة على الزمان والمكان.

إنّ المؤدى هو شدّ ذهن السامع إلى وقفة تأملية علمية تفكيرية تؤدى إلى نتائج سلوكية عملية إما الإحجام، أو الإقدام.

أما النصّ الآخر في قوله "عليه السلام":

"بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم العلياء،....، مازلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسمكم بحلية المغترين، حتى سترني عنكم جلابب الدين، وبصرنكم صدق النيّة، أقمت لكم على سنن الحقّ في جواد المصلّة، حيث تلتقون ولادليل"<sup>(1)</sup>.

إنّ الحذف هنا في المسند (المتعلق) جارٍ ومجرور تقديره(في جواد المصلّة)؛ إذ يأتي التعلق بمعنى الارتباط؛ فيكون التعلق بما فيه صحّة المعنى<sup>(2)</sup>.الذي يأتي نتيجة استدلالية لموضوع الاستدلال(الهداية)التمثلة بآل بيت الرسول(عليهم السلام)، فكان من مصادر أدلته(أقمت لكم على سنن الحقّ في جواد المصلّة).

وترتكز فاعلية عنصر الحذف بالمتعلق (في جواد المصلّة) الذي يسدّ مسدّ الخبر الذي اختزل تلك الحيرة، وذلك التساؤل بإيجاز القول بلفظ (ولا دليل) فحذف الخبر هنا" فيه لون جديد فريد من النظم"<sup>(3)</sup>؛حيث أنبأهم وذكرتهم بذلك الموقف الذي يتوزعون فيه حيارى على دروب الضلال وتغور فيه عيونهم مليئة بالتساؤلات عن جادة الحقّ.

(1) نهج البلاغة:خ58/4-59.

(2) ينظر:معاني النحو:3/108 – 112 .

(3) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز:141.

## 2. الاستدلال بالفعل المبني للمجهول :

يجري حذف الفاعل في اللغة العربية؛ إمّا للجهل به كما في قولك ( سُرِقَ المتاعُ )، وإمّا لغرض لفظي سجعِيّ نظميّ كما في قولهم ( من طابت سريرته حُمدت سيرته )، وإمّا لغرض معنويّ كانعدام الغرض من ذكره، كما في قوله تعالى "وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا"<sup>(1)</sup>.

وقد وسّع عبد القاهر الجرجانيّ من أسباب تقدير الحذف إلى ما يكون لزوم الحذف فيه إلى أمر يرجع إلى غرض المتكلم<sup>(2)</sup>. وهذا يتلاءم مع ما جاء في قول الإمام "عليه السلام" :

"أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَّهُ اللهُ لخاصَّةِ أوليائه وهو لباسُ التَّقْوَى، ودرعُ اللهِ الحَصِينَةُ، وَجَنَّتُهُ الوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الدُّلِّ وَشَمَلَهُ البَلَاءَ، وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمِ الْخَسْفِ، وَمُنْعِ النَّصْفِ"<sup>(3)</sup>.

جاء الجهاد موضوعاً للاستدلال في هذا النصّ الخطابيّ، وجاءت صيغ الفعل المبني للمجهول ( دُيِّتْ ، ضُرِبَ ، أُدِيلَ ، سِيمَ ، مُنِعَ ) نتائج حتمية لترك الجهاد إذا وقعت رغبتهم في ذلك .

إنّ في سياق النصّ حشدًا من علاقات أسلوبية متجاوزة؛ إذ جاءت مصادر أدلّة الاستدلال بصيغ الجمل الاسمية هي: (باب ...، وهو لباس التقوى ، درع الله الحصينة ) التي تدلّ على الثبات، في ما وردت الصيغ الفعلية ( مبني للمجهول ) الذي وقع فيها حذف الفاعل نتائج استدلالية لموضوع الاستدلال تدلّ على أنّ هذه الأفعال قابلة للتغيير إذا ما رغب في ذلك؛ ثمّ إنّها قابلة للتجدد إذا ما استمرّ ترك الجهاد .

(1) ينظر : شرح قطر الندى وبلّ الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري (761 هـ)، تح تركي عبد الكريم مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م: 150. وبضمنه الآية/11 من سورة المجادلة.

(2) ينظر : أسرار البلاغة : 367 .

(3) نهج البلاغة : خ 27 / 89-90 .

وهذا المخطط يبيّن تلك العلاقات المتجاورة :

فيها دلالة الثبوت	<u>باب، هو لباس، درع الله، جنته</u>	<u>الجهاد</u>
	مصادر أدلة الاستدلال	موضوع الاستدلال

فيها دلالة تغيّر وتجدد واستمرار	<u>دُيِّتْ، ضُرِبَ، أُدِيلَ، سِيَمَ، مُنِعَ</u>	<u>ألبسه الله وشمله البلاء</u>
	نتائج استدلالية ( عناصر متحركة )	مبني للمعلوم مبني للمعلوم

ارتبطت هذه النتائج الاستدلالية بجملة الشرط ( فمن تركه ... ألبسه الله ... ، وشمله البلاء ) .

إنّ الفعلين ( ألبسه وشمله ) فعلان مبنيان للمعلوم قد سبقا الأفعال التي حُذِفَ منها الفاعل، وهنا يمكن رصد العلاقات الطبيعية بين أجزاء الجملة الفعلية بانفصالها من حال الذكر الذي استوفى إثبات الفعل لفاعله، وليس إثبات الفعل وحدثه؛ فحسب، ف" عمل الرفع في الفاعل يُعلم التباس الضرب من جهة وقوعه منه "(1) .

وجاء حذف الفاعل في الأفعال المجاورة الأخرى ليؤدّي إثبات المعنى لاغير من دون التعرّض للسؤال عن ماهية الفاعل الذي يؤدّي وظيفة نقل ذهن السامع إلى التأمل في ذلك المحذوف بفتحه مجالاً للتأويلات المختلفة في تصوير ذلك الفاعل، وهو مؤدّي وظيفة الحذف في هذا المقام، وهو غرض بنيوي يجعل المتلقي مشاركاً في فهم النصّ " وتتحوّل الكلمة عندئذٍ إلى إشارة لا لتدلّ على معنى إنّما لتثير في الذهن إشارات أخرى وتجلب إلى داخله صوراً لايمكن حصرها، وهذا ماسماه حازم القرطاجني بالتخييل "(2) .

إنّ غرض الحذف أدّى وظيفته التساؤلية في هذا النصّ؛ فقد يكون المحذوف (الفاعل) هي النفس البشرية وإرادة الإنسان الذاتية التي هي منطلق كلّ الأفعال، ومبعث الهدايات

(1) دلائل الإعجاز : 127 .  
(2) الخطيئة والتكفير: 25.

والضلالات، وقد يكون الفاعل هو السنن الإلهية المودعة في الكون والطبيعة التي ترتب النتائج على أسبابها، وقد يكون شيئاً آخر.

إنّ تشكيل هذا النصّ بتلك العلاقات المتشابكة من العناصر اللغوية الذي يكون فيها الحذف محور الارتكاز بمنزلة رسالة ذات سياق " يتلاقى الباعث مع المتلقي في تحريك الحياة في هذه الرسالة وبعثها من جديد في تفسيرها واستقبالها. والغاية في ذلك هي الرسالة نفسها، فهي تأكيد ذاتي للنفس يتوحد فيه الشكل والجوهر حتى يكون الشكل هو الجوهر والجوهر هو الشكل" (1).

وجملة الأمر فقد جاء عنصر الحذف في سياق النصّ الخطابّي يمثل نتيجة استدلالية تخرج بذهن السامع إلى ضرورة فهم جديد عن (الجهاد) موضوع الاستدلال يكون فيه أكثر إدراكاً لهذا الحدث في توقي مضاعفاته، وتلافي تكرار مرارة التجربة.

### 3. الاستدلال بحذف جواب الشرط.

يكثر حذف جواب الشرط في كلام العرب إذا كان في الكلام ما يدلّ على حذفه كقولهم أنت ظالم إن فعلت كذا؛ أي إن فعلت كذا ظلمت فحذف ظلمت لدلالة قوله: أنت ظالم عليه (2)، وقد يكون حذف جملة جواب الشرط مندرجاً ضمن الدلالات المتعلقة بغرض المتكلم وفهم المخاطب، فهو " أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به وصف أو لتذهب نفس السامع كلّ مذهب ممكن، فلا يتصوّر مطلوباً أو مكروهاً إلا أن يجوز أن يكون الأمر أعظم" (3)، وفي أية حال يكون " حذف الجواب أبلغ لاحتماله جميع ذلك" (4).

(1) الخطيئة والتكفير: 14

(2) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (577هـ)،

دار الفكر دمشق، ب ت، 632/2

(3) الإيضاح في علوم البلاغة: 179

(4) التبيين في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (460هـ)، تح أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط1، 1379هـ، 49/9.

وقد جاء في قول الإمام "عليه السلام":

((أما وصيّي، فله لا تشركوا به شيئاً، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين.... أنا بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، غفر الله لي ولكم. إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك، وإن تدحض القدم فإننا كُنّا في أفياء أعصاب.....))<sup>(1)</sup>.

يتضح عنصر الوصيّة وهو موضوع الاستدلال في سياق النصّ الخطابي (أقيموا هذين العمودين)؛ أي عدم الشرك، والالتزام بالسنة المحمديّة، وجاءت الجملة الشرطيّة نتيجة استدلالية لموضوع الاستدلال، وقد هيأ (جواب الشرط) المحذوف فراغاً بنيويّاً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في سياق النصّ، وبدلالة قرينة المشار إليها بـ(فذاك)، وهي أبلغ من أيّ جواب آخر؛ إذ إنّ "حذف الجواب في مثل هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره ألا ترى أنك إذا قلت لعبدك: والله لئن قمت إليك، وسكتت عن الجواب، ذهب فكره إلى أشياء من أنواع المكروه فلم يدر أيها يبقى، ولو قلت: لأضربك، فأتيت بالجواب، لم يتبقّ شيء غير الضرب"<sup>(2)</sup>.

وهكذا الأمر في لفظ (فذاك) التي جاءت في سياق الجملة الشرطيّة (إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك)؛ فقد جاء فعل الشرط مشترطاً الثبات في مواطن الزلل (المزلّة)، وهذا يتطلب أمرين؛ أولهما: تحقيق عنصر الثبات في مواطن يكثر فيها الزلل، وهذا يتطلب وعياً وقوّة، والآخر: المشار إليه (فذاك) الذي حلّ في فراغ جواب الشرط المحذوف؛ فإنّه يترك المجال أمام السامع في أن يختار، ويصوّر، أو يتخيّل نوع الحياة، وطبيعة المجتمع الذي يثبت وطأة أهله عند مزلاته وصراعاته، ففيها يتمثل عنصر الاختبار في تكوين رؤية خاصّة به في حالة ثبوته وثبوت غيره على المبدأ والعقيدة.

وحذف جواب الشرط في سياق النصّ اتجه إلى مؤدّى وظيفي في أنّه جعل المتلقي مشاركاً في تصوير النتائج وترتيبها على مقدماتها وأسبابها.

#### 4. الاستدلال بحذف جملة فعل الشرط:

(1) نهج البلاغة: خ 298/147

(2) شرح المفصل: 9/9

يرد حذف جملة فعل الشرط وأدواته بعد الطلب على أن يلي هذا الطلب فعل مضارع مجرد من الفاء يقصد به الجزاء<sup>(1)</sup>، وتتحقق دلالة حذف جملة الشرط مرتبطة بالمقام الذي قيل فيه الكلام الذي تدلّ عليه القرينة في السياق، إذ إنّ "الكلمات والدلالات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياق وعلاقاته؛ فهو الذي يعطي الإضاءة للغرض والقصد"<sup>(2)</sup> لاستكناه سرّ حذف بعض عناصر النصّ، و"قد يكون الحذف في بعض الاستعمالات هو الوجه الوحيد الذي يحقق الحسن أو مزية النظم، إلى حدّ أنه لو عُذِل عن ذلك الوجه إلى الوجه الآخر، أو عُذِل عن الحذف إلى الذكر لفقد الكلام المزية، أو لتلاشي سرّ الإعجاز في ذلك الوجه"<sup>(3)</sup>.

إنّ مؤدّى حذف فعل الشرط والإبقاء على جوابه في النصّ يتيح المجال لذهنيّة المتلقي للفعل، وهو تعبير مألوف في اللغة العربيّة؛ إذ "يجوز حذف الشرط بعد إن المدغمة في لا النافية إن دلّ عليه دليل"<sup>(4)</sup>.

فقد جاء في قول الإمام "عليه السلام":

"مَنْ صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارِ وَإِلَّا سَلَ سُلُوكِ الْأَعْمَارِ"<sup>(5)</sup>

وفي قول آخر له "عليه السلام" للأشعث بن قيس مُعَرِّياً:

"إِنَّ صَبْرَتَ صَبَرَ الْأَكَارِمِ وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوكِ الْبِهَائِمِ"<sup>(6)</sup>

(1) ينظر: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: د. فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، 1425هـ -

2004م: 159

(2) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية: 195

(3) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: 260

(4) التراكيب اللغوية في العربية: 205

(5) نهج البلاغة: ج7/407

(6) المصدر نفسه: ج7/408

تبدو دلالة ورود حذف فعل الشرط في الحِكم القصار في نصوص نهج البلاغة، هذا التركيب الموجز والسريع تتبو في أنّ هذا الحذف" يبرز معنى ثرياً في تركيب لغويّ بسيط، حتى تكون قريبة إلى الذهن، سهلة الفهم"<sup>(1)</sup>، فهو يتيح للسامع في أن يُطلق مخيلته باتجاه اختيار نوع التعبير الملائم مع النتيجة التي يتضمّنها جواب الشرط.

وفي القول الأوّل للإمام "عليه السلام":

"مَنْ صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارِ، وَإِلَّا سَلَ سُلُوْ الْأَعْمَارِ"

جاءت هذه الحكمة في بنية ذات مقطعين متجاورين؛ هما:

جوابه محذوف

مَنْ صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارِ

فعل الشرط محذوف

و إِلَّا سَلَ سُلُوْ الْأَعْمَارِ

إنّ الشقّ الأوّل (صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارِ) يفضي إلى تقدير الجواب من قبل السامع بيّسر، وهي قضية معروفة لارتباط الصبر بالحرّيّة، وهما يمثلان موضوع الاستدلال الصبر ومصادره المتمثلة بصيغة (الحرّيّة)، فهاتان الصفتان تكشفان عن حقيقة الموصوف المتلبس بفعل الصبر.

أمّا بنية الخطاب الأخرى التي تمثل الطرف الآخر من المعادلة، فهي تكشف عن الإنسان الآخر الذي يسلو سلوْ الأعمار أي غمار الناس، وهو معادل موضوعي لطرف المعادلة الأولى الإنسان الحرّ المصاب، فهذا إنسان آخر أفضى به الخنوع والاستكانة إلى الانغمار والعيش على هامش الأحداث وكشف عنه النصّ بصيغة إلا التي تمثل قرينة على فعل الشرط المحذوف وتقديره (وإن لم يصبر صبر الأحرار) الذي دلّ عليه سياق النصّ.

ومؤدّي حذف فعل الشرط في هذا النصّ انسحب بذهنيّة المتلقي إلى أن يشارك المُلقي (صاحب الرسالة) في تصوّر النتيجة.

(1) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: 159

## ثانياً - التقديم والتأخير

يُعدُّ الخطاب العربيّ جملة من الضوابط القواعديّة التي تعمل على بيانه إلى المتلقي على وفق مقتضيات (الدلالة)، وهي ثوابت فكريّة أقرّها علماء النحو في بناء الكلام عليها؛ إلا أنّ اختراق هذه الثوابت أمرٌ سائغ في اللغة الخطابيّة؛ إذا ما دعت الحاجة الدلاليّة لهذا الاختراق، وهنا يتوقف الأخذ بتلك الثوابت التي شاعت في كلام العرب بهالتها القدسيّة؛ لتكون هذه المحاولة خلقاً جديداً يحدث وسطاً تعبيرياً دلاليّاً يحقق الغاية في أداء المراد، ومن هنا وقع التقديم والتأخير على وفق ما تقتضيه الدلالة على المتكلم، يقول سيبويه: "إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعاً يُهمّانهم ويُعنيانهم"<sup>(1)</sup>، فيؤخّر المتكلم غالباً ما هو أقلُّ مقتضى دلاليّاً من غيره ليقدم الأدهى منه، وقد يكون (لأداء معنى لا يفهم بدونه)<sup>(2)</sup>، وهذا الخروج عن النمط التركيبيّ هو "إحدى الظواهر الفنيّة التي تثير تأمل دارسي تلك اللغة من النقاد وعلماء المعاني بحثاً عمّا يتجسّد فيها ويكمن خلفها من أغراض فنيّة"<sup>(3)</sup>، ومن هنا فإنّ مبحث التقديم والتأخير هو "بحث في تغيير رتبة المعنى النحويّ"<sup>(4)</sup>؛ لكونه أبرز مظاهر العدول في التركيب اللغويّ؛ لأنّه يحقق غرضاً نفسياً ودلاليّاً، ويؤدّي وظيفة جماليّة بعدّه ملمحاً أسلوبياً خاصاً<sup>(5)</sup>. فهو "بابٌ كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتنّ لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة"<sup>(6)</sup>، فقد "يكون التقديم فيه هو الأبلغ"<sup>(7)</sup>.

وإذا كان التقديم قد عدّه البلاغيّون نوعاً من الانحراف عن النمط المثاليّ؛ فلا يكون ذلك مدعاة لأخذهم بالجور على النظام العامّ للغة. بل إنّ هذا الانحراف يمكن أن يمثل . من وجهة نظرنا . نظاماً وإن لم يكن موافقاً لسنن النحاة في رتبهم المحفوظة<sup>(8)</sup>، وفي نصوص نهج البلاغة لا يكون التقديم عند الإمام "عليه السلام" إلا لضرورة دلاليّة ملحة ولا يؤخر إلا للضرورة نفسها .

(1) الكتاب: 34/1.

(2) معاني النحو: 3/ 103.

(3) علم المعاني تأصيل وتقييم: د.حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة: 109.

(4) المصدر نفسه: 30.

(5) ينظر: البنى الأسلوبية في النصّ الشعريّ دراسة تطبيقية: 233.

(6) دلائل الإعجاز: 96.

(7) المثل السائر: 35/2.

(8) البلاغة والأسلوبية: 256.

## 1. الاستدلال بتقديم الفاعل:

يجري ترتيب أجزاء التركيب في الجملة الفعلية بتقديم المسند (الفعل)، وتأخر المسند إليه (الفاعل)؛ أي: رعاية الترتيب بين العامل ومعموله<sup>(1)</sup>، وهذا التقديم في (نظم الجملة الفعلية فيه إشعار بخصوصية الإسناد فيها وامتيازها بالدلالة على معنى الزمن المعين، وإيثاراً لهذه الخصوصية واعتداداً بها جيء بالمسند المشتمل على هذا المعنى الخصوصي مقدماً على المسند إليه)<sup>(2)</sup>؛ أمّا تقديم المسند إليه (الفاعل) فيوجب له مزيداً من الاهتمام؛ نحو ذلك قول: (من حضر؟) فيجاب (زيد حضر)، وقد يكون هذا التقديم ضرباً من ضروب القصر، والعناية به ما يكون بعد ألف الاستفهام.<sup>(3)</sup>

في هذه الحالة يكون الفاعل المقدم مبتدأ ويكون الفعل والضمير العائد في محل رفع خبر المبتدأ. الفاعل في الأصل. وهذا ما جوزه بعض النحويين، وهم الكوفيون<sup>(4)</sup>؛ إذ يخرج التقديم هنا لإفادة الاختصاص<sup>(5)</sup>؛ فإنه "إذ عمدت إلى الذي أردت أن تُحدث عنه بفعل فقدّمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت: زيدٌ قد فعل وأنا فعلت وأنت فعلت، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل"<sup>(6)</sup>.

وجاء تقديم الفاعل في قول الإمام "عليه السلام":

((وأيُّ امرئٍ منكم أحسن من نفسه رباطة جأشٍ عند اللقاء، ورأى من أحدٍ من إخوانه فشلاً، فليدبّ عن أخيه بفضل نجدته التي فضّل بها عليه، كما يدبّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثلاً))<sup>(7)</sup>.

يأتي الفاعل المتقدّم (أيُّ امرئٍ) في سياق النصّ مصدرًا من مصادر أدلة موضوع الاستدلال، وهو موازنة القوى في معسكر الإمام "عليه السلام" الذي يكشف عنها عنصرًا تلك القوى (من يكن رابط الجأش في سوح القتال مقابل من يأخذ به الضعف إلى الفشل)، ويكشف النصّ عن سعة

(1) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو: الشيخ العلامة جلال الدين السيوطي (911هـ) دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1359هـ: 255/1.

(2) نحو المعاني: د. أحمد عبد الستار الجوارى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ-1987م: 86.

(3) ينظر: نحو المعاني: 86، 90.

(4) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبد الله الأزهرى (905هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ب ت: 271/1.

(5) ينظر: مفتاح العلوم: 201-202، والإيضاح في علوم البلاغة: 36.

(6) دلائل الإعجاز: 110.

(7) نهج البلاغة: خ 267/122.

علم الإمام "عليه السلام" في إدارة المعارك والإيفاء بمتطلباتها حتى انسحب ذلك إلى مراعاة الحالة النفسانية التي يعيشها المقاتل، وجاء تقديم الفاعل (أي امرئ) مؤدياً غرض التخصيص، فهذا التقديم ينسجم مع الواقع الحركي الذي يشتد فيه القتال في ساحة المعركة؛ فتختلّ ترابيتية الحدث الذي انسحب إلى العدول في ترابيتية بنية الخطاب وإخراجها عن نسقها الطبيعي، فالفاعل المقدم هنا هو الذي يقود مسار الأحداث ساحباً نتائجها باتجاه النصّ عبر فعله التضحيي الذي يفيض به على إخوانه الضعفاء.

فالفاعل الذي خُصّ بالتقديم هو من يقع عليه فعل الموازنة في الضعف الذي قد يحصل في معسكر الإمام "عليه السلام" موضوع الاستدلال؛ فهذا القصد يكشفه التقديم " أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد فتجعله له وترغم أنه فاعله دون واحدٍ آخر، أو دون كلّ أحدٍ (1)".

ومثل ذلك في قوله "عليه السلام":

((مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَاكَ. لَا أَبَالُكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِبُصْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حِمِيَّةٌ تَحْمِشُكُمْ؟ أَقَوْمٌ فِيكُمْ مُسْتَصْرَخًا، وَأُنَادِيكُمْ مُتَّعُونَ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنِ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ. فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامًا) (2)

جاء هذا النصّ نتيجة لموضوع الاستدلال في نصّ الخطبة السابقة (3)، وهذه المقدمة تكشف عن تصريح باستدلال آخر هو (ذمّ المتقاعسين عن القتال)، ووردت مواطن تقديم الفاعل (دين) و(حمية) (4) مصادر أدلة هذا الاستدلال.

خرج غرض تقديم الفاعل في بنية النصّ إلى ما يدلّ على العناية بهذا الفاعل الذي أدى تقدّمه إلى أداء معنى الإنكار في بنية الاستفهام، وإنّ قيد الفعل بقيد جزئيّ، و" هو أن يكون المضارع فعلاً لم يكن (1)، وهو استفهام تصوّر (2).

(1) دلائل الإعجاز: 110.

(2) نهج البلاغة: خ 113/39

(3) ينظر المصدر نفسه: خ 267/122

(4) "وقلان ذو حمية من كره إذا كان ذا غضب وأنفة": لسان العرب: مادة (ح م ا)

إنَّ الفاعلين (دين)، و(حمية) يركزان في الذهن في أنَّهما عصارة ما يتبقى لدى الإنسان من قيم تحرّكه وينهض على أساسها , فإذا لم يرعو هذا الإنسان بالرقابة الإلهية؛ فلا يبقى له إلا أن يعود إلى ذاته ويتحرّى دينه وإحساسه، وهذا ما أكّده الإمام "عليه السلام" في تقديمه للفاعلين فهما من المحرّكات الفعلية لهذه الفئة المتواكلة لينهضوا للبناء ومناكفة الأعداء, فقدّم "عليه السلام" الدين بالاستفهام الإنكاريّ الذي جمعهم أمر يخصّه بالعناية الكبرى, وتبعها بالحمية تحمّشكم وجاءت بعد(لا)النافية, وإذا ذهب دين الإنسان, فالعصبية متجذرة به فتكون حافزاً لاستثارة غضبه<sup>(3)</sup>.

## 2. الاستدلال بتقديم المفعول به:

يتحدّد تقديم المفعول به باشتراطات عدّة نصّت عليها القاعدة النحوية ف" يجب تقديم منصوب الفعل عليه إن تضمّن المنصوب معنى الاستفهام، أو الشرط، أو أضيف إلى ما تضمّن أحدهما نحو: أيّهم ضربت وأيّ حين تركب أركب, وغلّام أيّهم ضربت وغلّام من لقيت فأكرمهم, وكذا إن كان المنصوب معمولاً لما بعد الفاء التي في جواب (أما) إذا لم يكن له منصوب سواه, نحو قوله تعالى: " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ"<sup>(4)</sup>.

أمّا أهمّ الأغراض التي يخرج إليها هذا التقديم؛ فهو الاختصاص<sup>(5)</sup> كما في قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"<sup>(6)</sup>, وقد زاد ابن الأثير على ذلك في قوله: "إنّما هو الاختصاص وليس كذلك والذي عندي فيه أن يستعمل على وجهين: أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة نظم الكلام وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم وإذا أخرج المقدم ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص"<sup>(7)</sup>.

وقد ورد تقديم المفعول به في قول الإمام "عليه السلام":

(1) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: 232

(2) ينظر: نحو المعاني: 90

(3) "حمش الرجل حمشاً وأحمشه فاستحمش: اغضبه فغضب": لسان العرب مادة (ح م ش)

(4) شرح الرضي على الكافية: 337-338. ويتضمن الآية/9 من سورة الضحى.

(5) ينظر: الطراز: 234, ومعاني النحو: 509

(6) سورة الفاتحة: الآية/5

(7) المثل السائر: 36/2

" فلا أموالاً بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفساً خاطرتن بها للذي خلقها تُكْرَمُونَ بالله على عباده ولا تُكْرَمُونَ الله في عباده .فاعتبروا بنزولِكُمْ منازلٍ مَنْ كان قبلكُمْ، وانقطعِكُمْ عن أوصل إخوانِكُمْ "(1).

إنَّ المفعول به المتقدّم في النصّ (أموال،أنفس) المسبوقه بلا النافية للجنس تختزل موضوع الاستدلال (التوبيخ على البخل)، وهي مصادر أدلة ذلك الاستدلال .

إنَّ في تقديم المفعول به (أموال،أنفس) في سياق النصّ ملحظاً أسلوبياً يتمثل بمجموعات العلائق التي تنظم السياق :

**فلا أموالاً بذلتموها للذي رزقها**

**ولا أنفساً خاطرتن بها للذي خلقها**

وهي أولاً: تقديم الأموال المبذولة على المخاطرة بالنفس؛ لأنَّ الأخيرة تشكل خطورة جسديّة قد لا يستطيع الإنسان الإقدام عليها، فقدّم "عليه السلام" الأقرب إلى التطبيق وهو بذل الأموال، والملحح الأسلوبيّ الآخر هو العائد (الهاء) في الفعلين رزقها وخلقها؛ إذ يدلّ على أنّ هذه الأموال والأنفس هي خارجة عن ملكيّة الإنسان، وإنّما هو مؤتمن عليها ممّا يؤكّد غرض التقديم هنا الذي يخرج إلى الاختصاص؛ أي اختصاص عمليّة البذل بالأموال بمداد رزقها، واختصاص المخاطرة بالأنفس للذي يحفظها وهو الخالق؛ فضلاً عن غرض آخر يخرج إليه وهو التأكيد وتشديد التوبيخ في أثناء توجيهه إلى الإنسان ليرعوي. إنّ هذا الالتصاق بهما هو في حقيقته مانع دون الوصول إلى المطامع الكبيرة.

كما نلاحظ في هذا التقديم ملمحاً اجتماعياً مهماً،تمثل فيه(الأموال،الأنفس) لكونهما عمادتيّ عمليّة البذل والعطاء اللامتناهي الذي تتطلبه طبيعة الكدح الاجتماعيّ، وهما اللذان يحركان عمليّة الفهم والسلوك، وفي تقديمهما يوقف السامع وينبّهه على محوريّة دورهما في عمليّة البناء الاجتماعيّ المنشود .

(1) نهج البلاغة:خ257/116

أما العنصر الجمالي فبدا واضحاً جلياً في سياق التعبير وحسن النظم في بنية التركيب في (أموال . أنفس)؛ إذ جاءت بصيغة الجمع ليدلّ على أنّ كلّ ما في الوجود يعود لمصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى (رازقها ،خالقها)، وهو غرض جماليّ تعبيريّ يؤكد المعنى في ذهن السامع.

وفي نصّ آخر قال "عليه السلام":

"كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ. نَعَمْ إِنَّهُ لَاحِكَمٌ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ وَأِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ،... (وفي رواية أخرى) أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ: حَكَمَ اللَّهُ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ"<sup>(1)</sup>.

يأتي موضع التقديم المفعول به (حُكْمٌ) نتيجة لموضوع الاستدلال (رفع شعار لاحكم إلا لله) من أجل الاعتراض على حكومة الإمام "عليه السلام".

ترد في المقدمة الاستدلالية عبارة (كلمة حقّ يراد بها باطل) بعدّها كشفاً لموضوع الاستدلال وحصره في دائرة الاحتجاج الباطل؛ فقد جاءت كلمة حقّ نكرة مخصوصة وجاورها فعل مبني للمجهول ممّا يدلّ على أنّ القائلين بها على غير هدىّ ومعرفة شرعيّة، فهذه المقدّمة أدت إلى حضور تقديم المفعول به في بنية النصّ (حكّم الله أنتظر فيكم) جاء مضافاً إلى لفظ الجلالة الله؛ ليؤكد مؤدّى التقديم هنا، وهو الاختصاص، فهو يشير إلى عظم هذا الشعار وخطورته وجلالته والاتفاق على صوابه، ويأتي الفعل المضارع (أنتظر) يحمل دلالة المستقبل ومتغيراته ليظهر السمات والخصائص الذاتية لمن يقيم الحكم الإلهي المقدّس فيترك الإمام "عليه السلام" للعامل الزمنيّ المقبل ليقول كلمته الفصل في موضوع الاستدلال على وفق السنن الإلهية المودعة في هذا الكون، مكتفياً بتقديم الهدف واختصاصه بالذكر.

والتقديم في هذا النصّ دلّ على أنّ حصر الغرض في هذا الصراع بين الإمام "عليه السلام" والخوارج؛ إنّما هو لحصر الحكومة بالله سبحانه وتعالى؛ فيأتيهم جواب الإمام "عليه السلام" بأنّ الحصر هو غرضه أيضاً، ف"معنى الحصر بالمفعول أنّ فعل الفاعل محصور وقوعه على هذا المفعول دون غيره، وذلك يكون ردّاً على من اعتقد أنّ الفعل وقع على غيره، أو عليه"<sup>(2)</sup>.

(1) نهج البلاغة: خ114/40.

(2) جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، المكتبة التوفيقية، مصر، 2003م: 8/3.

### 3 الاستدلال بتقديم جواب الشرط:

إنَّ لجملة الشرط نظاماً يغلب اتباعه بتصدّره أداة الشرط، ثمَّ يليها فعل الشرط وبعدها جواب الشرط نحو: إن يسافر أخوك أسافر معه، وقد يُصيب نظام بنية التركيب الشرطيّ التغيير؛ فيتقدّم جواب الشرط على أداة الشرط، فتتوسّع دلالاته<sup>(1)</sup>، وقد جاء هذا التقديم بكثرة في بنية النصّ القرآنيّ؛ وذلك نحو قوله تعالى: "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ"<sup>(2)</sup>، فيقول الدكتور مهديّ المخزوميّ إنَّ هذه الآيات شواهد فصيحة كلّها ما تقدم الجواب فيها، و"لم تشعر بعد هذا إن بنا حاجة إلى تقدير جواب نفترض أنّه محذوف لدلالة ما قبل الأداة من كلام عليه، كما كان النحاة يفعلون"<sup>(3)</sup>، وفي قولك: (المخطئ معذور إن اعتذر) يكون (هذا المتقدم دالّ على الجواب مغنٍ عنه ونائب ونائب منابه)<sup>(4)</sup>

وفي نصوص نهج البلاغة كثر تقديم جواب الشرط، وقد تجاوزت معاني التقديم عن وظيفة التعليق الشرطيّ؛ إذ إنَّ الأداة الشرطيّة في السياق الشرطيّ لا تدلّ على معانٍ معجميّة ولكنها تدلّ على معنى وظيفيّ عامّ هو التعليق "<sup>(5)</sup> إلى وظائف أخرى يحققها السياق لبنية الخطاب في بيئة تملؤها الصراعات السياسيّة والاحتقان العصبيّ في عصر الإمام "عليه السلام"، ف"إنَّ لبعضها وظائف فرعيّة، تضاف إلى تلك الوظيفة الأساسيّة"<sup>(6)</sup>.

جاء في قوله "عليه السلام":

"إنَّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وَكَلَهُ اللهُ إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل...، وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ في جُهَالِ الأُمَّةِ، عاد في أغياشِ الفتنة، عمّ بما في عقد الهدنة، سمّاه أشباه الناس عالمًا وليس به،... إلى الله أشكو من معشرٍ يعيشون جهالاً، ويموتون

(1) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005م: 313.  
(2) سورة العاشية/ الآية 21... ينظر: قوله تعالى (( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ )) يوسف/ 34. وقوله تعالى (( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ )) البقرة/ 111،...، وقوله تعالى (( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْنُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ... )) الأحزاب/ 32 ..  
(3) في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005م: 313.  
(4) التراكيب اللغوية في العربية: 211.  
(5) اللغة العربية معناها ومبناها: 125.  
(6) في التركيب اللغويّ للشعر العربيّ المعاصر دراسة لغويّة في شعر السياب ونازك والبياتي: مالك يوسف المطلبي، دار الرشيد للنشر، 1981م: 77.

ضُلَّالاً، وليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا ثلّي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أعلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولأعرف من المنكر<sup>(1)</sup>.

جاء موضوع الاستدلال في بنية النصّ في صفة من يتصدّى للحكم دون كفاية وأهليّة، وورد تقديم جواب الشرط (ليس فيهم سلعة) و (لا سلعة أنفق بيعاً) في سياق بنية الخطاب مصادر أدلة يصدق معها تحقق موضوع الاستدلال.

أفادت (إذا) الشرطيّة هنا وظيفة التعليق والربط؛ فضلاً عن أنّها جاءت محدّدة لزمان معلوم و " إذا تجيء وقتاً معلوماً - ألا ترى أنك لو قلت: "آتيك إذا احمرّ البُشُرُ" كان حسناً<sup>(2)</sup> استشرّف بها المستقبل؛ إذ" نجد الإمام "عليه السلام" مهتماً بما يجعل الإنسان مستقبلاً أموره؛ سواء منها ما يختصّ بالأخرة أو ما يشمل الدنيا والحياة والمجتمع<sup>(3)</sup>، فكان تقديم جواب الشرط في بنية النصّ مصوراً للنتائج قبل وقوعها ومحققاً في ذهن السامع وقوع المعلق قبل وقوع المعلق عليه، أو أن يوجّه وعيه وذاكرته على أن يتصوّر تلك النتائج قبل وقوعها بداهة وجود أسبابها المتمثلة بالجمليتين المتضادّتين اللتين تحقق فيهما الشرط؛ هما :

إيجاب

سلب

ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا ثلّي حقّ تلاوته

و

لا سلعة أنفق بيعاً ولا أعلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن مواضعه

سلب

إيجاب

ويمكن أن تُلحظ الملامح الأسلوبية :

1- اشتملت الجملتان على النفي دلالة على سلبية هذه الفئة من الناس .

(1) نهج البلاغة خ 17 / 72-75.

(2) الكتاب: 60/3.

(3) المستقبلية الإسلامية : محمّد سعيد الأمجد ، مركز الشهيدين الصدرين ، 2006م : 31 .

2- اقتران معنى السلب (أبور) مع إمكانية تحقق فعل الإيجاب (تلي حق تلاوته)، فتكون النتيجة = السلب .

3- اقتران معنى الإيجاب (أنفق،أغلى) مع إمكانية تحقق فعل السلب(حُرِف) عن مواضعه، فتكون النتيجة = السلب .

4- مجيء جواب الشرط على صيغة اسم التفضيل(أبور،أنفق) ليكون التوقع بأعلى صورة مع سلبية الفعل .

إنَّ هذا النمط يحقق دلالة العموم، فضلاً عن دلالة خاصّة في تعليق المتناقضات، ومنها حقق النصّ ما يتوخاه من معنى ترك أثراً في المتلقي مضافاً لا يتركه ذلك التعليق القائم على الانسجام المنطقيّ، فإنَّ سلبيةّ جواب الشرط المتوقعة أعطت سمات هذه الفئة التي انتهت إلى نتيجة استدلالية كشف عنها الإمام"عليه السلام" بحالة التأسّي والشكوى إلى الله تعالى فهم ( معشر يعيشون جهالاً ) و ( يموتون ضلالاً )، فصيغة الفعل المضارع تكشف عن تجدد ما هم عليه من أحوال مدّة بقائهم في الحياة،ف( يفعل )هي الصيغة التي تشير إلى المستقبل وتوقع ظهور تأثير العامل فيها (1).

---

(1) ينظر: حاشية الصبان، شرح الأشموني(929هـ) على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني(855هـ)،  
تح محمود بن جميل، مكتبة الصفا، ط1 ، 1423هـ - 2002م : 10/4 .

وفي قوله " عليه السلام " :

" أَفٍ لَكُمْ: لَقَدْ سِئِمْتُ عِتَابِكُمْ. أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفاً...،  
وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَعْرِقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَقْرِي جِلْدَهُ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ  
ضَعِيفًا مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ " (1).

جاءت جملة الشرط ( أنت فكن ذلك إن شئت ) نتيجة متحققة لموضوع الاستدلال، وهو ذم الجبن والتخاذل وتمكين العدو الذي قدم له الإمام عليه السلام بـ " أفٍ " الدالة على التحسر والتذمر .

وردت ( إن ) أداة الشرط تفيد المستقبل (2)، وقد أدى جواب الشرط ( فكن ذلك ) معنى الإيعام في أن تمكين العدو من النفس واقع في أية حال إذا مكن على وفق مشيئة المتمكن منه بوساطة سداخته وعجزه وحقارة همته، وقد نال منه عدوه واكتسب بلحمه وعظمه وجلده؛ وهو كناية عن ضياع حقوق الإنسان حينما يستولي عليه العدو " فإنه إنما خاطب من يمكن عدوه من نفسه كائناً من كان؛ غير معين ولا مخصص " (3)، ثم إن في هذا التقديم في جواب الشرط مغزى آخر أثرى بيئة التلقي، وهو الكشف عن مساحاة الاختيار التي أتاحتها الفعل ( شئت ) في أن نكون أحراراً بعيدين عن هذا الحدث ومضاعفاته .

#### 4 الاستدلال بتقديم المتعلق :

يراد من التقديم هنا إثبات شيء لشيء محدد واختصاصه به من دون غيره؛ و" فائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره فإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره، وكلا هذين الأمرين له موضع يختص به، فأما تقديمه في النفي؛ فإنه يقصد به تفضيل المنفي على غيره، أما تأخيره فإنه يقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل؛ فأما الأول وهو تقديم الظرف في الإثبات فكقولك في الصورة المقدّمة " إن إليّ مصير هذا الأمر " ولو أخرت الظرف فقلت " إن مصير هذا الأمر إليّ " لم يعط من المعنى ما أعطاه الأول، وذلك أن

(1) نهج البلاغة : خ 34 : 105-106 .

(2) ينظر : المقتضب : 56/2 .

(3) شرح نهج البلاغة، عز الدين أبي حامد عيد الحميد بن هبة الله مدائني الشهير بابن أبي الحديد(656هـ)، تح

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1385هـ - 1965م : 191/2 .

الأول أدلّ على أنّ مصير الأمر ليس إلا إليك وذلك بخلاف الثاني، إذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الظرف على غيرك<sup>(1)</sup>، وإنّ الأغراض المؤدّاة من تقديم الجارّ والمجرور لا تختلف عمّا ذكر؛ إذ إنّ مدار الأمر في ذلك هو العناية والاهتمام<sup>(2)</sup>؛ فإنّهما يندرجان مع "الكلمات تدريجاً نزولياً فما قدّمته أولاً هو أهمّ؛ وهكذا إلى آخرها ذكراً فقولك: "ذهب إلى المسجد خالد" يفيد أنّ العناية بالجارّ والمجرور أكثر من قولك: "ذهب خالد إلى المسجد"، وقال تعالى "سألني في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً"<sup>(3)</sup>، فقدّم الجارّ والمجرور (في قلوب) على المفعول به (الرعب)؛ لأنّ الأهمّ من هذا الموطن مكان الرعب في لا الرعب نفسه؛ إذ المهمّ أن تمتلئ قلوب الكافرين الرعب وليس المهمّ أن يوضع الرعب في مكان آخر<sup>(4)</sup>.

وتتعدّد مواطن العناية والاهتمام؛ فمنها الحصر والاختصاص، ومنها ما يفيد الحصر والقصر، وقد يكون للتعظيم أو التحقير، أو لتعجيل المسرّة أو المساءة، وغير ذلك من ضروب الاهتمام<sup>(5)</sup>.

فقد جاء في قول الإمام "عليه السلام" :

" إذا دَعَوْتُكُمْ إلى جِهَادٍ عَدُوِّكُمْ، دَارَتِ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي عَمْرَةٍ، ... ما أنتم لي بثقةٍ سجيّس الليالي، وما أنتم بركن يُمالُ بكم، ... .

أيّها الناس: إنّ لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حقٌّ: فأما حقُّكم عليّ فالنصيحة لكم ... وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ..."<sup>(6)</sup>.

جاء تقديم المتعلق الظرف (لي) في بنية النصّ الخطابيّ نتيجة تفسيريّة لموضوع الاستدلال (التخاذل والجبن وتمكين العدو)، وقد خرج مؤدّى تقديم الظرف في هذا السياق إلى إثبات الحقّ لصاحب الظرف، وهو الإمام عليه السلام واختصاصه به من دون غيره؛ إذا تحقّق هذا الحقّ

(1) المثل السائر : 39/2.

(2) معاني النحو : 3 / 101.

(3) سورة آل عمران: الآية / 151.

(4) معاني النحو : 3 / 105 .

(5) معاني النحو : 3 / 101-103.

(6) نهج البلاغة : خ 34 / 105 – 107 .

الذي شخّصه عليه السلام بالوفاء بالبيعة والطاعة بعدّه المعادل الموضوعي لسدّ النقص الفكري والروحي لهؤلاء القوم، وهذا مؤدّى التقديم في هذا النصّ الخطابي .

وفي قوله "عليه السلام" :

" اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم، واسألوه من أداء حقّه ما سألكم واسمِعُوا دعوة الموتِ آذانكم قبل أن يُدعى بكم .

قد غابَ عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة والعاجلة أذهب بكم من الآجلة" (1).

ورد تقديم المتعلق الجارّ والمجرور (عن قلوبكم) بعدّه مصدرًا من مصادر أدلّة موضوع الاستدلال؛ وهو توسّل مقدمات الاستعداد لقبول دعوة الموت في (قضاء الفرائض الشرعية والتماس الوسائل لذلك)، وجاء هذا التقديم "عن قلوبكم" ليؤكد أنّ غياب ذكر الآجال يتحقق في القلوب؛ وهو الموطن الأهمّ وما له من أثر في عمليّة تحوّل الإنسان من حيث الاهتمام من الدنيا وهمومها إلى الآخرة ونتائجها، وكذلك الأمر في تقديم ( بكم ) في قوله (عليه السلام) ( الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة) وهي نتيجة الاستدلال المتحققة .

إنّ هذا التقديم أكّد وخصّ تحقق أهميّة تقديم السلبيات " في تملك الدنيا والاقتصار عليها" على نقائضها المتمثلة في الآخرة والآجلة، إنّ هذه التناقضات أثرت مؤدّى التقديم وغرضه وتركيزه في ذهن المخاطب .

وهذا المعنى أكثر تأكيداً في نصّ آخر؛ قال فيه "عليه السلام" :

" الأصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة " (2).

فقد جاء الجارّ والمجرور " فيكم" والجارّ والمجرور " بكم" مصادر أدلّة لموضوع الاستدلال؛ وهو تنكير القوم بأحوالهم قبل الإسلام .

(1) نهج البلاغة: خ 112/ 249.

(2) المصدر نفسه: خ 88/26.

وهذا التقديم في بنية النصّ الخطابيّ قد خصّ بها المُخاطب من دون غيره لكونه محوراً في عمليّة التغيير، وكأنّ الأصنام لا تتصب والآثام لا تعصب إلا بما اقتترفه الإنسان من أعمال سوّغت له نفسه ممارستها؛ إذ إنّ هذا التقديم أوقع فاصلاً يوقف السامع في سياق الجملتين المتوازيتين شكلاً المنسجمتين إيقاعاً؛ ممّا أثرى الصلة الدلاليّة في مؤدّى النصّ .

## ثالثاً. التقييد والإطلاق :

ويقصد بالإطلاق هو ما " يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك، والتقييد أن يُذكر بقرينٍ من بعض ما ذكرناه "(1). ويعدّ التقييد والإطلاق من الأحوال التي تلازم الفعل الذي يختص علم المعاني برصدها ويكشف عن أسرارها الفنيّة في الأساليب (2)

يكون التقييد بالتوايح، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط، والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز (3).

وجاء التقييد في قول الإمام "عليه السلام" :

"وأشهدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. أُرْسِلُهُ بِوَجُوبِ الْحَجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحْجَةِ دَالاً عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أُمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَعَرَى الْإِيمَانَ وَثِيقَةً"(4).

جاء التقييد في سياق بنية النصّ الخطابيّ في عبارة (أرسله...) التي تمثل مصدراً من مصادر أدلة موضوع الاستدلال في (إقرارنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاءت مواضع التقييد الأخرى (فبلغ...، وحمل...، وأقام...، وجعل...) نتائج لموضوع الاستدلال، فالفعل "أرسله" في هذا النصّ لو جرّد من القيد (بوجوب الحجج) ومعطوفاتها لأدّى "أصل المعنى" المراد منه؛ إذ إنّ إرسال الله جلّت قدرته لا يبعث رسولاً إلا باكتمال الحجّة التي تؤدّي إلى الظفر الذي تعلق به كلمة، ولهذا القيد فائدة معنويّة لا تتحقق إلا بذكره، فهو يركز في ذهن السامع ما لهذا الرسول من بينة واضحة، وحجّة دامغة يلزم بها العباد للاعتقاد به واتباعه والتسليم بما أرسل به فكانت تلك الحجج قد أفضت إلى تحقيق نتيجة الاستدلال في بنية النصّ وهو اكتمال تبليغ الرسالة في نشر سبل الهداية، وإنارة طريق الاهتداء إليها وجعله حبال الإسلام متينة وعروة الإيمان وثيقة .

(1) الصاحبى : 316.

(2) ينظر : علم المعاني تأصيل وتقييم : 120 .

(3) ينظر : المصدر نفسه .

(4) نهج البلاغة : خ 375/183.

إنّ هذا التقييد المتعدّد بتعدّد نوع الفعل أكّد اكتمال إقامة الدين على يد رسوله الأعظم  
صلّى الله عليه وآله وسلّم وعدّها حجة على العباد .

وفي قوله "عليه السلام" :

" فاحذروا - عباد الله - عدوّ الله أن يُعديكمُ بدائه، ... حتى إذا انقادت له الجامعة  
منكم، واستحكمت الطمّاعيةُ منه فيكم،...، استفحلَ سلطانُه عليكم، ودلفَ بجنودهِ نحوكم،  
فأفحموكم ولجات الذُّلُّ " (1).

جاء التقييد في بنية النصّ تقييداً بأداة الشرط (إذا) التي علقت تمكن سلطان إبليس  
على القوم إذا تمّ فعل الانقياد؛ إذ إنّ " كلّ ما يريد المتكلم التعبير عنه بـ"إذا" أن يعلق شيئاً على  
شيء " (2)، والفعل المقيد بأداة الشرط (إذا) جاء مصدرًا استدلالياً لموضوع ( التحذير من أساليب  
إبليس الإغوائية ) واستعمال (إذا) لغويّاً يكون مع الأحوال كثيرة الوقوع، والذي يؤكد وقوعها مجيء  
الفعل الماضي لدلالته على الوقوع قطعاً مثلما هو الحال في بنية النصّ (إذا انقادت) ليؤكد كثرة  
من يتحقق انقيادهم بدلالة معنى الفاعل (الجامعة)؛ أي النفوس التي لم تطع إبليس في بدء الأمر  
والتي جاءت معرفة بأل الجنسية لتدلّ على المراد بها وهو مطلق النفوس، فجاء تقييد الفعل يجزم  
بتحقق وقوعه.

---

(1) نهج البلاغة : خ 396/190.  
(2) في النحو العربي نقد وتوجيه : 314 .

## رابعاً. الإيجاز والإطناب:

عُني علماء البلاغة بأسلوبي الإيجاز والإطناب كونهما يتعلقان ببلاغة الكلام التي اشتهر وصفها بمطابقتها لمقتضى الحال، وقد اختلفوا في تحديد قسديّة الحال في هذا القول، أمّتعلقة بالمتلقي، أمّ المنشئ، أمّ هي رعاية حال عامّة؟<sup>(1)</sup>، إلا أنّهما أسلوبان فنيّان يكشف علم المعاني عن وظيفتيهما التعبيريّة في سياق نظام الجملة، أو التركيب، وما بهما من خصوصيّة يطابقان به الكلام مقتضى الحال الذي وردتا فيه .

ولكّن من هذين الأسلوبين مقامٌ خاصّ به تتضح فيه جماليّة التعبير الذي لا يتحقق في مقام الآخر؛ إذ يقول ابن قتيبة في حديثه عن الإيجاز:

" وهذا ليس بمحمود في كلّ موضع ولا بمختار في كلّ كتاب، بل لكّن مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً في كلّ الأحوال لجرده الله تعالى من القرآن، ولم يفعل الله ذلك ولكّنّه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكّرر تارة للإفهام"<sup>(2)</sup>، وأبو هلال العسكري يقول:

" والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكّن واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"<sup>(3)</sup>.

أمّا المساواة؛ فقد أخرجها بعضهم على أنّها ليست " ظاهرة من الظواهر البلاغيّة كما يرى ذلك بعض البلاغيّين"<sup>(4)</sup>؛ وقد اعتُمِدَ في هذا الرأي على بعض الأسس<sup>(5)</sup>، فيجد الباحث أنّ مدار البحث لا ينصبّ على القبول والردّ في هذا المقام؛ لذا يرى تركه والاكتفاء بعرض الاستدلال بالإيجاز والإطناب في نصوص نهج البلاغة.

(1) ينظر: نحو المعاني: 161.

(2) أدب الكاتب: 15-16.

(3) الصناعتين: 190.

(4) علم المعاني تأصيل وتقييم: 137.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 137-141.

## 1. الإيجاز

الإيجاز لغة: التقصّي، وأوجزت الكلام قَصَرْتَهُ<sup>(1)</sup>، واصطلاحاً: هو التعبير عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل، ويكون إمّا يجعل العبارات القصيرة تتضمن معاني كثيرة من غير حذف (إيجاز القصر)، وأمّا بحذف كلمة، أو جملة من الكلام (إيجاز الحذف)، وقد يسمّى الإيجاز والإشارة<sup>(2)</sup>.

ويعدُّ هذا الأسلوب من أهمّ خصائص اللغة العربيّة قديماً، فلم يكن العرب يميلون إلى الإطالة والشرح والإسهاب، وكانوا يعدُّون الإيجاز هو البلاغة؛ فقد جاء عن أكنث بن صيفي قوله: إنّ البلاغة هي الإيجاز<sup>(3)</sup>، وجاء عن جعفر بن يحيى قوله لكتّابه: "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا"<sup>(4)</sup>، وتحدّث عنه ابن الأثير وعقد له فصلاً في كتابه المثل السائر، وقال في تعريفه: "هو حذف زيادات الألفاظ"<sup>(5)</sup>.

وآلة هذا النوع من الإيجاز هي "قدرة الشاعر أو الأديب على انتقاء الألفاظ الموحية الحافلة بالمعاني والدلالات، ثمّ على اختيار النسق الفنّي الذي تنتظم فيه بحيث يكون للعبارة الواحدة من المعاني ما لو أردنا الإفصاح عنه بغيرها لاحتجنا إلى بسط في ألفاظ... أو عبارات تزيد عنها"<sup>(6)</sup>.

ويتجلّى الإيجاز في نصوص نهج البلاغة منها في قوله "عليه السلام":

"الحمدُ لله الذي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ،... فهو الذي تشهدُ له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عمّا يقول المشبّهون به والجاحدون له غُلُوباً كبيراً"<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: لسان العرب: مادة (و ج ز)

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م: 70.

(3) ينظر: البيان والتبيين: 86/1.

(4) الصناعتين: 173.

(5) المثل السائر: 68/2.

(6) علم المعاني: تأصيل وتقييم: 126.

(7) نهج البلاغة: خ 122/49-123.

إنّ المتأمل في هذا النصّ الخطابيّ في هذا المقام يجد أنّه قيمة عليا في الإيجاز من أول النصّ إلى آخره، فكانت مقدّمة النصّ (بَطْنُ خَفِيّاتِ الْأُمُورِ، أَعْلَامُ الظُّهُورِ) هي مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (صفات الربوبية في الله سبحانه وتعالى).

فإنّ هذين التركيبين ذَوِي البنية القصيرة جمعا (أسرار الكون) التي بطنها الله ولو اطلع عليها الإنسان لولّى فراراً، وقد جعلها منارات وإضاءات أدلة يستدلّ بها الإنسان عليها؛ إذ إنّها تظهر بظهورها، وهكذا في التراكيب الأخرى في النصّ الخطابيّ إلى نهايته.

يأتي مؤدّى الإيجاز في هذا السياق من أجل استيعاب الفكر البشريّ لهذه الكليات التي يعجز عن استيعاب جزئياتها.

وفي قوله "عليه السلام":

"إنّ أظهرتنا على عدوّنا، فَجَنَيْنَا البغي، وسَدَدْنَا للحقّ، وإنّ أظهرتَهُمْ علينا، فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة،... العار وراءكم والجنة أمامكم"<sup>(1)</sup>.

يتضح الإيجاز في النتيجة الكلية (العار) لحصول فعل موضوع الاستدلال (أظهرتَهُمْ) المسبوق بأنّ الشرطيّة التي أفادت الظنّ والتوقّع في دلالة السياق، لأنّ (مخرجها الظنّ والتوقّع)<sup>(2)</sup>، والجنة للفعل الطلبيّ (ارزقنا الشهادة) الواقع في جواب الشرط .

فبنية التركيب (العار وراءكم والجنة أمامكم) اقتصدت الحركة الكلية في ساحة الحرب، وما تحمله من ترغيب في حتّى أصحابه على الجِدِّ في الجهاد فتكون الجنة أمامهم، فيحمل الطرف هنا قوّة دافعة لهذا الحثّ، فما هي إلاّ مدّة المعركة القصيرة، وترهيب إذا تحققت النجاة بأرواحهم بعد الغلبة عليهم فيكون في الحياة المعيشة ببعديها الزمنيّ والحركيّ أذلاء صاغرين.

إنّ ما يحمله هذا التركيب من غنى في الدلالات

(1) نهج البلاغة: خ346-345/169.  
(2) المقتضب: 56/1.

العار وراءكم = مدّة حياة ( طول زمنيّ )

حركة دؤوب في معركة الحياة

ذلّ وخسران

عُلقة هوان دائمة

الجنة أمامكم = مدّة وجيزة ( مدّة المعركة )

قتال ببسالة نحو النصر والشهادة

التقدّم روحياً باتجاه الخلود الأبديّ والفوز بالجنة

وفي قوله "عليه السلام":

" وإيّاك والمَنّ على رعيّتك بإحسانك، أو التزّيّد فيما كان من فُعلك، ... فإنّ المَنّ يُبطل الإحسان، والتزّيّد يذهب بنور الحقّ " (1).

جاء الحذف في بنية النصّ الخطابيّ للفعل الذي مصدره (المَنّ)؛ أي تَمَنّ، والفعل الذي مصدره (التزّيّد)؛ أي تزايد، وقرينة الأول الإحسان وقرينة الفعل الآخر (فعلك) فعملية التزايد تتطلب حركة فعلية، والمصدران هما مصدران أدلة لموضوع الاستدلال (وصايا لراعي الأمة) ومؤدّى الحذف في بنية النصّ يخرج إلى التحذير من هذه الأفعال التي أوجزت بمصادرها دلالة ثبوتها وخطورة أثرها في زهاب الأجر والحسن فيها عن الفاعل.

وفي قوله "عليه السلام":

" مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلّمهُ البقّة وتقتلُهُ الشرقة، وتتننّهُ العرقة " (2).

(1) نهج البلاغة : ك53/594.

(2) نهج البلاغة: ح414 / 720 .

جاء الإيجاز في بنية النصّ بحذف المسند إليه (فهو) دلّ عليه قرينة ابن آدم، ليكون التركيب (فهو مكتوم الأجل) وكذلك حذف واو العطف في التركيبين اللذين يتلوانه؛ وهذه التراكيب جاءت في النصّ نتيجة لموضوع الاستدلال (ضعف الإنسان في ما ورد من مواطن النصّ)، ويمكن تلمّس هذا الضعف في صيغ اسم المفعول (مكتوم، مكنون، محفوظ) التي اکتنزت في بنيتها العميقة سلب (المقدرة والإحاطة) من الإنسان في مكونات حياته.

أمّا الملمح الآخر الذي تضمّن إيجازاً فهو صيغ الفعل المضارع التي تشير إلى استمرار الحدث الذي يصعب على الإنسان السيطرة عليه على الرغم من مكونات أقلّ منه شأناً أو ما ينتجه جسمه.

إنّ في تعدد هذه المواطن إثراء للإيجاز بالحذف ليخرج إلى الاختصار والاحتراز عن العبث لظهور المحذوف.

## 2. الإطناب:

أطنب في الكلام إذا أبعد<sup>(1)</sup>، وهو أداء المعنى بلفظ زائد عليه لفائدة<sup>(2)</sup>.

عني البلاغيون بهذا الأسلوب مبكراً وعقدوا له فصلاً ضافية، واتضحت عناية ابن الأثير كثيراً بهذا الأسلوب؛ إذ عرّفه بقوله " هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة " <sup>(3)</sup>.

ولم تخرج جميع التعريفات عن هذا المعنى وهو أنّ الإطناب زيادة اللفظ لمؤدى يحقق قصديّة المتكلم؛ وإلا فإنّها تكون إطالة لا يقتضيها المقام، وقد ذكر البلاغيون صوراً كثيرة منها: الإيضاح بعد الإبهام، الإيغال والتذييل والتتميم والاعتراض والتكرير وغيرها <sup>(4)</sup>.

وجاء في قول الإمام "عليه السلام":

"إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنّده الذي أعدّه وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنّده"<sup>(5)</sup>.

جاء (الإيغال) في بنية النصّ الخطابيّ وهو نوع من أنواع الإطناب؛ متمثلاً بالتركيب (منجز وعده) الذي مثل نتيجة موضوع الاستدلال (النصرة الإلهية للإسلام).

إنّ قول (نحن على موعود من الله) يفي بمؤدى قصديّة الخطاب؛ وهي حفظ الإسلام ونصرته، وقد قدّم الجارّ والمجرور على موعود؛ لأنّه يتضمّن قصديّة النصّ، ولكنّه "عليه السلام" أعقبه بقوله (منجز وعده) لزيادة المبالغة ولتقوية همّة المسلمين وشيّد عزيمتهم أيضاً، لأنّ سياق الخطاب كان موجّهاً إلى استعدادهم لقتال الفرس، وهذا موقف ليس بالهين .

(1) ينظر: لسان العرب: مادة (طن ب).

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 49.

(3) المثل السائر : 120/2.

(4) ينظر : علم المعاني تاصيل وتقييم: 130-135، والبلاغة والتطبيق : 203-205.

(5) نهج البلاغة : خ 294/144.

وفي نصِّ آخر قال "عليه السلام":

" أما بعد: فإنَّ الدُّنْيَا قد أدبرت وأدنت بوداع، وإنَّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطِّلاع،...، ألا وإنَّكُمْ قد أمرتُمْ بالظُّعن، ودللتُمْ على الزَّاد. وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتِّباع الهوى وطول الأمل "(1).

يتضح التوشيح (اتِّباع الهوى وطول الأمل) المحددة للنتيجة الاستدلالية المتمثلة بـ(الظُّعن) لموضوع الاستدلال وهو "التزوّد للآخرة".

والتوشيح: هو " أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثني في حشو العجز يأتي بعده باسمين مفردين؛ هما عين ذلك المثني يكون الآخر منهما قافية بيته، أو سجعة كلامه كأنهما تفسير له "(2)، وهنا خرج التوشيح ليُرِي معنى الخوف في صورتين يظهر فيها الإبهام المتوحش الذي كان مدعاة لخوف الإمام "عليه السلام" ذلك المقدم إلى البيان والوضوح ببنية تفسيرية؛ هي اتِّباع الهوى وطول الأمل؛ إذ إنَّ هذه البنية رفعت الإبهام عن ذلك الخوف الذي خامر قلب الإمام "عليه السلام" عليهم لضعف قلوب المسلمين.

إنَّ هذه البنية التوضيحية أثرت مؤدّى قصديّة الخطاب بالمعنى الواضح الذي لا لبس فيه وحتى يقطع "عليه السلام" عليهم الحجّة على غفلتهم وجهلهم.

وفي نصِّ آخر قال "عليه السلام":

" حتى تقوم الحربُ بكم على ساقٍ بادياً نواجذها، مملوءةٌ أخلاقها حُلواً رضاها، علقماً عاقبتها، ألا وفي غدٍ - وسيأتي غدٌ - بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها "(3).

يتضح في بنية الخطاب نوع آخر من الإطناب وهو الاعتراض تمثل في بنية (وسيأتي غدٌ) التي جاءت لبيان عظمة ذلك الغد؛ وهو نتيجة موضوع الاستدلال في ذكر أخلاقيات الملاحم، وجاء في تعريف الاعتراض: " وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى،

(1) نهج البلاغة : خ 28 / 94-93 .

(2) خزائن الأدب : 372/1 .

(3) نهج البلاغة : خ 286 / 136 .

بجملة، أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل " (1)، وهو " يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم " (2).

وهو كثير في الأساليب العربيّة ، فقد قال ابن جنّي " اعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن، وفصيح الشعر ومنتور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشنع عليه ولا يستنكر عندهم " (3)، وله أغراض بلاغيّة عدّة (4).

وجاء تركيب الاعتراض (وسياتي غد .) في سياق بنية الخطاب ليحقق قصديّته وهو لنكتة التعظيم بذلك الغد والتهويل به .

وفي قوله " عليه السلام " :

" الحمدُ لله الذي لا يبلغ مدحتهُ القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدّي حقه المجتهدون، ... كائنٌ لا عن حدثٍ، موجودٌ لا عن عدمٍ، مع كلّ شيءٍ لا بمقارنةٍ، وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلةٍ، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة " (5).

تتضح في النصّ بنية أخرى من بنى الإطناب وهو الاحتراس وحده عند البلاغيين بأنّه: " هوأن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه " (6).

وجاءت بنية الاحتراس في النصّ (لا بمعنى الحركات والآلة) في سياق تعدّد مصادر الأدلّة لموضوع الاستدلال (في صفة الله سبحانه وتعالى)، فجاءت بنية الاحتراس لإزالة الإيهام عن لفظ الوصف "الفاعل" وما يوجبه الفعل من واسطة وحركة جسمانيّة، فالأفعال المنجزة بدلالة "اسم الفاعل" الدالّ على ثبوت تلك الفعلية إنّما هي غير مجسّدة وذلك أبلغ ، وهو ما أدتّه بنية الاحتراز في سياق النصّ الخطابيّ.

(1) الإيضاح : 194 .

(2) خزائن الأدب : 280 / 2 .

(3) الخصائص : 335 / 1 .

(4) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ -

2001م: 143 - 144 .

(5) نهج البلاغة: خ/36، 34.

(6) الإيضاح : 192، وينظر الطراز : 108 وسمّاه الإكمال .

ومن النتائج الكبرى في صور التنوع في بناء الجملة الاستدلالية؛ هي أن يكشف النصّ الخطابِي في "نهج البلاغة" عن حشدٍ دلاليّ يكتنف المفردات التي تكوّن توليفات تركيبية تحتاج إلى ذهنية قارئة واعية تحيط بمغزى النصّ العلويّ المنتج .

## المبحث الثاني

أساليب الخبر والإنشاء

## أولاً. الأسلوب الخبري:

تعدُّ جملة الخبر أحد قسمي الكلام في الجملة عموماً، وقد تناولت هذا المبحث كتب البلاغة والأدب، جاء عند ابن قتيبة ( 276 هـ ): "والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة. ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب؛ وهي: الأمر والاستخبار، والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر" (1)، وقسم أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكلام إلى خبر وطلب، وقال: "الخبر كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه" (2).

وكان لهذا المبحث بابٌ عقده أحمد بن فارس ( 395 هـ ) في كتابه ( الصاحبي ) سمّاه ( معاني الكلام )؛ إذ قال في تعريف الخبر: "أمّا أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنّه إعلام: نقول أخبرته والخبر هو العلم، وأهل النظر يقولون: الخبر ما حاز تصديق قائله أو تكذيبه؛ وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان، أو مستقبل أو دائم" (3).

وتتعدّد أغراض الخبر وأساليبه؛ إذ نظر البلاغيّون لها باعتبار المتكلم وعلى وفق مقتضى الظاهر، فوجوده له غرضان أساسيان؛ هما: الأول ما أطلق عليها ( فائدة الخبر ) بغرض إفادة المخاطب، والأخرى ( لازم الفائدة ) بغرض الإمتاع وتحقيق الخبر وتوكيده عند السامع .

أمّا ما نظر إليه البلاغيّون باعتبار المتكلم والمخاطب - وبخلاف مقتضى الظاهر. فوجدوا لها ثلاثة أغراض، وإنّ هناك أغراضاً أخرى خرجت منها هي الأغراض المجازية" (4).

وقد حفلت نصوص نهج البلاغة بهذا الأسلوب بما فيه من مؤدّى لقصدية الخطاب عند الإمام"عليه السلام" في أمور الحياة عامّة، وسيكون البحث في أسلوب التوكيد في بيان مقتضى الخبر في أسلوب الإمام عليّ"عليه السلام" .

(1) أدب الكاتب : 4 .

(2) البرهان في وجوه البيان: أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تح د.حفني محمّد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، ب ت: 93 .

(3) الصاحبي : 289 .

(4) للاستزادة ينظر : جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية : د.حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م: 1-5 ، و: علم المعاني - تأصيل وتقييم: 40-43 .

## الاستدلال بأسلوب التوكيد:

يراد بالتوكيد تثبيت الأمر في ذهن السامع، وإزالة الشكّ وتوضيح المقصود، وفي التوكيد متبوع ( مؤكّد ) وتابع ( مؤكّد ) وهو التوكيد نفسه (1).

وجاء في المفصل: "وجدوى التأكيد أنك إذا كرّرت؛ فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربّما خالجتّه، أو توهمت غفلة وذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته" (2). وجرى عند العرب التوكيد في كلّ شيء يكون فيه حاجة إلى التوكيد؛ فهي "قد تؤكّد الحكم كلّهُ أو تؤكّد جزءاً منه، وقد تؤكّد لفظة بعينها، أو تؤكّد مضمون الحكم، أو مضمون اللفظة، أو غير ذلك، فنقول (إنّ محمّداً مريض) و(محمّد مريض محمّد مريض) فهذا تأكيد للحكم" (3)، وقد تعدّدت صور التوكيد في بنية الخطاب في نصوص نهج البلاغة، فمنها ماجاء على صورة حرف، والآخر جاء على صورة تركيب.

### 1 . الاستدلال بحروف التوكيد:

#### • التوكيد بـ ( إن ) :

وهي من أدوات التوكيد المهمة، وهي الأصل فيه (4)، وهي " من مؤكّدات الحكم في الضربين الطلبيّ والإنكاريّ من أضرب الخبر" (5)، ومن أبرز خصائصها أنّها تربط الجملة بما قبلها؛ إذ إنّها لو أسقطت لذهب رونق النظم وأصبح الكلام مغلقاً (6) .

(1) ينظر: الشامل : محمد سعيد أسبر وبلال جنيدي: 372 ( مادة التوكيد أو التأكيد ) .  
(2) المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(538هـ)، قدّم له وبوبه د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993م: 146 .  
(3) معاني النحو: 4 / 509 .  
(4) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني- : د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، ط2، 1409هـ، 1998 م : 1 / 114-115 .  
(5) معجم البلاغة العربية : بدوي طبانة ، ط3 ، ، دار المنارة ، دار الرفاعي ، السعودية ، 1988 م : مادة ( إن ) .  
(6) ينظر : دلائل الاعجاز : 247 – 248 .

جاءت ( إِنَّ ) كثيراً في نصوص ( نهج البلاغة ) ففي قوله "عليه السلام":

" أما بَعْدُ: فَإِنَّ معصية الناصح الشفيق العالم المُجْرِب، تورث الحسرة، وتُعقِبُ الندامة، وقد كنتُ أمرتُكم في هذه الحكومة أمري، ونخلتُ لكم مخزون رأبي، لو كان يُطاع لقصير أمرٌ"<sup>(1)</sup>.

جاءت بنية التوكيد بالحرف ( إِنَّ ) مؤكدة لموضوع الاستدلال ( معصية أمر القائم بأمور المسلمين والعالم بمنتهى الأمور)؛ فقد كان قبول القوم بالتحكيم في صفين وترك نصح أمير المؤمنين عن عمد، فجاء التأكيد في سياق النصّ الخطابيّ متصدراً للكلام ليثبت في أذهانهم سوء اختيارهم، وما يجزّه عليهم من حسرة وندامة، بعدها أكدّ الخبر بمؤكّدين آخرين؛ هما: قد، ولو الشرطيّة، وهذا ما اقتضاه النصّ الخطابيّ في زيادة المؤكّدات لمناسبة مقتضى الحال والمقام النفسانيّ لهؤلاء القوم العصاة ليتمّ به الإقناع ولكن من دون جدوى .

وفي قوله "عليه السلام":

" أيُّها الناس: إِنَّ أَخَوْفَ ما أَخَافُ عليكم اثنتان: إتباع الهوى، وطول الأمل، فأما .....، ألا وإنّ الدنيا قد ولّت حذاء " <sup>(2)</sup>.

إنّ المقام في سياق بنية النصّ مقام تحذير ببيان عاقبة السلوك الإنسانيّ الذي يطلب به حلاوة الدنيا مخللاً بالتزامه الشرعيّ تجاهها، وهو موضوع الاستدلال، وجاءت بنية التوكيد في النصّ الخطابيّ لتؤكد حكم الخبر الذي ألقاه على مسامع القوم، وقد جاء اسم التفضيل ( أخوف ) بعد ( إِنَّ ) التوكيد ليثبت مؤدى هذا الخبر، ثمّ زاد عليه بأنّ التوكيديّة الثانية، نجد أنّ تعدّد المؤكّدات في النصّ يزيد في ثبوتيّة ذلك الخوف على القوم الذي شخّصه الإمام "عليه السلام" بمصادر أدلّة الاستدلال ( اتباع الهوى وطول الأمل ) .

#### • التوكيد بـ (لام الابتداء):

وفائدتها توكيد مضمون الحكم، وتدخل على المبتدأ وعلى خبر ( إِنَّ ) وعلى المضارع الواقع في خبر (إنّ ) لشبهه بالاسم وعلى شبه الجملة <sup>(3)</sup> .

(1) نهج البلاغة : خ 35 / 107 .

(2) المصدر نفسه : خ 42 / 116 .

(3) ينظر: كتاب اللامات: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ(340هـ)، تح مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985م، 149.

جاء في قول الإمام "عليه السلام":

"عجباً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام، أن في دُعَابِهِ، وأني امرؤ تلغابهُ، أعافِسُ،  
وأمارِسُ، لقد قال باطلاً، ...، إنه ليقول فيكذبُ، ... .

أما والله إني ليمنعني من اللعبِ ذكُرُ الموتِ، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة " (1).

إن مضمون الحكم الذي أراد أن يؤكد الإمام "عليه السلام" في بنية الخطاب مضمون (المنع) الذي يؤدِّيه ذكر الموت، وهو مصدر من مصادر أدلة موضوع الاستدلال (تقبيح وتكذيب ما ادَّعاه عمرو بن العاص في صفة الإمام "عليه السلام") .

وقد أنزل الإمام "عليه السلام" غير المنكر ممثلاً ببنية التلقي (السامع) منزلة المنكر؛ فقد عامل "عليه السلام" المُخاطَبَ على أنَّه خالي الذهن، مع علمه أنَّ القوم غير مُنكري لأخبار الإمام "عليه السلام"؛ لذا أكد مضمون الحكم (المنع) بلام الابتداء مع زيادته لمؤكدات أخرى في سياق النص هي (لقد)، (ليقول)، (ليمنعه) بحيث أحدثت هذه المؤكِّدات تشكيلاً لغوياً مؤدياً وظيفته بأسلوب جمالي يندر وقوعه في غير لغتنا .

وفي قوله "عليه السلام":

"ألا وإنَّ الشيطانَ قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وإنَّ معي لبصيرتي مالبست على نفسي، ولا تُيس علي، وإيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحهُ لا يُصدرون عنه ولا يعودون إليه " (2).

إن مضمون الحكم الذي أراده الإمام "عليه السلام" في خطابه هو بصيرته؛ أي: (هدى عقله ونفاذ رؤاه في وضع الشيء موضعه دون لبس)، وهو موضوع الاستدلال في النص، فجاءت لام الابتداء واقعة في اسم إن وتقدّم عليها الجار والمجرور (معي) ليؤكد أن ارتكاز محرّك البصيرة فيه بالذات .

(1) نهج البلاغة : خ 83 / 175 - 176 .  
(2) المصدر نفسه : خ 10 / 64 .

إنَّ الأسلوب الذي ألف الإمام فيه خطابه الخبريَّ جاء منسجماً مع أحوال أثر هذا الخبر في بيئة المتلقي، هذه البيئة التي يعمّها التردّد والشكّ والإنكار، فزادت المؤكّدات في بنية النصّ الخطابِيّ في أسلوب القسم ( وايم الله )، واللام في الفعل ( لأفِرطَنَّ ) كي لا يجعل لأحد حجة في الإنكار، وهذا التتوّع في مؤكّدات الخبر أثرت النصّ الخطابِيّ وتشاكلها بانسجام النصّ في مؤدّى الغرض، وهو التقليل من شأن هذا الحزب والتربّص به .

• التوكيد ب ( قد التحقيقيّة ):

وتدخل على الفعل الماضي وتفيد تحقيق حصوله (1) .

ومثل ذلك ما جاء في قوله "عليه السلام":

" ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكَ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُونَ قَبْلِكَ مِنْ عَدْلِ وَجورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلِكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يَسْتَدِلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يَجْرِي اللَّهُ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاْمَلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ " (2) .

وردت ( قد ) مرّتين في سياق النصّ الإخباري، فجاءت الأولى تسبق الفعل الماضي في ( وجَّهتك ) وهو مصدر أدلة لموضوع الاستدلال ( وصايا تتضمّن نظاماً كاملاً لإقامة دولة عادلة، وجاءت ( قد ) مسبوقة بمؤكد آخر هو ( أنَّ ) وجاء الفعل بعدها ( وجَّهتك ) وزن ( فعَل ) مضعّف العين، ولم يقل قد أرسلتك، أو وليتك، لأنّ الفعل ( وجَّهتك )، أفاد التضعيف فيه ( التكلّف ) لأهميّة هذا الفعل في سياق النصّ، ومنه فإنّ دخول ( قد ) على ( وجَّهتك ) أفادت تحقق التوجيه .

و ( قد ) الثانية، التي دخلت على ( جرت ) أفادت تحقق جريان الويلات على تلك البلاد وتلاحقها، ومنه فإنّ تلاحق المؤكّدات في بنية الأخبار المتمثلة في تولية الإمام

(1) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب : 433 .

(2) نهج البلاغة : ك 53 / 572 .

"عليه السلام" لمالك الأشتر أفادت جميعاً ما يتوسم به الإمام "عليه السلام" من تنفيذ وصاياه، وأهمها العمل الصالح الذي يمثل نتيجة لموضوع الاستدلال .

• التوكيد ب ( نون التوكيد الثقيلة ) :

غالباً ما ترد مع الفعل المضارع إذا وقع بعد أمر، أو نهي، أو دعاء، أو تمنٍّ، أو استفهام (1). ففي قوله "عليه السلام":

" ذمّتي بما أقول رهينةً، وأنا به زعيم، ... ألا وإنّ بليتكم قد عادت كهياتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، والذي بعثه بالحقّ لثبّلنّ بلبلةً، ولثغرّبّلنّ غربلةً، ولثساطنّ سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سابقون كانوا قصروا ، وليقصرنّ سبأقون كانوا سبقوا " (2).

جاءت نون التوكيد الثقيلة في سياق النصّ الخطابيّ في الفعل المضارع المتصل باللام الموطئة للقسم في خمسة مواضع؛ وهي مصادر أدلة لموضوع الاستدلال في ( إقامة العدل في دولته عندما بويع في المدينة ) .

إنّ تعاقب المؤكّد ( نون التوكيد الثقيلة ) في الأفعال المضارعة المتلاحقة شكلت صورة تمثيلية مشحونة تبدأ بالخلط، ثمّ التقطيع والضرب لهذه القطع حتى تختلط وتتقلب الأجزاء على بعضها سفلاً وعلوّاً، إنّ هذه الصورة الإخباريّة جاءت منسجمة مع أحوال المخاطب المنكر؛ لذا احتاج سياق الخطاب إلى مؤكّدات متعدّدة، فألقى الخبر على أنّه خالي الذهن لما فيه إنكار شديد استدعى الحكم لهذه الكثرة من المؤكّدات مراعاة لمقتضى الحال، والتي تصدر عنها دلالات تخفي جملة من المكوّنات النفسانيّة والمعنويّة البعيدة عند المتلقي من لدن المخاطب ممّا أثارها بطابع جماليّ خلاب .

إنّ جمال هذا الأسلوب هو ما أدركه البلاغيّون، فقد مازوه من غيره، وهو جارٍ في بلاغة كلام العرب (3)، ففيه إحياءات تتجاوز الانطباعات المباشرة .

(1) ينظر : شذا العرف في فن الصرف : 55 .

(2) نهج البلاغة : خ 16 / 68 .

(3) ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : فصل الأسلوب الخبري .

## التوكيد ب (السين):

وهي حرف يختصّ بالمضارع ويخلصه للاستقبال، وهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قوله "سأنتقم منك" (1).

جاء في قول الامام "عليه السلام":

" أرسَلَهُ على حين فترةٍ من الرُّسُلِ،... فجاءَهُمْ بتصديق الذي بين يديه،... ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطقَ ولكن أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ، ...

فَعِنْدَ ذلك لا يبقى بيتٌ مَدْرٍ ولا وَبِرٍ، إلا وأدخَلَهُ الظلمَةُ ترحَةً.... أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده، وسينتقمُ اللهُ ممن ظَلَمَ مأكلاً بمأكل ومشرباً بمشْرَبٍ " (2).

جاءت السين مرتبطة بالفعل المضارع ( ينتقم ) دلالة الفعل على الوعيد، وبنية الإخبار ( سينتقم ) تمثل نتيجة لموضوع الاستدلال ( إحكام الرأي بتأويل القرآن وترك أهل التفسير وهم الرسول وآل بيته عليهم السلام ) .

إنَّ دلالة الوعيد التي تستعمل للإنذار والتهديد بالشرِّ، ومثلها التوعّد والإيعاد(3). الذي أكدها ما في حرف السين من كثافة وما يختزنه من شحنة عاطفيّة وفكريّة توضحت في سياق النصّ، فالمُعاند لإخبار الإمام بأنَّ القرآن لا يمكن استنطاقه وتأويله، وأنَّه أولى وأعلم بإخباره، ولكنهم يوردون التفسير غير مورده، ويأخذون التأويل من غير أهله؛ لذا جاء التوعّد في بنية الخطاب بالسين؛ لأنه ألصق بالكلمة، وهذا الالتصاق في تركيب الجملة الخبريّة ( سينتقم ) دلّ على أثرها في تلقي العقاب بأشدّ أنواعه بصورة الانتقام فأدّت البنية ( السين ) في الجملة الإخباريّة وظيفتها الفعالة في ذاتها وفي سياقها النفسانيّ والدينيّ .

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن : 2 / 418، و مغني اللبيب : 1 / 185.

(2) نهج البلاغة : خ 156 / 317 .

(3) ينظر: لسان العرب : مادة ( و ع د ) .

## 2- الاستدلال بتراكيب التوكيد

### • الاستدلال بالنفي والاستثناء .

يخرج اجتماع (النفي وإلا) في الجملة الاسميّة أو الفعلية إلى فائدة معنى القصر<sup>(1)</sup>. وهو يفيد التخصيص، وإلى ذلك أشار الزركشي: هذا التركيب (النفي+إلا) أفاد التخصيص في كلّ جملة اسميّة وفعلية<sup>(2)</sup>.

وجاء في نصوص نهج البلاغة قوله "عليه السلام":

" فقد بَعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكأ عن الأعداء ساعات الرّوع،...، فإنّ أمركم أنّ تنفروا فنفروا، وإنّ أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنّه لا يُقدّم، ولا يُحجّم، ولا يُؤخّر، ولا يُقدّم، إلا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحتي لكم، وشدة شكيمته على عدوكم"<sup>(3)</sup>.

جاء هذا التركيب (النفي والاستثناء) بتعدده في أربعة مواطن يمثل مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (وجوب طاعة وليّ الأمر :الأشتر) الذي خصّه الإمام "عليه السلام" بولاية مصر .

إنّ المستوى التركيبيّ في (لا النافية+إلا) في بنية النصّ جاء غنياً بمجالات دلالية خرج إليها تكرار "لا" النافية وتنوع الفعل وإتباعها بإلا؛ فقد أفاد هذا المستوى التركيبيّ حصر وتخصيص لزوم (مالك بن الحارث) لأمر أمير المؤمنين؛ وبذلك يكون لزاماً أن يُطاع بدوره؛ لأنّه يتحرّك بموجب تلك الطاعة التي تصل به إلى برّ النجاة.

إنّ هذا الأسلوب الخبريّ بتعظيم شأن الأشتر بأسلوب الإمام "عليه السلام" قد خرج إلى صورة جمالية تخلق في نفس السامع كثيراً من الانفعالات التي تثير التأمل في شخصيّة "الأشتر" لترغيب السامع وتحفيزه على الإقبال عليه والامتثال لأمره .

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 120.

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 4/ 231.

(3) نهج البلاغة: ك550/38.

وفي قوله "عليه السلام".

" والله ما فجأني من الموتِ وارداً كرهتهُ، ولا طالعُ أنكرتهُ، وما كُنْتُ إلا كقاربٍ ورَدَ، وطالبٍ وجَدَ  
"وما عند الله خير للأبرار" (1).

جاءت بنية القصر بـ(ما+إلا) تمثل مصدر أدلة لموضوع الاستدلال (استعداد الإمام للموت  
رغبةً فيه)؛ فقد أفاد النفي هنا اتجاهاً جمالياً مثيراً عندما جاء في سياق النصّ بجملته الخبرية،  
التي خصّت الإمام "عليه السلام" باستعداده للموت رغباً فيه؛ فهذا الأمر يتجاوز قدرة الإنسان  
الاعتياديّ؛ فلا بدّ من أن يساور قلبه الخوف الشديد من فكرة الموت فكيف به إذا أقبل عليه، فبنية  
النفي المركب بـ(ما وإلا) يكون البدء فيه الحكم عليه ويفرد به فيكون في القصر تفصيل يعقبه  
التخصيص والحصص (2).

ومنه فإنّ مؤدّى النفي المركب هنا الذي سبقه نفي في بدء النصّ هو الإثبات؛ أي إثبات حقيقة  
رفض الإمام "عليه السلام" لهذه الدنيا والزهد فيها.

#### • الاستدلال بـ(القسم)

وجدت الباحثة أنّ البلاغيين يصرفون النظر عن القسم، وعدّه ضرباً من ضروب الإنشاء غير  
الطلبية؛ لذا أثر الباحثة دراسته بعيداً عن التقسيم (الخبر والإنشاء) وجعله يأتي بعد دراسة  
الاستدلال بالتوكيد لما في القسم من دلالة على التوكيد، والاستدلال به يقوي تحقيق المعنى.

فالغرض منه في "توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات: فقول: (والله لأتمونّ)، إنما أكدت  
خبرك لتزِيل الشكّ من المخاطب" (3)، وأسلوب القسم يتكوّن من جملتين متلازمتين، الأولى: جملة  
القسم، والثانية: جملة الجواب (اسميّة أو فعلية)، ويكون جواب القسم هو المقصود بالحكم، وهو  
الذي يؤتى بالقسم من أجله؛ أي لتوكيده بالقسم، وهي جملة خبرية يمكن أن تكون مثبتة، ويمكن

(1) نهج البلاغة: ك510/23.

(2) ينظر: نحو المعاني: 135.

(3) المصدر نفسه: 90/9.

أن تكون منفية، وهذا لا يمنع من ترابط جملتي القسم وتلازمهما ليحققا المعنى الدلالي والبلاغي الذي يأتي القسم من أجله<sup>(1)</sup>.

وللقسم أربعة أحرف مشهورة، هي (الواو، الباء، التاء، اللام)<sup>(2)</sup>، وهي في الأصل أحرف جرّ تجرّ الاسم المقسم به، وترتبط بفعل القسم الظاهر، أو المضمّر ارتباطاً معنوياً كارتباط حرف الجرّ بالفعل أو شبيهه<sup>(3)</sup>، ومنه سمّيت أحرف القسم؛ إذ إنّها اكتسبت دلالته وهي التوكيد فـ "اعلم أنّ القسم توكيد لكلامك"<sup>(4)</sup>.

جاء في قول الإمام "عليه السلام" :

" وإني أقسم بالله، قسماً صادقاً، لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً، صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدةً تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام "<sup>(5)</sup>.

وردت بنية القسم في النصّ الخطابيّ بـ(فعل القسم+الياء) وهي (أقسم بالله)؛ إذ إنّها تخرج إلى دلالة التوعد، ويتضح ذلك بحضور شرطية القول (لئن بلغني إنّك خنت ..... لأشدنّ عليك)، والتي تمثل موضوع الاستدلال (حفظ مال المسلمين) وقد أنزل الإمام "عليه السلام" المخاطب (زياد ابن أبيه) خليفة عامله "عليه السلام" على البصرة منزلة المنكر؛ لذا جاء النصّ بمؤكدات عدّة بأنّ الجملة الشرطية والمصدر (شدة) لتثبيت تأكيد الوعيد لردع المخاطب عن الإقدام على هذا الفعل، وهو مؤدّى القسم في بنية النصّ الخطابيّ.

وجاء القسم بالتاء في قوله "عليه السلام":

" تالله لقد علمت تبليغ الرّسالات، وإتمام العِدات، وتَمَامَ الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحِكم وضيء الأمر، ألا وإنّ شرائع الدين واحدة، وسُبُلُهُ قاصِدةٌ، مَنْ أخذ بها لحقَّ وَعَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عنها ضلَّ وَندِمَ "<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: في بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف: دار الشروق: بيروت: ط 1: 1996م: 183-184

(2) ينظر: معاني النحو: 4/539

(3) ينظر: الكتاب: 3/496.

(4) المصدر نفسه: 3/104.

(5) نهج البلاغة: 6/508

(6) المصدر نفسه: خ: 119/260

تختصّ تاء القسم بلفظ الله تعالى ولم ترد في الكتاب الكريم إلا معه: ((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ))<sup>(1)</sup>، وفيها "معنى التعجب والتفخيم"<sup>(2)</sup>، وأما (التاء واللام) ففيهما معنى التعجب ولا يقسم مع التاء إلا مع لفظ الجلالة ومع اللام إلا في التعجب<sup>(3)</sup>، والتعجب هو "انفعال قديم في نفس البشر"<sup>(4)</sup>.

إنّ الافتتاح بالقسم (تالله) في النصّ الخطابيّ سياق أسلوبيّ يقرع ذهن السامع ويدفع به إلى التأمل والتفكير في سعة علم المتكلم، ومدار تلك العلميّة التي تتجاوز حدود الفكر البشريّ الاعتياديّ، وفي المفاصل التي يركز عليها الكون أجمع والذي من أجلها خلق الإنسان وهي (تبليغ الرسالات، وإتمام العِدات، وتام الكلمات) التي تمثل مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (علم الإمام وأهل بيته"عليهم السلام") ليوظّ ذهن السامع إلى هذا المنهل العظيم الذي عكست فخامته، التاء المرتبطة بلفظ الجلالة، وجاءت المؤكّدات ورفدتها (قد)، والمصادر (تبليغ، إتمام، تمام) التي تدلّ على ثبوت الأمر فيها، و"إنّ" لتؤكد ذلك التعجب والتفخيم للسامع خالي الذهن والتصوّر.

---

(1) سورة الأنبياء: الآية/57

(2) معاني النحو: 4/540

(3) ينظر: الكتاب: 3/496

(4) معاني النحو: 4/652

## ثانياً : الأسلوب الإنشائي:

الإنشاء في اللغة الإيجاد والخلق، أنشأه الله خلقه وابتدأه<sup>(1)</sup>، ومن البحث في مفهوم الجملة الخبرية يتضح أنّ مضمونها لا يتوقف على النطق بها، أمّا الإنشاء؛ فإنّ مضمونه يتوقف على النطق به، وطريقة ذلك النطق تحدّد نوع الطلب الذي يجب تنفيذه؛ إذ يعتمد الإنشاء على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب؛ فالكلام الإنشائيّ في مثل هذه الحال يرتبط بتصوّر المتكلم ومشاعره<sup>(2)</sup>، ومن هذا يخرج تعريفه الاصطلاحيّ في أنّه كلّ كلام لا يصحّ أن يقال لصاحبه: إنّه صادق فيه أو كاذب، أو كلام (لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته)<sup>(3)</sup>، ف ( وجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأوّل الخبر ، والثاني الإنشاء )<sup>(4)</sup>.

وقسم البلاغيّون الإنشاء على ضربين؛ طلبيّ وغير طلبيّ ، ويعرف الإنشاء الطلبيّ بأنّه: (الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب )<sup>(5)</sup>.

وللإنشاء الطلبيّ أكثر من نوع، وستقف الباحثة على نماذج من بعض أنواعه، وهي؛ الأمر، النهي، والاستفهام روماً للاختصار.

### 1. الاستدلال بـ ( أسلوب الأمر ):

الأمر في أصل اللغة، هو نقيض النهي<sup>(6)</sup>؛ إذ إنّه طلب لإيقاع الفعل، أمّا النهي؛ فهو طلب لترك إيقاع ذلك الفعل<sup>(7)</sup>.

(1) لسان العرب مادة (ن ش أ) .

(2) ينظر : جمالية الخبر والإنشاء " دراسة بلاغية جمالية نقدية": فصل (جمالية أسلوب الإنشاء الطلبيّ).

(3) جواهر البلاغة : 47.

(4) الإيضاح في علوم البلاغة : 17.

(5) المصدر نفسه: 130.

(6) لسان العرب مادة (أ م ر) .

(7) ينظر : المرتجل : أبو محمد عبد الله بن احمد الخشاب(567هـ) : تح علي حيدر ، دمشق، 1392هـ/ 1972م : 215 .

أما في الاصطلاح فيعرف بأنه: " طلب إيجاد الفعل "(1)، وفي البلاغة يعرفه العلويّ بأنه " صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"(2).

وقد توضحت عناية البلاغيين الخاصة بأسلوب الأمر، والبحث في دلالاته على الاستعلاء والوجوب والدعاء، والزمن والمقدار(3). فضلاً عن توسيعهم لصيغة أسلوب الأمر، وتعميدهم له بقواعد بلاغية على وجه الحقيقة التي تحمل القصدية المباشرة ضمن الصيغ اللغوية والبلاغية التي اتفق عليها القدماء والمحدثون، ثم اهتموا بالمعاني المجازية بصيغ تجاوزت تلك القواعد؛ إذ إنهم دمجوا بنية الخطاب اللغويّ ببنية المؤدى القصدية في السياق بوظيفته التي تكشف عن ملامح نفسانية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو أخلاقية، أو غيرها .

ومن ذلك يتضح أنّ أسلوب الأمر على وفق الرؤية النحوية والبلاغية " طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام لم يكن حاصلًا وقت الطلب وفي وقته على وجه الحقيقة والمجاز"(4).

ولأمر صيغ أربع تفضي إلى دلالات فكرية ثابتة تحرك النصّ الخطابية باتجاه أمر المخاطب بدلالة الاستعلاء(5). المعنى الحقيقي للأمر .

#### القسم الأول: الأمر الحقيقي:

جاء في قوله "عليه السلام":

" واتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جدّ بكم، واستعدوا للموت فقد أظلمكم"(6).

إنّ فعل الطلب (فاتقوا) يمثل موضوع الاستدلال، ويمثل معطوفاته ( بادروا، ابتاعوا، ترحلوا، استعدوا) مصادر أدلة لموضوع الاستدلال، فجاءت صيغة الطلب متضمنة معنى

(1) البحر المحيط : 1 / 181.

(2) الطراز: 535 .

(3) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: دقيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، بيت الحكمة، 83-84.

(4) جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية نقدية : 12.

(5) ينظر : شرح قطر الندى وبلّ الصدى : 30 ، وهمع الهوامع : 30 / 1 .

(6) نهج البلاغة : خ 63 / 134.

الاستعلاء الذي اشترطه البلاغيون في تعريفهم للأمر، يقول السكاكي: " والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني : استعمال نحو ( لَيُنزِلُ ) و( أَنْزَلَ ) و( نَزَّلَ ) و( صَه ) على سبيل الاستعلاء . أمّا إنّ هذه الصور التي هي من قبيلها؛ أ هي موضوعة ليستعمل على سبيل (الاستعلاء) أم لا ؟ فالأظهر أنّها موضوعة لذلك "(1).

ودلالة فعل الأمر هنا تحمل وجوب تنفيذ المضمون بعد الطلب، لأنّها متعلقة بالقوّة، أو المادّة التي يتسلح بها الإنسان في قدرته على الاستعداد للموت، والمتمثلة بالتقوى، وهذا ما خرجت إليه صيغة الأمر بمعناه الحقيقيّ هو الاستعلاء في النصّ الخطابيّ؛ فقد مثلت هذه الصيغة القوّة المهيمنة في النصّ والمحرّكة لتوجّه المُخاطب لتنفيذ ما يؤمر به .

وفي نصّ آخر في قوله "عليه السلام" :

" رَجِمَ اللهُ امرءاً سَمِعَ حُكماً فَوَعَى، ودُعِيَ إلى رشادٍ فدنا، وأخذَ بِحُجْرَةٍ هادٍ فنجا، راقب رِبّه، وخاف ذنبه، قدّم خالصاً، ... اغتتم المهلّ، وبادر الأجل، وتزوّد من العمل "(2).

يرى الزمخشري أنّ إخراج الأمر في صورة الخبر أبلغ من صريح الأمر، لأنّه يفيد تأكيد الأمر والمبالغة في الحثّ عليه، حتى كأنّه شعور فيه إلى الامتثال والانتهاؤ؛ فهو يخبر عنه، ... ونحو قولهم في الدعاء ( رحمك الله )، أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنّما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها(3).

وتتمثّل فاعليّة هذا النوع الخطابيّ بأسلوب الخبر بما فيها من مؤدّى قصديّ في إيقاع التناول في نفس المُخاطب ليتفاعل بما أقدم عليه من أفعال فيها رضا وقبول دلّت عليها صيغة الماضي لكونها من الأمور الحاصلة، إذ حقّها الإخبار عنها بأفعال ماضويّة بصيغة أسلوب الأمر (رَجِمَ) التي كانت مادّته اللغويّة منسجمة مع الأفعال (الوعي عند السماع، والدنوّ عند الدعوة، والنجاة عند أخذ سبل الهداية ... إلخ) ممّا تكون دافعاً للعمل بهذه الأفعال من الآخرين .

(1) مفتاح العلوم : 543، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 1 / 143.

(2) نهج البلاغة : خ 75 / 153-154 .

(3) ينظر: الكشاف : 245/1، والبرهان في علوم القرآن : 351/3.

## القسم الثاني: الأمر المجازي :

وقد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي الذي وضعت له، ولا يتقيد بمعياريّة التركيب النحويّ؛ إذ تنزاح فيه اللغة في صيغ الأمر الحقيقيّ إلى معانٍ واتجاهات جديدة؛ فلا يوجب الإلزام بتنفيذ الطلب المُضمّن في الجملة على وجه الإيجاب، إنّما يستدلُّ على المعاني والإيحاءات من القرائن في سياق الكلام .

### أ- الدعاء :

يقول سيوييه " واعلم أنّ (الدعاء) بمنزلة(الأمر) و(النهى). وإنّما قيل:(دعاء) لأثّه استعظم أن يقال: أمر ونهي، وذلك قولك : (اللهمّ زيّدنا فاغفر ذنّبنا) <sup>(1)</sup>، وفيه يتجّه الأمر بكلامه بما هو أعلى منه على صفة التضرّع، والضعف، والابتهاال، والرجاء، والاستكانة والاستعطاف، أو الانتقام<sup>(2)</sup>.

ومن الابتهاال والرجاء ما جاء في قوله "عليه السلام" :

" اللهمّ داحي المذحّوات، وداعِم المسموكات، ... اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمّد عبدك ورسولك "<sup>(3)</sup>.

جاءت صيغة أسلوب الأمر ( اجعل ) مصدر أدلة لموضوع الاستدلال ببيان صفات الله سبحانه وتعالى ورسوله محمّد "صلى الله عليه وآله وسلّم"، ويحمل هذا الفعل في بنية النصّ قيمة دلالية ثرة بذاته؛ إذ يخرج إلى (الجعل)، وهو الكون والحدوث والاختصاص، لأنّه يخصّ الرسول "عليه وآله أفضل الصلاة والسلام" أعلى مراتب الصلوات وكثير البركات التي دلّت عليها صيغ جمع الكثرة(شرائف) و(نوامي)، ولم يحتج الفعل الجعليّ إلى قرينة حال في سياق الكلام لإبراز الغرض البلاغيّ للأمر، فالمستوى الدلاليّ للفعل يؤدّي الغرض البلاغيّ للأمر دون النظر إلى مستويات المقام والمقال .

(1) الكتاب : 1 / 142 .

(2) ينظر : جماليّة الخير والإنشاء : فصل(أساليب الإنشاء) .

(3) نهج البلاغة : خ 146/71-147.

## ب- الإرشاد والنصح :

هو طلب خلا من كلّ تكليف وإلزام، يحمل بين طيّاته معنى النصيحة والإرشاد والموعظة<sup>(1)</sup>، ويراد منه التوجيه والتأدّب، أو التأديب .

ويتضح هذا المعنى في قول الإمام "عليه السلام" :

" معاشر المسلمين: استشعروا الخشيّة، وتجلّبوا السكينة، وَعَصُوا على النواجذ، فإنّه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا الأمانة، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلّها، ... .

فاعودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، ... وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المَطْبِيب، فاضربوا ثبجه، ... ،فصمدا صَمْدًا، حتى ينجلي لكم عمودُ الحقِّ " <sup>(2)</sup>.

جاءت صيغ أسلوب الأمر في بنية النصّ الخطابيّ ( استشعروا، تجلببوا، عصّوا، فعاودوا، استحيوا) أفعالاً مزيدة خرجت إلى طلب الزيادة في إنجاز الفعل؛ أي زيادة حركة وعطاء من المأمور به، وقد تنوّعت صيغ أسلوب الأمر بين الفعل ( أفعل ) وما طرأ عليه من حروف زيادة واسم الفعل (عليكم) الدالّ على الطلب بصيغة أسلوب الأمر، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون (إليك) اسم فعل يشير إلى معنى (تتخّ) غير أنّ هذا اللفظ استعمل في سياق الطلب؛ فيقال إليك الخبر أي: الزمه، وحقيقة الأمر في هذه الجملة الطلبية أنّ فعل الأمر الذي يدلُّ به على الطلب قد أستغني عنه لشيوع شبه الجملة وهي الجارّ والمجرور والظرف، ووقوعهما في حيّزه فاستغني بها عنه <sup>(3)</sup>، وكذلك عليك ودونك .

(1) ينظر : علم المعاني : د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م : 85.

(2) نهج البلاغة : خ 139/65.

(3) ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : 459، والنحو العربي نقد وبناء : د. إبراهيم السامرائي ، دار الصادق ، بيروت ، ب.ت، : 118.

ومن صيغ أسلوب الأمر الأخرى صيغة المصدر (صمداً صمداً) لفعل الأمر اصمدوا، التي تخرج إلى الاختصار والمبالغة والتوكيد (1)، فضلاً عن الإغراء بالفعل (2)، والحث والحض عليه (3).

وإذا كان مؤدى دلالة المصدر يفيد التوكيد؛ فتكرارها يثري هذا المؤدى ويثير انفعالات المخاطب لتقبل النص الخطابى والرغبة فيه .

إنّ هذا التنوع في أسلوب الأمر في موضوع النص يثري دلالة تأكيد نوع الخطاب للمأمور به لأهميّة هذا الموضوع؛ وهو الالتزام بمفردات التهيؤ للعدو في ساحة القتال، وهو موضوع الاستدلال .

### ج- التحذير :

ومنه " يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد، كقوله: اعملوا ما شئتم "(4).

ومثله في قول الإمام "عليه السلام" :

" أَيُّهَا النَّاسُ : إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُوا النُّجُومَ إِلَّا مَا يَهْتَدِي بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ، وَالْمَنْجَمِ كَالكَاهِنِ، وَالكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالكَافِرِ، وَالكَافِرُ فِي النَّارِ. سَيُرَوْنَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ "(5).

جاءت صيغة اسم فعل الأمر (إياكم) ملزمة لترك تعلم طريقة النجوم؛ وهي من مصادر أدلة موضوع الاستدلال (تحديد المورد النافع في تعلم النجوم)، فحملت هذه الصيغة (إياكم) شحنة انفعالية متعاطفة أثرت النص الخطابى بوقع هذا الأمر موقع الخطر والوعيد بالنار لسالكي هذا العمل التي تدرج صفة صاحبه بالصورة التشبيهية التي تدرجت من الأكثر شيوعاً في بيئة النص الخطابى آنذاك إلى أخصها منسجمة مع تدرج أهميّة كل تشبيه مع مفهومه في ذهن السامع في

(1) ينظر : المثل السائر : 89/2.

(2) ينظر : الصاحبى : 303.

(3) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 254-255.

(4) تأويل مشكل القرآن: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(276هـ)، شرحه ونشره السيّد أحمد صقر، ط2، دار

التراث، 1393هـ-1973م : 280.

(5) نهج البلاغة : خ156/78

سياق النصّ حتى تصل إلى نتيجة كليّة في بعدها عن الله سبحانه وتعالى، وهو مرحلة الكفر والكافر .

تجمّعت هذه الصور في دفقة انفعاليّة ترهب السامع، فكانت صيغة الأمر هي الرادع الأقوى، ثمّ وجد الإمام "عليه السلام" البديل في الأسلوب المباشر باتباع صيغة أمر بالفعل (سيروا) بديلاً موضوعياً عن الفعل السابق، وبهذا يكون خروج صيغة الأمر بهذا المؤدّى لهذا المعنى قد حدّده سياق النصّ من دون الحاجة إلى قرينة، وفي هذا سموّ بلاغيّ يتصف به نصّ الخطاب عند الإمام "عليه السلام" .

## 2. الاستدلال بـ(أسلوب النهي):

النهي في أصل اللغة : طلب الكفِّ عن الفعل، والنهي: خلاف الأمر (1).

وفي اصطلاح النحاة ( نفي الأمر)، فسيبويه يقول: " إنَّ (لا تُضرب) نفي لقوله (اضرب) " (2) و" للنهي حرف واحد، وهو (لا) الجازم في قولك: لا تفعل " (3)، ويتفق النهي مع الأمر من جهة الاستعلاء وارتباطه بالمخاطب، وإرادة المتكلم، الفاعل للمعنى على معنى النهي، فهو طلب الكفِّ عن فعل شيء ما من المخاطب على جهة الحقيقة أو المجاز (4)، ومنه فأسلوب النهي يقسم على قسمين: النهي الحقيقي والنهي المجازي .

### القسم الأول : النهي الحقيقي:

ويكون بطلب الكفِّ عن عمل الشيء على جهة الاستعلاء وهذا ما اشترطه البلاغيون في صيغة ( لا تفعل ) من أجل تسميتها (نهياً) فيكون الطلب من الأعلى إلى الأدنى بإلزام تنفيذه ووجوبه، وهذا الصيغة من النهي تفيد تشريعاً ما في النواهي الاعتقاديّة الدينيّة خاصّة كما جاء في قوله "عليه السلام" :

" وقد قُلْتُمْ " رَبَّنَا اللَّهُ " فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تمرقوا منها ولا تبدعوا فيها ولا تُخالفوا عنها . فإنَّ أهل المروقِ مُنْقَطِعٌ بهم عند الله يوم القيامة " (5).

وردت صيغة النهي (لا تمرقوا، لا تبدعوا، ولا تُخالفوا) بـ(لا الناهية) الفعل المضارع المجزوم بثلاثة أفعال في بنية النصّ الخطابي، وهي تمثل مصادر أدلة لموضوع الاستدلال ( الاستقامة على كتاب الله والالتزام بتعاليمه)، فالنهي في سياق النصّ يتجاوز التركيب اللغويّ الظاهر إلى الغوص في بنيته العميقة بما تختزنه هذه الصيغ من وجوب تشريعيّ بالترام عدم التجاوز عند حدود الله أو الابتداع عليه أو مخالفته، فكان النهي في هذا المقام وجوباً تنفيذه

(1) ينظر: لسان العرب مادة(ن ه ي) .

(2) الكتاب : 136/1.

(3) مفتاح العلوم : 545، وينظر : الإيضاح : 143.

(4) ينظر : جمالية الخير والإنشاء(دراسة بلاغية جمالية نقدية): 10.

(5) نهج البلاغة : خ/355/174.

لتفادي عاقبة هذا الأمر عند الله في يوم القيامة وهي ( فإنَّ أهل المروق منقطع بهم ) وهي نتيجة موضوع الاستدلال .

وبذلك فإنَّ أسلوب النهي له صلة وثيقة بالقرآن وعلومه وأحكامه؛ فضلاً عن صلته بالبلاغة العربيّة .

وفي قوله "عليه السلام" :

" أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةِ شِبْعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ" (1).

إنَّ صيغة النهي في بنية (لا تستوحشوا) تمثل موضوع الاستدلال في سياق النصّ (التمسك بطريق الحق والتزامه)، فتجاوزت هذه البنية اللغويّة التركيب النحويّ المباشر إلى المخزون اللغويّ الذي ينقل الشيء من حال إلى حال، فالوحشة غُربة وخوف وذعر إلا أنَّ الإمام "عليه السلام" ساقها في الإطار الإيجابي لا في الإطار السلبيّ الذي تحمله اللغة لها، حينما قدّم النهي عليها (لا تستوحشوا) وبذلك رفع تلك الغربة المخيفة لكلمة (طريق الهدى) التي تتضمّن الموقف المطلوب، ورفع عن نفس المخاطب التردّد والخوف من إقدامه على سلوك هذا الطريق، وجاء الإمام "عليه السلام" بجملة تقريرية تعليلية بعدها هي ( فإنَّ الناس قد ... ) وكأنّها بمنزلة البرهان على الطلب الذي تضمّنه النهي (لا تستوحشوا)، وفي هذا الأسلوب من النهي الحقيقيّ يقف الإمام "عليه السلام" موجّهاً ومطمئنّاً للناس في بيان مؤدى الاجتماع على فائدة يكون الشعب فيها قصيراً، والجوع فيها طويلاً، وهي الغربة الحقيقيّة التي تماثل في المعنى الوحشة التي نفاها الإمام "عليه السلام" في سلك طريق الهدى .

وبذلك يجد المتلقي بهاء الجمال الفنّي والبلاغيّ الذي انطوى عليه أسلوب النهي في بنية الخطاب الذي تجاوز الدلالة القريبة والصيغة التركيبية لفهم المعنى العميق والدلالة البعيدة التي توخاها الإمام "عليه السلام" في سياق النصّ .

(1) نهج البلاغة : خ 199 / 433.

## القسم الثاني: المعنى المجازي:

تخرج صيغة النهي إلى معانٍ عدة على غير ما وضعت له في النهي الحقيقي، ليؤدّي قصديّة أخرى يفرضها السياق الذي وردت فيه، ومنها:

### أ-الدعاء .

وجاء في قوله "عليه السلام":

" اللهم صُنْ وجهي باليسارِ، ولا تبذُلْ جاهي بالإقتارِ فأسترزقُ طالبي رزقك وأستعطفُ شِرارَ خَلْقِكَ، وأبتلى بحمد من أعطاني،...، وأنت من وراء ذلك كلّه وليّ الإِعطاءِ والمنع"<sup>(1)</sup>.

وردت صيغة أسلوب النهي المجازي الذي يخرج إلى الدعاء (لاتبذُل) التي جاءت مصدر أدلة لموضوع الاستدلال(اللجوء إلى الله بطلب الحاجة)، فأدّت مؤدّى النصّ بالتضرّع والتوسّل إلى الله بمنع بذل الجاه في سؤال المخلوق، فكانت هذه الصيغة تحمل قيمة جماليّة انبثقت من الطاعة الروحيّة للإمام "عليه السلام" وارتقاء الذات عن سؤال الآخر.

---

(1) نهج البلاغة:خ469/222

ومثله في قوله (عليه السلام):

" اللهم احملني على عفوك، ولا تحملي على عدك " (1).

وردت صيغة أسلوب النهي (ولا تحملي) التي تخرج إلى التوسل بالله أن يأخذه على كرم عفوه، ولا يكون الخُمل على عدله، لأنه إذا تحقق العدل في الحساب لكانت معاصي الإنسان تثقل في كفة الميزان، فجاء معنى الدعاء بصيغة النهي محملاً بطاقة مشحونة باتجاه الحمل على العفو.

### ب\_ النصح والإرشاد:

يتم هذا التوجه على سبيل النصح والإرشاد لا على سبيل الإلزام والوجوب؛ كقوله تعالى: " لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ " (2).

وفي قوله "عليه السلام":

" اتق الله الذي لا بدُّ لك من لقائه، ولا تنتهي لك دونه، ولا تقاتلنَّ إلا مَنْ قاتلك، وسِرِّ البردين،...، ولا تَسِرْ أَوَّلَ الليل، فإنَّ الله جَعَلَهُ سَكَنًا، وَقَدَّرَهُ مَقَامًا لا ظِعْنًا، فأرح فيه بدنك،...، فإذا لقيت العَدُوَّ، فقف من أصحابك وسطاً، ولا تَدُنْ من القوم دُنُوً من يريد أن يُنْشِبَ الحَرْبَ، ولا تُبَاعِدْ عنهم...، ولا يحملنكم شأنُهُم على قتالهم، قبل دعائهم والإعذار إليهم " (3).

وردت صيغ أسلوب النهي (لا تقاتلنَّ، ولا تَسِرْ، ولا تَدُنْ، لا تباعد، ولا يحملنكم)، مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (في أصول المواجهة ومقوماتها مع العدو).

وردت هذه الصيغ في سياق النصِّ مؤدِّية معنى النصح والإرشاد في كيفية الإقدام على العدو، وفيها أيضاً معنى التأديب، فلأهميَّة الحفاظ على مقومات الظفر الحقيقيَّة وخطورتها؛ لا بد من أن تكون هناك أسس علميَّة (سلوكيَّة، وأخلاقيَّة) في ساحة القتال؛ فجاءت صيغ أسلوب النهي في أسلوب بلاغي لا يعتمد على الإقصاء والتعالي وإنما يهدف إلى وظيفة فنِّيَّة جماليَّة وأخلاقيَّة ترتقي بمكوناتها الدلاليَّة التي تغوص في مضمون تلك الصيغ؛ فبدأ بالنهي عن البدء

(1) نهج البلاغة: ح472/224.

(2) سورة المائدة: الآية/101.

(3) نهج البلاغة: ك502/12.

بالقتال، وإلى مقومات النهي السليمة لهذا القتال متمثلة بالنهي عما يرهق المقاتلين والركب والدنو الذي يُسرّع في نشوب الحرب... وغيرها، وجاء تأكيد هذه الصيغ بالجمل المؤكدة التي تتبع بعض صيغ النهي فتقوي المعنى فيها.

### ج . الدوام والاستمرار :

قد يتخذ أسلوب النهي مورداً آخر في المعنى ينتهي إلى تأكيد دوام الشيء واستمراره لأمر بلاغيّ يتضمّنه السياق؛ فضلاً عن معنى الثبات والسيرورة. جاء في قوله "عليه السلام":

" لا تَسْتَحِ من إعطاء القليل فإنَّ الحرمان أقلّ منه " (1) .

فالخطاب موجّه إلى صاحب العطاء القليل؛ وهو موضوع الاستدلال بصيغة النهي (لا تستح) الذي جاء الفعل فيها مفيداً مع السياق دلالة الثبات والاستمرار في الفعل المنهّي عنه، فالعطاء يكون مستمرّاً مع قلته بصيغة النهي الذي أكّد هذا المعنى، وعمل على تقويته الجملة المؤكدة (فإنَّ الحرمان أقلّ منه) .

---

(1) نهج البلاغة: ح67/640.

### 3. الاستدلال بـ(أسلوب الاستفهام):

الاستفهام في اللغة: "استفهمه: سأله أن يفهمه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً" (1).

واصطلاحاً هو (طلب الفهم) (2).

ويقتضي الاستفهام الفعل ويطلبه، فهو سياق فعلي، يقول ابن يعيش: "اعلم أن الاستفهام يقتضي الفعل ويطلبه. وذلك من قبل إن الاستفهام في الحقيقة إنما هو عن الفعل، لأنك إنما تستفهم عما تشك فيه وتجهل علمه، والشك إنما وقع في الفعل، وأما الاسم فمعلوم عندك، وإذا كان حرف الاستفهام إنما دخل للفعل لا للاسم كان الاختيار أن يليه الفعل الذي دخل من أجله" (3).

ويعدُّ الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن؛ لذا لزم ألا يكون حقيقياً إلا إذا صدر من شاكٍ مصدق بإمكان الإعلام، فإن "غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام" (4).

وجملة الأمر يكون الاستفهام حقيقياً إذا كان لفظه الظاهر موافقاً لمعناه الباطن عند سؤالك عما لا تعلمه، فنقول: (ما عندك) و (من أنت؟) (5).

أما المعاني البلاغية للخطاب الاستفهامي؛ فهي كثيرة، لأنها تتوزع على مساحة شاسعة من العواطف والانفعالات الإنسانية التي يصعب حصرها، وهي تتغير في سياق الكلام الذي يكون فيه من الدلائل والقرائن والإشارات النفسانية والإيحاءات الشعورية عند الباتِّ والمستقبل على السواء، مما يفتح المجال لتقرير معانٍ بلاغية كثيرة لأدوات الاستفهام (6).

(1) لسان العرب: مادة (ف ه م).

(2) رسالتان في اللغة: أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني (382هـ)، تج: إبراهيم السامرائي، دارالفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1984م، 73، و ينظر: مغني اللبيب 1/171.

(3) شرح المفصل: 81/1.

(4) البرهان في علوم القرآن 2/327.

(5) ينظر: الصاحبى: 292.

(6) ينظر: علم المعاني: عبد العزيز عتيق: 104-121.

## القسم الأول: الاستفهام الحقيقي:

وهو طلب العلم بشيء اسماً، أو حقيقة، أو عدداً لم يكن معلوماً من قبل، أو هو الاستخبار الذي قيل فيه: طلب خبر مراد عند المتكلم، أو الاستفهام عما يُفهم حقّ الفهم فيُطلب من المُخاطب، فعند السؤال عنه ثانياً يكون استفهاماً<sup>(1)</sup>.

### • الاستفهام بالهمزة :

أشار النحاة إلى أصالة الهمزة في باب الاستفهام، فسيبويه يقول: "إنّها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره. وليس للاستفهام في الأصل غيره، وإنما تركوا (الألف) في (من) و(متى) و(هل) ونحوهنّ، حيث أمّنوا الالتباس"<sup>(2)</sup>، وتستعمل الهمزة لطلب التصور والتصديق<sup>(3)</sup>.

وذهب سيبويه إلى أنّ الهمزة تأتي للاستفهام عن التصوّر إذا كان مطلوباً بها وب(أم)المعادلة تعيين المفرد، فيكون تقديم المفرد المستفهم عنه اسماً كان أو فعلاً هو الأحسن<sup>(4)</sup>.

ومثل ذلك ما جاء في قوله "عليه السلام":

" وأعجب من ذلك طارقٌ طرّقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شنىٰئُها، كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قبيها، فقلتُ: "أصله أم زكاة أم صدقة". فذلك مُحَرَّمٌ علينا أهل البيت؟"<sup>(5)</sup>.

جاءت أداة الاستفهام والمستفهم عنه (أصله) مع معادلاتها التي تمثل مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (التبرؤ من عطايا الآخرين) التي خرجت إلى التصوّر بقريئة وجود (أم) المعادلة التي أثرت النصّ الخطابيّ بالمؤدّي القصديّ الكامن في مواطن التساؤل ومعادلاته من باب تعين الموارد التي شخّصها الإمام "عليه السلام" بحرمتها على أهل البيت من جهة ومن جهة أخرى تقطع السبيل على الآخر من أن يوهم نفسه بأنّ له منفذاً إلى موطن يمكن أن يضعف فيه "عليه السلام" أمام المغريات .

(1) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء : 11.

(2) الكتاب 99/1، وينظر الايضاح في علوم البلاغة: 134-135

(3) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري(761هـ)، تح د. مازن المبارك، ومحمد علي عبد الله، دار الفكر، بيروت، ط6 ، 1985م: 21

(4) ينظر: الكتاب 169/3-171

(5) نهج البلاغة :خ468/221

## • الاستدلال بالهمزة وهل:

جاءت بنية الاستفهام الحقيقي بالهمزة وهل في قوله "عليه السلام":

"الَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا، وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا،  
وَأَكْتَفَ جُنُودًا! تَعَبُّوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْدٍ، وَأَثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ، ثُمَّ ظَعَفُوا عَنْهَا بَغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهْرٍ  
قَاطِعٍ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ؟ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ؟ أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ  
صُحْبَةً؟"<sup>(1)</sup>

يأتي موضوع الاستدلال في النصّ الخطابِيّ في (ضدّيّة الدنيا والاعتبار بالماضين  
وفنائهم)، ويأتي تعدد مصادر أدلة الاستدلال، ووفرتها ببنيات النصّ الخطابِيّ (أطول أعمارًا،  
أبقى آثارًا،...، سخت لهم، أعانتهم، أحسنت له) بمقتضى تنوّع أدوات الاستفهام الهمزة وهل.  
لتكون بنى احتجاجية توسع ذهن المتلقي بهذا الكمّ من أحوال الماضين، وترسخ في الذهن سرعة  
فناء تلك الأحوال.

حققت بنى الاستفهام في النصّ الخطابِيّ كمّا احتجاجياً أثرى المؤدى القصدي الإبلاغي في  
النصّ.

## القسم الثاني: الاستفهام المجازي:

إنّ أدوات الاستفهام لا تتوقف عند المعاني الأصليّة التي ينتهي إليها أسلوب الاستفهام  
الحقيقيّ الذي يتطلب إجابة محدّدة؛ إذ إنّه يتعدّى هذا التحديد إلى التصرّو، وبهذا يخرج أسلوب  
الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالاته المجازيّة الدلالة الحقيقيّة، وعندئذٍ يصبح  
بمعنى الخبر، لا بمعنى الإنشاء كما جاء في همزة التسوية؛ فهي لا تستحقّ جواباً " لأنّ المعنى  
معها ليس على الاستفهام وأنّ الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لأنّه خبر "<sup>(2)</sup>، وكذلك الحال  
في المعاني الأخرى.

والغرض من الاستفهام المجازيّ خروجُه إلى إبراز ظواهر جماليّة وبلاغيّة؛ إذ يخرج إلى معاني  
لا تعرف في الاستفهام الحقيقيّ تستنطقها القريحة والذوق والسياق والقرائن منها:

(1) نهج اللاغة: خ245/110.

(2) مغني اللبيب: 61

أ. التقرّيع:

كما ورد في قوله "عليه السلام"، وقد جمع الناس، وخصّهم على الجهاد فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام:

" أمخرسون أنتم؟(فقال قوم منهم): " يا أمير المؤمنين " إن سرت سرنا معك، فقال عليه السلام: ما بالكم: لاسدّدتم لرشد، ولا هديتم لقصد، أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟ إنما يخرج في مثل هذا رجلٌ ممن أَرْضاهُ من شجعانكم وذوي بأسكم "(1).

إنّ همزة الاستفهام في بنية (أمخرسون) هي مصدر أدلة لموضوع الاستدلال (تردد القوم عند حصّهم على الجهاد)؛ فقد خرجت إلى معنى التصديق، فالاستفهام في سياق هذا النص لا يحتمل الإجابة أو الإثبات؛ وهو يعكس أحوال تردد القوم، ودخول الهمزة على الاسم (مخرسون) أدت معنى التقرّيع فأوقعت الشكّ في القوم أنفسهم بما فيهم من تردد فـ" إذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشكّ في الفاعل من هو وكان التردد فيه "(2)، وهذا ما أكّدته الجملة التقريرية بجملة الشرط في سياق النصّ (إن سرت سرنا معك) .

أما بنية الاستفهام الأخرى (أفي مثل هذا ينبغي) في النصّ الخطابي، فقد خرجت إلى المعنى المجازي الذي أفاد التقرّيع لهؤلاء القوم في موقفهم المتردد في مقام يحتاج فيه إلى رأي ثابت وبأس وشدة.

(1) نهج البلاغة خ258/118  
(2) دلائل الإعجاز: 99

## ب . الاستبعاد

جاء في قوله "عليه السلام ":

" أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ!! أَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفِرَاعِنَةِ؟! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ،...."(1).

جاءت بنية الاستفهام (أَيْنَ) نتيجة لموضوع الاستدلال (فناء الدنيا)؛ إذ خرجت إلى دلالة الاستبعاد ؛ فهو "ضرب من الخبر، فكأنَّ التعجّب لما طرأ على الاستفهام إنّما أعاده إلى أصله من الخبريّة"(2)، فهو تعجّب من خبر الأمم السالفة التي كان لها الرفعة والعلو في زمانها، فطغت.

إنَّ تكرار بنية الاستفهام مع ذكر اسم كلّ أمة أثرت دلالة النصّ بإلهاب شعور المتلقي وإثارته باتجاه تلك النتيجة المشخّصة.

## ج . التوبيخ

ويخرج الاستفهام إلى دلالة التوبيخ في قوله "عليه السلام

" أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوْمْتُكُمْ، وَإِنِ ابْيَئْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتْ الْوَثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أَرِيدُ أَنْ أَدَاوِي بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي"(3).

جاءت بنية الاستفهام(من) مرّتين في الخطاب الأولى مسبوقه بحرف الجرّ(الباء)، وتمثل مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (تثاقل القوم عن طاعة أميرهم)، وحرف الجرّ هنا يشير إلى القوم الذين يأتهمهم، والأخرى (إلى مَنْ)؛ فإنّها تشير إلى القوم المغايرين الذي يواجههم .

إنَّ علاقة التجاور بموطني الاستفهام أثرت بنية الاستفهام في النصّ الخطابيّ في شدّة إنكار الإمام"عليه السلام "لضعف قومه وتهاونهم في الإقدام على الجهاد في سبيل حفظ الأمة

(1) نهج البلاغة خ367/180

(2) الخصائص 269/3

(3) نهج البلاغة:خ261/120

والإسلام، وحذف المستفهم عنه في سياق النصّ قوَى دلالة ذلك الإنكار عند الإمام "عليه السلام" اعتماداً على فَهْم السامع للمضمون .

#### د . الإرشاد

ومثله ما جاء في قوله "عليه السلام":

" أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهَتُمْ وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتْ إِلَيْكُمْ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسُوطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. اللَّهُ أَنْتُمْ! أَنْتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟ "(1).

وردت بنية الاستفهام (الهمزة) والفعل نتيجة لموضوع الاستدلال (حفظ حق الإمام على الرعية)، فدخلت الهمزة على الفعل، فكانت في هذا الموضع الهمزة للاستفهام عن النسبة ومعناها الإنكار الذي اجتمع مع الذمّ و(التجهيل بمكان المنفعة)<sup>(2)</sup> في بنية الفعل المستفهم عنه (أنتوقعون) الذي يختزن معنى الترقّب لآخر مغاير تتحقّق له قدرة الإمام "عليه السلام" في تشبيبتهم على النهج الصحيح بالإرشاد الصحيح .

#### هـ . التعظيم

ويخرج الاستفهام إلى دلالة التعظيم مثله ما جاء في قوله "عليه السلام":

" أَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فَوَلَّوْهُوا وَلَةَ اللَّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا "(3).

إنّ بنية الاستفهام (أين) تعدُّ مصدر أدلة لموضوع الاستدلال (تثاقل القوم عن طاعة أميرهم) .

هذه الفئة الأخرى التي أخلصت بعملها مع الإمام "عليه السلام" وأثرت ساحة الإسلام بالرأي السديد، والعقل الرشيد، فجاء الاستفهام مختزناً لدلالة التعظيم لهذه الفئة وهو " استفهام على التعظيم لليوم كما يقال : (ليوم أيّ يوم ؟!) "(1).

(1) نهج البلاغة : خ368/180

(2) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : 422

(3) نهج البلاغة : خ261/120

وجملة الأمر فإنّ كتاب (نهج البلاغة) يمتلئ بكمّ نصيِّ أفرغ شحنته النتاجيّة بعناصر تشكيليّة مختلفة، مكوّنة منظومة مفهوميّة متكاملة انطوت على اللفظ المتمايز والتركيب التوليقيّ الذي استوفى وظيفته الإبلاغيّة بالنسق الكلاميّ المبدع .

---

(1) تفسير غريب القرآن: أبو عبد الله بن مسام بن قتيبة (267هـ)، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، ط2، دار التراث، 1393هـ-1973م: 506.

## الفصل الثالث

تحوّلات بنى الاستدلال

وبناء الصورة

## المبحث الأول

### التحوّل والحوار

جاء في معنى التحوّل لغةً: الحذق في النظر والقدرة على دقّة التصرّف، ويقال تحوّل الرجل واحتال إذا طلب الحيلة، وتحوّل عن الشيء أزال عنه إلى غيره، وحال الشيء نفسه يحوّل حولاً بمعنيين: يكون تغيّراً، ويكون تحوُّلاً<sup>(1)</sup>.

ويتجه المعنى اللغويّ للتحوّل باتجاه الحركة نحو التغيير والاستبدال عن وعي، وهذا المعنى هو من المقاربات الاصطلاحية للفظّة (التحوّل) مثال ذلك الاستحالة، وفيه "معنى التغيّر والتقلّب والانحراف. من ذلك أنّ الكلام المحال هو ما حول عن وجهه، والكلام المستحيل هو المحال"<sup>(2)</sup>، وفي هذه الحالة يكون "التحوّل قابلاً للحدوث ممكن التحقيق"<sup>(3)</sup>، ويمكن في هذا المقام ملاحظة مقارنة مع ما عُرف في اللغة من مفهوم أساس؛ وهو التبدّل والتغيّر المعتمد في الاصطلاح الفلسفي<sup>(4)</sup>.

وجاءت لفظة حوِّلاً؛ وهو اسم يقوم مقام المصدر في الكتاب الكريم مقارنةً بدلاً من لفظة تحويلاً المصدر الحقيقي لضرورات الفاصلة في سياق النصّ، في قوله تعالى "لا يَبْعُوثَ عَنْهَا حِوِّلاً"<sup>(5)</sup>، وأسلوب النفي (لا) حركت الذهن في معنى التحويل في الآية من دائرة الإثبات (التحقق) إلى دائرة النفي (السلب) انتقاءً للتحقق، فأكدت الثبوت على ما هم عليه.

ونقل مفهوم التحوّل إلى دائرة الإبداع الأدبيّ؛ فإنه يخرج به بعيداً عن شرنقة المعايير النقدية، والمحدّدات الصارمة، فالتحويل الأدبيّ هو "انتقال المادّة الخام، والغفل من الحياة بعناصرها المبعثرة؛ لتصبح في عالم الفنّ مكونات نصّية موظفة ضمن بنية، أو بنى متناسقة متماسكة متلاحمة تخضع لمنطق جديد غير منطق الواقع، ولوفرة الاحتمالات والقراءات والتشكيلات تباين أحادية السياق الاجتماعيّ أو الحياتيّ ودلالته المفردة"<sup>(6)</sup>، ويتجه مفهوم التحوّل

(1) لسان العرب : مادة (ح و ل).

(2) المصطلح النقديّ في نقد الشعر: دراسة لغوية، تاريخية، نقدية: إدريس الناظوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط2، 1349هـ-1948م: 155.

(3) الخطيئة والتكفير: 221 .

(4) ينظر: المصدر نفسه: 155.

(5) سورة الكهف: الآية/ 108.

(6) أطيايف الوجه الواحد: دراسات نقدية في النظرية والتطبيق: د. نعيم اليافي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 240.

إلى التماهي في رحاب مدونات اصطلاحية أخرى يكون محوراً أساسياً في بنيتها ومنها الانزياح، والعدول، والالتفات<sup>(1)</sup>.

وقد اكتسب مصطلح التحويل شهرته الواسعة في مجالات الدرس اللغويّ، ثمّ تعدّاه إلى مجالات الدرس البلاغيّ، فكانت بدايات التفكير بالتحوّل عند عبد القاهر الجرجانيّ الذي عقد فصلاً في دلائل الإعجاز سمّاه الفروق الفردية في الخبر والحال، وفيه كشف عن المنطلقات الجديدة بالقياس للملاحظات التي قدّمها عبد القاهر الجرجانيّ بالإسناد إلى اللغة في معرفة الفروق والوجوه في الفصل الذي عقده<sup>(2)</sup>، وبذلك فإنّه سبق اللسانيين الذين نادوا بالنظرية التحويلية من أمثال تشومسكي؛ التي لامست أطرافها الحضور الواضح في الدرس النحويّ عند العرب<sup>(3)</sup>.

وبذلك فإنّ التحوّل تغير في صيغ الخطاب، وهو ما يعبر عنه بتحوّلات النظم، وثبات القيمة "المعنى، أو الموضوع"<sup>(4)</sup>، ولعل هذا يبتعد كثيراً عن تلك المنطلقات النظرية ولاسيما ما يعرف بالتحويلية التوليدية عند تشومسكي التي تعتمد المكوّن اللغويّ أساساً في تشكيل أكثر من نظام في الجملة، وكذلك التحويلية الخطابية لتودوروف<sup>(5)</sup>.

ويجمل تعريف عصام شرتح في دراسته (ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل)، مفهوماً واضحاً للتحوّل، وهو "دينامية الجمل من حيث تولّدها، وتماسكها وتداخلها على المستويات كافة، أو بمعنى أدقّ: هو الانطلاق بالجمل من بنية ثابتة، لتحقيق بنيات صغرى شديدة التلاحم والتعقيد؛ أو هو تولد البنيات، وتداخلها في الجمل الشعرية، ممّا يسمح لها بقدر كافٍ من المرونة والانفتاح"<sup>(6)</sup>.

وبعد أن رصدت الباحثة بعض التعريفات التي تقرّب المفهوم من الذهن، ستكون معالجة أسلوبية التحوّل في البحث؛ وذلك باستكناه أهمّ وظائفه التي تجسدها آلياته التي يمكن التوقف على أهمّ آليتين هما: التردّد، والاستبدال، كما سيدرس التحوّل البنيويّ الدلاليّ.

(1) ينظر: تحوّلات بنى الخطاب القرآنيّ في مشاهد القيامة والقصّ (دراسة أسلوبية): أطروحة دكتوراه بلفيس كولي محمّد الخفاجي، بإشراف د. حيدر لازم مطلق، 2005م: 23-27.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز: 173 - 201.

(3) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: 91-92.

(4) ينظر: معجم المصطلحات العربية المعاصرة: 84.

(5) ينظر: مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة: د. نعمة رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العراقيّ، بغداد، 1421هـ - 2001م: 196.

(6) ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل: عصام شرتح، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م: 1.

## أولاً - آليات التحوّل ووظائفه:

### 1 - التردّد

يعدّ التردّد من الآليات المهمّة التي تقوم عليها أسلوبية التحوّل، وفي اللغة "ردّده ترديداً، وترداداً؛ أي: بمعنى: الرجوع، وارتدّ عنه؛ أي تحوّل وانصرف إلى غيره"<sup>(1)</sup>. وعند ابن رشيق (463هـ) سمّاه الترديد، وهو أن يعلّق الشاعر لفظة في البيت بمعنى، ثمّ يردها بعينها، متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه<sup>(2)</sup>.

وسمّاه أبو هلال العسكري (395هـ) التعطّف؛ وهو أن يذكر اللفظ، ثم تكررّه، والمعنى مختلف<sup>(3)</sup>، وانتفت الجاحظ إلى هذه الظاهرة الأسلوبية في الخطاب القرآني محدّداً أبعادها، ومبيّناً أسبابها ومؤثراتها عند المتلقي، فيقول فيه "وجملة القول في الترداد، أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه وإنّما ذلك على قدر المستعين، ومن يحضره من العوامّ والخواص، وقد رأينا الله عزّ وجلّ، ردّد ذكر قصّة موسى وهود، وهارن وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنّة والنار، وأمور كثيرة لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب، وأصناف العجم، وأكثرهم غبيّ غافل، أو معاند مشغول الفكر، ساهي القلب"<sup>(4)</sup>.

ويمكن الوقوف على وظيفة التردّد ممّا أشار إليه الجاحظ من تعريف في بنية (غبيّ غافل) تدلّ على وظيفة الفهم، وذلك بترداد القول، وهذا ما عني به العرب في قول أحدهم "أردده حتى يفهمه من لم يفهمه"<sup>(5)</sup>، وتشير بنية (معاند مشغول الفكر ساهي القلب) في قول الجاحظ إلى ما يؤدّيه الترداد من وظيفة الإبلاغ بالاحتجاج والإقناع.

إنّ بنية الترداد تتشكل من ثلاثة عناصر هي (الشكل، والوظيفة، والدلالة المضافة) التي تحدّد معالم البنية الجديدة التي تقوم بها عملية التحوّل؛ مؤدّية لوظيفة معيّنة يقتضيها النصّ والخطاب الإبلاغيّ؛ ومن هذا فهي بنية متحرّكة تنقل الذهن من ثبات المعنى إلى مستويات متنوّعة من المعاني يقتضيها السياق، ثمّ إنّ بنية الترداد تكشف عن دائرة الخلق والإبداع للأديب في قدرته على تجديد بنى الخطاب ضمن الدائرة الواحدة بما يؤدّي وظائفها على وفق الموقف المغاير لموقف البنية الأصل.

(1) لسان العرب: مادة: (رد د).

(2) ينظر: العمدة: 333/1.

(3) ينظر: كتاب الصناعتين والكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (395هـ)، تح عليّ محمّد الجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ - 1952م: 30.

(4) البيان والتبيين: 85/1.

(5) المصدر نفسه 85/1.

وتتجلى أسلوبية التحول في ظاهرة التردد في بنى النصّ الخطابى في نصوص "نهج البلاغة" في عملية رصد الوظائف لبنى التركيب التي يتشكل منها الخطاب وهي كثيرة تبلغ مؤداهما القصدي في (الفهم، والاحتجاج، والإقناع)، ومن ذلك الرصد استوقف الباحث تلك الزيادة في كثافة التحولات لما ينتاب التركيب من نقص، أو زيادة أثرت مستويات الخطاب في إيقاع الأثر المراد في نفس المتلقي، وتحريك ذهنه باتجاه إدراك ذلك التحول. ومنه قوله "عليه السلام":

"اللَّهُمَّ قَدْ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَغَبِرَتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَبَتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرْدُدُ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَيْنَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْنَ الْآتَةِ، وَحَيْنَ الْحَاثَةِ! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَيْنِهَا فِي مَوَالِجِهَا!"<sup>(1)</sup>.

وفي هذا السياق تتضح مركزية البنية الأساسية في النصّ الخطابى، وهي حالة الجفاف وانقطاع الغيث، وتأثيره المادى الملموس في مكونات الأرض، وهو موضوع الاستدلال.

يتجه النصّ بتحوّله إلى بنية أخرى للموضوع ذاته في سياق مستويات لفظية مغايرة كثفت نسبة التردد، واستوضحت مؤداهما الوظيفي في النصّ في الفهم، والإبلاغ، والتفسير، والاحتجاج لقوله "عليه السلام".

"أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تَظَلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحْنَا تَجُودَانَ لَكُمْ بِيَرَكْتَيْهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِحَيْرِ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعْنَا، وَأَقِيمْنَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامْنَا."<sup>(2)</sup>.

تمثل هذه البنية بمستوياتها التركيبية المتحوّلة في أساليب (التوكيد، والنفى) مجموعة إجابات في بنى النصّ الخطابى في مؤدى القصد في أن ما تجود به السما، وتتفع منها الأرض وما عليها لا لتفاعلها الوجداني مع الإنسان، وإنما طاعة لله سبحانه وتعالى ببنية التحول (ولكن أمرتا...).

تطوي بنية "إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنُقُصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيُثَوِّبَ تَائِبٌ، وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزِدَّجَرَ مُزْدَجِرٌ."<sup>(3)</sup> على قيمة إبلاغية تفسيرية، وإقناعية وهي بنية تردد لبنية النصّ الخطابى الأساسية "تَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمَنَعَ الْعَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَلَا تَوَاخَذُنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذُنَا بِذُنُوبِنَا"<sup>(4)</sup>، ودائرة التردد القصوى تكون مكثفة في بؤرة التحول؛ وهي بنية :

(ألا تَوَاخُذُنَا، وَلَا تَأْخُذُنَا) = (الاعمال، الذنوب).

(1) نهج البلاغة: خ 253/114.

(2) المصدر نفسه: خ 290/141.

(3) المصدر نفسه: خ 290/141.

(4) المصدر نفسه: خ 253/114.

وتتكشف دائرة الترغيب في بنية النصّ "اللَّهُمَّ اشْرُرْ عَلَيْنَا غَيْبَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرَزَقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُغْشِبَةً، تُثَبِّتْ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةً الْحَيَا، كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْفَيْعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ"<sup>(1)</sup>. المتحوّلة بآلية التردّد مع البنية الأصل، "اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَةً عَامَةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيغَةً، زَاكِيًا نَبْئُهَا، تَامِرًا فَرْعُهَا، نَاضِرًا وَرْفُهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ"<sup>(2)</sup>.

ويُتَّجِه النصّ الخطابيّ المتحوّل إلى نتيجة استدلالية تبرز بها مقصدية الإمام "عليه السلام"؛ في تحريك ذهن المخاطب باتجاه تعليمه بأدبيات التوسّل بالله سبحانه وتعالى، وأخلاقيات استجلاب اللطف الربّانيّ في استجابة الدعاء في المواطن الحرجة التي يتعرّض لها العباد تتمثل في بنية الخطاب " وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ " <sup>(3)</sup> التي تردّد بنية الأصل، "وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةَ، عَلَيَّ بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةَ"<sup>(4)</sup>؛ وهي نتيجة موضوع الاستدلال في ديمومة العيش بإدامة عناصر الحياة (الماء وما يخرج من الأرض).

إنّ دائرة بنيات التردّد في النصّ الخطابيّ المتحوّل اشتملت على منظومتي الكون؛ وهي الأرض والسماء، وقد أكّدت بنية التحوّل الأولى؛ وهي البنية الأصل، على منظومة الأرض، وقد تكثفت فيها بنى الاستدلال في تشخيص حالة ما يؤول الأمر فيها إلى النضوب في مكوّناتها في الجبال والدواب... كانت تلك الأهميّة موجّهة إليها؛ لأنّها بتماسّ مع الإنسان وحاجاته؛ وهذا فيه تؤدّي إلى تحريك الذهن باتجاه قدسيّة الإنسان في الأرض، وما فيها تكون مسخّرة له، أمّا في بنية التحوّل في النصّ الخطابيّ الذي وقع فيه التردّد؛ فقد اشتمل على منظومتين؛ الأرض والسماء، وذلك أنّ الأرض يحسّها ويتلمّسها الإنسان، وهي قريبة إلى مدركاته الحسيّة وتأتي السماء ثانياً؛ لأنّها بعيدة عن تلك المدركات.

ولبيان المؤدّي الوظيفي المهمّ الآخر، هو أنّ الماء النازل من السماء عنصرٌ ثانويّ يتعلّق بكيونة الإنسان. لأنّه تقع عليه وظيفة التبليغ الإلهي في الأرض.

وتعدّ بنيات التحوّل في هذين النصّين من البنيات التفسيرية، وهي في اشتغالها الأسلوبية تقوم على الامتصاص، والتوليد الطوال، وهناك بنيات يقع فيها التردّد قصيرة؛ تبعاً للموقف الذي قبلت فيه؛ ومنها قوله "عليه السلام":

(1) نهج البلاغة: خ 291/141.

(2) المصدر نفسه: خ 254/114.

(3) المصدر نفسه: خ 291/141.

(4) المصدر نفسه: خ 254/114.

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ،....، فَهُوَ أْبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَاضِحُ  
الْوَلَائِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ  
الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ(1).

تتجه أسلوبية التحول في بنية النص (كريم المضمار...، جامع الحلبة، السبقة) إلى بنية يقع  
فيها التردد المباشر في الخطاب ذاته في "وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالْدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ،  
وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ". (2)، ودائرة هذه العناصر هو الإسلام موضوع الاستدلال.

إنّ هذه المباشرة في بنية التردد كثفت من أسلوبية التحول في النص، وأكد مؤداه في شدّة  
ذهن المخاطب باتجاه حركة التحول وإيقاع الأثر الترهيبية، والترغيبية في نفس ذلك المخاطب؛  
فجاء المؤدى في الإبلاغ بتحديد معالم حركة الإنسان في إطار هذه الحياة.

وهذه الحركة تتبثق من خصائص الإسلام الرفيعة؛ فيكون مضماره الدنيا، وهي الدائرة  
المفتوحة لتلك الحركة التي تتبثق من منطقة الاتساع " كَرِيمُ الْمِضْمَارِ "؛ فهو موطن التحول في  
بنية النصّ بالية التردد.

وتتردد بنية المضمار في نصوص خطابية أخرى؛ تتصف بالتراكم لاختزالها التجارب من  
البنى الأولى والأساسية في قوله "عليه السلام".

"أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَدَاً السَّبَاقَ، وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ، وَالْغَايَةَ النَّارَ"(3).

إنّ بنية التردد في (اليوم المضمار) لها محدّد زمني في إيقاظ ذهن المخاطب، ولفت انتباهه إلى  
هذا المحدّد الزمني الذي إذا طال؛ فلا بدّ من أن يكون له منتهى، وتشتدّ بنية التحول القصوى في  
تردد بنية المضمار وتقليصها في سياق النصّ في قوله "عليه السلام"

"وَاللَّهُ مُسْتَأْدِبِكُمْ شُكْرَهُ، وَمُؤَرِّثِكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلِكُمْ فِي مِضْمَارِ مَحْدُودٍ، لِيَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ"(4).

بلغت القيمة الدلالية لبنية التردد أقصاها في تحريك ذهن المخاطب باتجاه تلك المدّة  
المحدّدة بالحياة؛ إذ يتحكّم بها الله سبحانه وتعالى، وليس للإنسان فيها استطاعة فجاءت بنية  
التحول مختزلة لجميع البنى المترددة السابقة عليها ولكنّه "عليه السلام" قد أشبع ذهن المتلقي  
فهماً؛ فكان مؤدى القصد في بنية التحول هو الاحتجاج عليهم بإبلاغية التحديد والترهيب.

(1) نهج البلاغة: خ 230/105 - 231.

(2) المصدر نفسه: خ 231/105.

(3) المصدر نفسه: خ 93/28.

(4) المصدر نفسه: خ 485 /238.

## 2 - الاستبدال..

وفي اللغة يأتي بدل الشيء: غيره، "وتَبَدَّلَ الشيء، وتبدل به واستبدله واستبدل به، كُله: اتخذ منه بدلاً"<sup>(1)</sup>.

وجاء في المعنى الاصطلاحي للاستبدال البلاغي هو إحلال صفة، أو اسم وظيفة، أو لقب مكان اسم علم، أو استعمال اسم علم للتعبير عن فكرة عامة<sup>(2)</sup>.

ويجد الباحث أن العلاقة التي تنتظم بنية الاستبدال مع البنى الأساس في الخطاب الأدبي تحكمها المستويات الدلالية التي يخرج إليها مؤدى القصد، وقد تتجاوز حدود التفسير، والتذكير إلى مؤديات أخرى بحسب تفاعل الأساليب مع بعضها في نتائجها الدلالية في أسلوبية التحوّل ضمن دائرة آلية الاستبدال، وهذا ما نجد آثاره في نصوص "تهج البلاغة" في قوله "عليه السلام": "السُّمُّ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا،....، فَهَلْ بَلَّغْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِذْيَةٍ؟ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَغْوَنَةٍ؟ أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعَّضْتَهُمْ بِالنَّوَابِ"<sup>(3)</sup>.

إنّ بنية (وَضَعَّضْتَهُمْ بِالنَّوَابِ) هي مصادر أدلة لموضوع الاستبدال (ضدّية الدنيا لأهلها)، وهي تكشف عن نموذج السنن التاريخية في النصّ الخطابي؛ لتؤدّي أثرها في التذكير بهؤلاء الأقبام، ويتمثل أسلوب التحوّل بالبنية الاستبدالية في قوله "عليه السلام": "فَاهْدُوا عَنِّي، وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَهُ تَضَعُّعُ قُوَّةٍ، وَتُسْقُطُ مَنَّةٌ، وَتُورِثُ وَهْنًا وَدَلَّةً"<sup>(4)</sup>.

قد يترأى للوهلة الأولى منطقة التواتر في بنية الاستبدال (تَضَعُّعُ قُوَّةٍ) عن بنية (وَضَعَّضْتَهُمْ بِالنَّوَابِ) في بنيتها السطحية، ولكنّ البصر النافذ في بنيتها العميقة يستدلّ بها على بؤرة التعالق الدلالي بين البنيتين؛ فاتخذ الإمام "عليه السلام" من البنية الأولى مؤدّى تنكيريّاً لفعل القوم في الحياة الدنيا؛ فهو يكشف عن نتائج فعل الغائب للمخاطب الحاضر ليتعظ.

وجاءت بنية (الاستبدال) تركز هذا المعنى باكتنازها التجارب السابقة التي كشف عنها الإمام "عليه السلام" بالفعل (تَضَعُّعُ)؛ فتظهر أسلوبية التحوّل جلية في أنّ القوّة المؤثرة في فعل البنية الأولى (تَضَعُّعُهُمْ). أمّا بنية الاستبدال (تَضَعُّعُ قُوَّةٍ)؛ فتكمن في "فعلة" التي تأتي

(1) لسان العرب: مادة: (ب د ل).

(2) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 26.

(3) نهج البلاغة: خ 246/110.

(4) المصدر نفسه: خ 343/166.

مفعولاً مطلقاً تؤكد نوع الفعل، وهي بالوقت نفسه الفاعل الذي يدلّ عليه الضمير المستتر في بنية الاستدلال، ونعلم أنّ الاسم يدلّ على الثبوت خلاف الفعل، ففيه تجدد؛ لذا تكون بنية الاستدلال قد امتصّت قوة البنية الأولى، وأضافت عليها دلالة أخرى توافق السياق الذي قيل في جمع المخاطب الحاضر، وهذا المعنى المضاف أثرى قصديّة النصّ في احتجاج الإمام "عليه السلام" على القوم وإضعاف سبلهم الضديّة، فاحتملت هذه الوظيفة قيمة فكرية في الاحتجاج والإقناع، وقيمة نفسية في أثرها الترهيبية في نفوس المخاطبين؛ فضلاً عن فنيّة الأسلوب.

وفي نصّ آخر قال "عليه السلام":

"حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، شَهِيدًا، وَبَشِيرًا، وَنَذِيرًا،....، فَمَا أَخْلَوْلْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خَطَامُهَا". (1).

تتجه بنية التحوّل إلى سياق آخر تكون دلالة (احلوت) مرتكزاً لها في قوله "عليه السلام":

"فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوبِهَا، وَأَخْلَوْلْتُ لَهُ الْأُمُورَ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَائِمِهَا، وَأَسْهَلْتُ لَهُ الصِّعَابَ بَعْدَ إِنْصَابِهَا". (2).

وردت بنية (اخْلَوْلْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا) في دائرة السلب بحضور أداة النفي، وهذا السلب يتحوّل إيجاباً في بنية موضوع الاستدلال (ثبوت حلاوة الدنيا باتباع محمد "صلى الله عليه وآله وسلم").

إنّ هذه البنية في دلالتها العميقة انسجمت مع بنية الاستبدال بواقع التحوّل باتجاه العلقه الدلالية المشتركة؛ وهي (وَأَخْلَوْلْتُ لَهُ الْأُمُورَ بَعْدَ مَرَارَتِهَا)، وهي تدور في دائرة الإيجاب وتلك الدلالة العميقة، فإنّها تكون من الأمور التي تعدّ من محرّكات الحياة، وبذلك ارتبطت دلاليّاً مع البنية الأولى لكنّها تجاوزتها في منطقتها الترغيبية المفتوحة بفعل أثر التقوى في سلوك البشر.

وجاءت بنية (الاستبدال) في سياق بنيات متقابلة أثر الإيقاع فيها في دققته للشحنة ذات التأثير الإيجابي عند المخاطب، وهذا التشكيل البنائي يجعل من التقوى العامل الأساسي في بنية الاستبدال (اخْلَوْلْتُ) التي تحرّك الذهن باتجاه استكمال القناعة بالحياة المتوازنة مع وجود التقوى، وهذه الملامح الأسلوبية في النصّ الخطابي أدت إلى إثراء بنية التحوّل في دائرة السلب في النصّ الأوّل، وانتقالها إلى دائرة الإيجاب في بنية الاستبدال؛ فضلاً عن استكمال وظيفتها التفسيرية والترغيبية في النصّ.

(1) نهج البلاغة: خ 228/104.

(2) المصدر نفسه: خ 426/196.

ويُلحظ تشكيل استبداليّ آخر في نصوص عدّة تخرج إلى وظيفة أخرى يحددها السياق في النص محكمة ببنية التحوّل الاستبداليّ؛ ففي قوله "عليه السلام":  
**"ثُمَّ جَعَلَ . سُبْحَانَهُ . مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ،....، وَأَعْظَمَ مَا أَفْتَرَضَ . سُبْحَانَهُ . مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللَّهُ . سُبْحَانَهُ . لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لَا لُفْتَهُمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ"**(1).

شخص الإمام "عليه السلام" ببنية التحوّل التي تُستبدل في ما يأتي من أقواله "عليه السلام" بمؤدّاهما التفسيريّ، وبيان عظم هذه الفريضة، وبنية الاستبدال في قوله :

**"وَلَيْسَ امْرُؤٌ . وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مُنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ . بِفَوْقِ**

**أَنْ يُعَاوَنَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّ"**(2).

وفي سياق النصّ الخطابيّ هذا تشتدّ مساحة التعالق الدلاليّ لبنية الاستبدال مع البنية الأولى بإجمال ذلك الحقّ، وتشديد الخطاب باتجاه التعالق الإنسانيّ ببنية (التعاون) التي تقضي إلى تحقيق المؤدّي القصدّي بالنصّ.

وفي قوله "عليه السلام":

**"انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، ولا تجتازنَ عليه كارهًا، ولا تأخذنَ منه أكثر من حَقِّ الله في مَالِهِ"**(3).

أحاطت بنية الاستبدال (ولا تأخذنَ منه أكثر من حَقِّ الله في مَالِهِ)، وهو تمثل موضوع الاستدلال في النصّ مجموعة من الملامح الأسلوبية التي أكّدت، وأثرت دائرة التحوّل بأساليب الأمر والنهي التي اجتمعت مع نون التوكيد الثقيلة التي اتصلت بثلاثة أفعال (تروع، تجتاز، تأخذ) المنفية التي تكثف من دلالة المنع المتضمنة فيها فأحاطت هذه التحوّلات الأسلوبية ببنية الاستبدال التي أثرت المؤدّي القصدّي في التوجيه، والتفسير، والتشديد، فعملت على تحريك منطقة الفهم في ذهن المخاطب المعين (جامع الصدقات) بأصول ومحدّدات عمله.

وتشترك بنية الاستبدال هذه مع البنى السابقة عليها بدلالاتها العميقة؛ وهي (الالتزام بأداء حقّ الله)؛ فهو المستوى الآمن لقضاء جميع الحقوق.

(1) نهج البلاغة: خ 450/214.

(2) المصدر نفسه: خ 451/214.

(3) المصدر نفسه: خ 512/263.

وخلاصة الأمر أنّ قاعدة الاستبدال لا تعني قيام شيء مقام شيء فحسب. إنّما هناك دلالة مضافة.

## ثانياً - التحوّل البنيوي الدلالي.

تتنوع خواصّ التحوّل البنيوي في نصوص "نهج البلاغة" بأشكال أسلوبية كثيرة؛ إذ تؤكد الأثر الفكريّ الذي يحرك النصّ باتجاه مؤداه القصدية في الإقناع، أو الإفهام، أو الاحتجاج، أو غير ذلك ممّا يتطلبه الموقف الذي قيلت فيه، ومن أبرز هذه الخواصّ هي تتالي الجمل الاسميّة بمتواليات تتابع في تداعٍ، وتنبثق منها أشكال متألّفة، تشتدّ بها لحمة النصّ، وتحقق تماسكه مثال ذلك في قوله "عليه السلام":

"أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالْنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيئُكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا. وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالنَّبِيَّةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُكُمْ."<sup>(1)</sup>

تظهر في بنية الخطاب سلسلة من التحوّلات التعبيرية، في تحريك التركيب النحويّ بملامح أسلوبية كثيرة بوساطة التقديم والتأخير، والمزاوجة بين المعطوفات على نسق منظم من المتواليات الاسميّة المتواشجة في ما بينها، في الترتيب المنطقيّ المطلق الذي يجمل الحقوق والواجبات المطلقة التي يقوم عليها نظام المجتمع أكمل في الجمل الاسميّة المنسوخة التي تصدّرت الخطاب بـ(إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا)، فكان هذا التقديم للخبر العائد على متولي الرعية، وهو الإمام "عليه السلام"؛ لأنّه يجسد حقّ الله في المجتمع، وهو الاجتماع على الطاعة لوليّ الأمر؛ ففيه يبعد المجتمع عن فتن التمرّق، فتحقيق هذه الطاعة تتفجر منها المتواليّة الاسميّة الأخرى ودلالاتها أداء وليّ الأمر حقّ الرعية عليه (وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ)؛ فتقديم الجارّ والمجرور (لي) و (لَكُمْ)، أفاد التخصيص والتأكيد في الآن ذاته، وجاءت أداة التخصيص (أما) مشحونة بطاقة تعبيرية "تحويلية" خاصّة تتراكم فيها دلالات مؤدّى التحوّل في التفسير والتوزيع التي تمثل قمة التصعيد الدلاليّ في التعبير عن وضع الشيء في موضعه (ما على الوالي من حق) وبدأها بالنصيحة، وهو إرشاد الرعية بالرأي السليم، وهذه أهم واجبات وليّ الأمر بعدها سدّ الحاجة البشريّة مادياً وفكريّاً، وهذا

(1) نهج البلاغة: خ 106/34 - 107 .

ما تؤكدُه البنيات (فالنصيحة لكم، وتوفير، تعليمكم، تأديبكم)، أمّا الشقّ الآخر؛ ففيه تفصيل ما للوالّي على الرعية، مقابل البنية المتحوّلة بما سبقتها كآلاتي:

البنية الأساسيّة (المتولّدة)		البنية المتحوّلة
النصيحة	===	الوفاء
تعليمكم	===	الإجابة
تأديبكم	===	الطاعة

إنّ هذه البنى المتحوّلة بصيغتها الصرفيّة (المصدر) الدالّ على ثبوت الشيء تتفرّع وتكتنز بالدلالة المكثفة في هذه المتتاليات الاسميّة المترابطة على التتابع؛ وهي تعبّر عن فاعليّة التحوّل الفئّي الذي أكسب النصّ الخطابيّ في إجمال الحق في بدء الخطاب، وتفصيله بهذه البنيات المتحوّلة - التي سبق ذكرها - درجة من التكثيف والعمق والإيحاء.

أدت هذه البنيات المتحوّلة على وفق منظومة من المفردات التي فسّرت بعضها بعضاً؛ إذ دلّت على معاني الحركة والتحوّل الإيجابي؛ فأثّرت مؤدّى التحوّل في التفسير، الإفهام، والاحتجاج بالتبليغ؛ إذ وصلت إلى الاستغراق في تجربة الولاية للإمام "عليه السلام" (الطاعة حين أمركم) المحور الاستقطابيّ لجميع الدوالّ الأخرى، فإنّها ترجع النصّ ببنياته التحويليّة إلى بدء الخطاب (إنّ لي عليّكم حقّاً)، وهو موضوع الاستدلال؛ فمحوريّة النصّ الخطابيّ، تكمن في تحقيق هذه البنية (الطاعة)؛ لأنّها لو تحققت آنذاك بشكلها الكلّي لما وصل المجتمع الإسلاميّ إلى هذا التمرّق الحاضر.

ومن خواصّ التحوّل الأخرى في نصوص "نهج البلاغة" اعتمادها على بنية السؤال. وممّا يمتاز به السؤال، هو شدّة فاعليّة التحوّل فيه، وتنوّع الدلالة، لأنّه يطلق التركيب من قيد التقرير، أو الثبات إلى عالم الدلالة الفسيح، ويبثُّ فيه شحنة من الإيحاءات المتتالية، ولا سيّما بتكرار بنية السؤال في متتاليّة جمليّة، ومثال ذلك في قوله "عليه السلام":

" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً!

أَيَّنَ الْعَمَالِقَةَ وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ! أَيَّنَ الْفَرَاعِنَةَ وَأَبْنَاءَ الْفَرَاعِنَةَ! أَيَّنَ أَصْحَابَ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّنَ، وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيُوا سُنْنَ الْجَبَّارِينَ! أَيَّنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ، وَهَرَمُوا الْأُفُوفَ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟! (1).

تمثل بنية السؤال مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (فناء الحياة)، ويعدُّ الإطار المرجعي للتحوّل؛ إذ إنه يعكس دلالة النصّ الخطابِيّ، ويتحكم في نظام الجمل فيه، وذلك بشحن النصّ بفيض من الإيحاءات الدلالية العارمة؛ فضلاً عمّا يحدثه من شحنة متدفقة تحرك انجذاب المخاطب عن طريق التصعيد المتوالي والمتكرر في صيغة السؤال (أَيَّنَ)، وتنقل مستوى النصّ من التقرير والثبوت إلى التحريك الذهنيّ، ويمكن تبين ذلك في قوله "عليه السلام": (أَيَّنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ، وَهَرَمُوا الْأُفُوفَ..)، فصيغة السؤال (أَيَّنَ) تبعثها بنيات اسمية تجسّد في ما يتعلق بعظيم الفعل، وهي (العمالقة، الفراعنة، أصحاب مدائن الرّس). وهذه المسميات لها تاريخها، وعظيم فعلها في أوانها، فكانت بنية التحوّل تحمل دلالة ضدّيّة لنتائج فعل هذه الأسماء، ففندتها، وهذا فيه إثراء للفهم بالنسبة للمخاطب وتكرار صيغة السؤال بالأداة نفسها (أَيَّنَ) تكثف الدلالة في تصعيد الموقف الاحتجاجيّ للإمام "عليه السلام" من بنى الاستدلال في بنية السؤال لتحقيق المؤدّي القصديّ لبنية التحوّل في استصراخ القوم بما هم فيه من عنجهيّة الجاهل وعدائيّة الموقف.

وتشعُّ من تقنية التحوّل بمنظوماتها التساويّة المتتاليّة مولّدة إيقاعاً داخليّاً، وحركة صاخبة توظف ذهن المخاطب وتحركه باتجاه الخطاب الاحتجاجيّ من أجل التغيير في الموقف، والنزول عند الرضوخ لأثر السنن التاريخيّة في معالجة موقفهم المتعنّت وحبّهم للدنيا، وعملت بنية السؤال على تعميق هذه المؤدّي والإحساس به.

إنّ الطاقة الدلالية الثرة الكامنة في بنية التحوّل (السؤال) بمستوياتها كثفت الدلالة في مؤدّي النصّ باتجاه التحريض والتغيير.

وتأتي تقنية النداء المتتاليّة، المتلاحقة ثرةً بتحول التوليد الدلاليّ في بنية النصّ الخطابِيّ؛ إذ تعكس القدرة الإبداعية للإمام "عليه السلام" في خلق بؤرة تصويرية تتمحور فيها الدلالة، وتتكتف فيها حيوية الرؤى، وخصوبتها .

ففي قوله "عليه السلام":

"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وِفَاءً عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ [إِلِسَانِي]، ثُمَّ خَالَفَهُ

(1) نهج البلاغة : خ 180 / 367-369.

قَلْبِي.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاضِ، وَسَقَطَاتِ الْأَنْفَاضِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ  
اللِّسَانِ. (1).

يمثل الدعاء موضوعاً للاستدلال، والاستهلال بصيغة (اللَّهُمَّ) وتكرارها على مدى النصّ  
الخطابي، فإنّه بذاته تحوّل وانفتاح، فتكرار النداء فيه تتولّد شحنة متدفقة ذات دلالة مكثفة،  
وعالية، تتسع بها الرؤية، عند جمع بنى النداء ونسجها في أنساق على ما هي عليه في النصّ؛  
إذ يوّلّد هذا الانساق ببنية النداء المتحوّلة استحضر النداء، والمنادى له بمساحة تأمل عميقة،  
واستلهاهم إحياءات كثيرة، وهذا ناتج عن تكرار المنادى (اللَّهُمَّ) أربع مرّات، مقترناً بالفعل الطلبيّ  
(اغفر)، وفي كلّ مرّة يتكرّر فيها النداء تتصاعد حدّة التوتر الجماليّ النابع من تصوير حدّة بُعد  
الإنسان عن الأخلاقيّات التي أدبنا بها الإسلام.

والنصّ يحمل مؤدّى تعليمياً بكيفيّة أداء الدعاء، فالإمام "عليه السلام" بخطابه التوسليّ،  
لله سبحانه وتعالى إنّما أراد تعليم العامّة أدبيّات الدعاء، وهذه هي الدلالة العميقة في النصّ  
الخطابيّ، وهكذا شكلت تقنيّة النداء (اللَّهُمَّ) المقترنة بالفعل الطلبيّ (اغفر) البؤرة الدلاليّة المكثفة،  
والجامعة لعناصر ما يطلب فيها الغفران، ومن ذلك؛ فإنّ لغة الإمام "عليه السلام" قد تميّزت  
بالحركة والحيويّة والتحوّل، بتنوّع الأساليب المتواليّة للصيغ على صعيد النصّ الخطابيّ الواحد،  
أو مجموعة نصوصه "عليه السلام" في "نهج البلاغة".

والملاحظ الأسلوبيّ في التحوّل في هذا النصّ يبدأ بالحركة الفعلية بصيغة النداء وتتبعها  
منظومة تامّة من الأفعال الطلبية، فالتحوّل هنا يعكس الانفتاح، والامتداد في كشفه للعلاقات،  
والروابط القائمة على رغبة الطالب، ويتكشف هذا في تلك الحركة الفعلية بعد صيغة النداء.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ← ترتبط بالجملة الشرطيّة — (إِنِ عُدْتُ فَعُدَّ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ) ففي  
بنية التحوّل إحياء دلاليّ في استمرار وتجدد طلب الغفران بحلول جملة الشرط ذاتها (إنّ) التي  
تفيد الاستقبال.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ← ترتبط بجملة النفي ← (وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وِفَاءً عِنْدِي)

تكمّن دلالة التحوّل بالفعل (وَأَيْتُ) التي تخرج إلى الالتزام بالوعد، فترتبط بالتحوّل المنفي (لَمْ  
تَجِدْ) فالدلالة العميقة للمتحوّل المنفي في قدرة الإنسان المحدودة على الالتزام بالطمع بقدرة الله  
الواسعة على الغفران.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ ← ترتبط ب ← (ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي)

(1) نهج البلاغة: خ 155/77.

تنبو قيمة التحوّل في الأفعال المزيدة (تَقَرَّبْتُ) تقابله (خَالَفَهُ)، فبنية التحوّل تدلي إلى تصنع الإنسان في هذه المواقف.

وتتكشف بنية التحوّل في صيغة النداء الأخيرة فيها؛ إذ تتجمّع عندها دلالة النصّ جميعاً في عصمة أعضاء الإنسان من الوقوع في الزلل؛ فهي تتمثل بالحواسّ (العين، واللسان، والغرائز النفسية الخالية من رضا الله) .

وهكذا تتمركز الأفعال الطلبية على وفق منظومة تامّة من العلاقات والروابط التي تعزز الطالب بالغفران المطلق لقصور النفس البشرية عن الالتزام التامّ بالتعاليم الربّانية؛ لذا جاءت صيغة النداء في أول النصّ مثيراً أولاً يثير حركة الأفعال الطلبية التي حرّكت مجموعة الأفعال الأخرى (أعلم، عدت، قعد، وأيت، لم تجد، تقربت، خالقه)، وكلّ فعل من هذه الأفعال هو حركة رديفة للفعل الذي يليه.

والملمح الأسلوبيّ الأبرز في النصّ الخطابيّ في بنى التحوّل هو تلك المنظومة الكبيرة من الأفعال التي تدلّ على حركة الإنسان المتغيرة، إلا في نهاية النصّ، والفعل الطلبيّ الأخير بنتيجة التحوّل (النداء)؛ فهي أسماء (رمزات.. سقطات، شهوات، هفوات) ليستقرّ مؤدّى النصّ بثبات هذه الآفات، فإذا تمّ الغفران عليها نجا الإنسان، وهكذا تبني مؤدّى الخطاب التحويليّ في التعليم والإفهام.

ومن خصائص التحوّل البارزة في النصّ الخطابيّ في "نهج البلاغة" التداخل، أو الازدواج المتنامي في الصور الحسيّة المحوّلة من التجريدية؛ أي إنّ أحد طرفيها يكون مجرداً يدركه العقل، والطرف الآخر حسياً مجسّداً، فإن فاعليّة هذا التحوّل يكمن في خلق بؤر تصويرية، تتعالق فيها مجموعة العناصر الحسيّة والمجرّدة، لتحقيق مؤدّى الخطاب في تعميق فاعليّة الصورة النفسية، والدلالية في نفس المتلقي.

وتتّجه بنية التحوّل في صور الخطاب عند الإمام "عليه السلام" باتجاه التجسيد، والتشخيص، والأقلّ منها تتّجه إلى التجريد، والسبب في ذلك يعود إلى قصديّة الخطاب عند الإمام "عليه السلام" بتقريب الأنموذج الأمثل لتقبلّ ذهن المخاطب، وقدرته على تصوّر هذا التشخيص والتجسيد ليؤدّي مؤداه في بنية الخطاب ومثل ذلك في قوله "عليه السلام".  
"حُنْ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ"<sup>(1)</sup>.

(1) نهج البلاغة: خ 242/108.

تتمثل بنية التحول من المعقول إلى المُحَسَّ في (معادن العلم) لتقرّب إلى الذهن إنّ أهل بيت الرسول؛ هم منظومات علميّة نفسيّة، وينايبع الحكم، دلالة تدفق الحكمة على أسنتهم "عليهم السلام".

وفي قوله "عليه السلام":

"عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرَكُّنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنَقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمُنَزَّلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفِ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ"<sup>(1)</sup>.

فبنية التحول (ينقل الردى على ظهره)، نقلت المعنى العقليّ إلى حسّيّ يدركه العقل، ويتقبّله الذهن بتقريب الصورة إليه.

وهكذا يحقق التحول تغييراً في الأسلوب الوظيفية، وتتوّعاً في الوصف، ونتاج دلالة مضافة.

## ثالثاً - الحوار

الحوار لغةً: هو تبادل الكلام، ومنه المحاور، وهي "المجاوبة، والتحاوّر والتجاوب، ونقول، كَلَمْتَهُ، فما أحرار لي جواباً؛ أي ما ردّ جواباً. واستحاره أي: استنطقه، وهم يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، والمحورة من المحاورة، مصدر كالمشاورة"<sup>(2)</sup>.

وفي الاصطلاح: تبادل الحديث بين الشخصيات في قصّة أو مسرحيّة<sup>(3)</sup>، وبذلك يقوم هذا الأسلوب على المراجعة في الكلام بين المتكلم، أو بين أكثر من ذلك "حيث يتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي"<sup>(4)</sup>.

وقد وردت كلمة الحوار في القرآن الكريم في آياتٍ ثلاث<sup>(5)</sup>، ويقترّب من مفهوم الحوار مفهوم الجدل؛ يقول ابن فارس: "الجيم والذال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة، ومراجعة الكلام"<sup>(6)</sup>، ومن هذا نجد ان المفهومين قد اشتركا في حقيقة واحدة هي مراجعة الكلام بفارق اختصاص الجدل بالخصومة، فقد جاء في

(1) المصدر نفسه: خ 229/104.

(2) لسان العرب: مادة: (ح و ر).

(3) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 154.

(4) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان: ط1، 1985م:

78.

(5) ينظر: سورة الكهف: الآية/34، وسورة الكهف: الآية/37، وسورة المجادلة: الآية/1.

(6) مقاييس اللغة: 433/1.

لسان العرب "الجدل: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله، أي خاصمه، والاسم الجدل: أي: شدة الخصومة"<sup>(1)</sup>.

ووردت لفظتا الجدل والحوار في القرآن الكريم في آية واحدة في قوله تعالى:

"قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"<sup>(2)</sup>.

فكان اللفظ الأول (تجادلك) في مقام الخصومة، واللفظة الأخرى، (تحاوركما) في مقام قول الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم"، وبذلك نجد أنّ الجدل يتحدّد بالخصومة، والحوار لا يتحدّد بها، فيكون الأخير أعمّ وأشمل، فما يراد منه هو "إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب.. من أجل أن تتلمس الحوار الذي ينطلق في مهمة طرح الفكرة،.. كما نتلمس الحوار الذي يتجسّد في موقف الدفاع عن الفكرة ضدّ تحديات أعدائها، وخصومها في مجالات الصراع"<sup>(3)</sup>، وهذا ما يتوضح في مجال البحث في نصوص "نهج البلاغة"؛ لكون الحوار يقع جزءاً في أساليب الاستبدال وطرقه بالاستدلال عليه في طرق المحاورة.

ويمثل الحوار متغيراً أسلوبياً بمقتضى عدد من الطرائق المختلفة في التعبير عن قصديّة الحوار الذي يُظهر وظيفة اللغة في إيصال الفكرة بين المرسل والمتلقي، ثمّ إحداث التأثير بوظيفة الحوار الانفعالية؛ وبذلك يتحقق عنصرا الفهم والقصديّة، وهما قيمتان تتجلى فيهما أسلوبية اللغة الحوارية التي ترصد مضامين تحولات البنى، وتغايرها للكشف عن الوظيفة التي تؤدّيها تلك الأشكال اللغوية داخل النص الحواري<sup>(4)</sup>. الذي تتباين أشكاله بين الإظهار والضمور.

## أولاً: الحوار الظاهري:

وهذا الأسلوب يتميز بوجود فعلي القول اللذين يتصدّران الجملة الحوارية، ومن أمثلتها في

نصوص "نهج البلاغة" في قوله "عليه السلام":

(1) لسان العرب: مادة: (ج د ل).

(2) سورة المجادلة: الآية/ 5

(3) الحوار في القرآن قواعده، أساليبه، معطياته، السيّد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1421، 6هـ - 2001م: 52.

(4) ينظر: أسلوبية الحوار في القرآن الكريم: رسول حمود حسن الدوري، أطروحة دكتوراه: بأشراف د. ماهر مهدي هلال، جامعة بغداد: 1995م: 9.

"أَيُّهَا النَّاسُ، شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنِ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَصَعُّوا تِيَجَانَ الْمَفَاخِرَةِ....، فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمَلِكِ، وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا: جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي" (1).

تصدّر فعل القول في جملة الحوار الأولى (أقْل) وجاء فعل القول في جملة الحوار الثانية في سياق جواب الشرط؛ وهما يمثلان مصادر أدلة لموضوع الاستدلال "في رده" عليه السلام "على العباس وأبي سفيان في مخاطبتهما بالبيعة له "عليه السلام" حال وفاة الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم".

جاء فعلا القول في جملة الحوار "أقْل" أولاً، وقالوا ثانياً مع مجيء الجواب متصلاً بالواو لتغيّر سلوك الإمام "عليه السلام" في الموقف الآخر من القول إلى السكوت.

ومن الملامح الأسلوبية في هذا النصّ مجيء أفعال القول في سياق الجملة الشرطية التي أفادت التوقّع للمستقبل الذي يكشف عن معرفة ما حَبَرَ الإمام "عليه السلام" في القول من تردّد في الرأي.

أما الملح الأسلوبية الآخر في سياق النصّ يكون في حذف متعلقات فعل الشرط "أقْل" وفعل الشرط "أَسْكُتُ"، وهذا الحذف يكمن فيه مؤدّى قصديّة الإمام "عليه السلام" في الزهد بأمر البيعة له طلباً للسلطان الذي يخاله فيه القوم.

وقد تأتي أقوال المحاورات على صيغة واحدة من القول؛ فتأتي صيغة الفعل الماضي المتصل بالتاء التانيث الساكنة؛ كونها تتعلق باسمي الجنس (الأنصار) و(قريش)، أي: الجماعة من قوم الأنصار وقريش؛ ومن ذلك قوله "عليه السلام":

"قالوا: لَمَّا انْتَهتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ بَعْدَ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): مَا قَالَتِ الْإِنصَارُ؟  
قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير.

قال (عليه السلام): فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟  
قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال (عليه السلام): لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.  
ثم قال (عليه السلام): فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟  
قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

(1) نهج البلاغة: خ 60/5-61.

فقال (عليه السلام): **احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَصَاغُوا الثَّمَرَةَ.** (1).

مثلت أفعال القول (قالت) المتكررة مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (في الاحتجاج على الأنصار في نبأ السقيفة)، وقد بدأت المحاورة في النصّ الخطابي بأسلوب الاستفهام بصيغة (ما) التي استعملت في التقرير بقوله "عليه السلام":

(ما قالت الأنصار)، فجاء الجواب، قالت: (منا أمير ومنكم أمير) وقوله "عليه السلام" (فماذا قالت قريش)، وقد أسبغت هذه الصيغة فنيّة عالية في الحوار، ممّا تثيره في النفس من تشوّق لمعرفة الإجابة؛ فالإمام "عليه السلام" كان يعلم مسبقاً جوابي الأنصار وقريش، إنّما أراد بهذا الاستفهام الذي يخرج إلى معنى التقرير؛ فهو "عليه السلام" لم يطالب بالإجابة وإنّما لينكر على القوم سوء تقديرهم للأمر في هذه القوة التعبيرية في إثارة استجابة المخاطب؛ إذ إنّ مؤدّى هذا الأداء الأسلوبيّ في قصديّة الإمام "عليه السلام" يحقق إثارة، وحركة في نفس المتلقي، ويدعو إلى مشاركته فيما يشعر (2).

## ثانياً: الحوار المضمّر:

ويأتي على نوعين؛ أحدهما: ما حذف منه واحد من أفعال قولي المحاورة، ومثله ما جاء في قوله "عليه السلام":

"فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَمْهَلْنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقَرِّ، أَمْهَلْنَا يُسْلَخُ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِّنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِّنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَفَرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِّنَ السَّيْفِ أَقْرُ!" (3).

جاء فعلا القول من المحاور؛ الطرف الأول الإمام "عليه السلام" محذوفاً في (فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ) وتقديره (فاذا قلت لكم سيروا إليهم) في جملة الحوار، وهما مع جوابهما المتمثل بفعل القول (قُلْتُمْ) يمثلان مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (تثاقل القوم عن الجهاد).

أمّا الملمح الأسلوبيّ الذي يظهر في بنية الحوار في النصّ الخطابيّ نتيجة حذف قول الجملة الحوارية؛ فإنّما ليكون هذا المقام مقام (أمر) من الأمير متمثلاً بالفعل (أَمَرْتُمْ) الذي يكتف من أمرية الطلب الصادر من ولي أمر المسلمين؛ فضلاً عن أنّه جاء فعل شرط، لأداة

(1) نهج البلاغة: خ 141/66.

(2) ينظر: أسلوبية الحوار في القرآن الكريم: 83.

(3) نهج البلاغة: خ 91/27.

الشرط (إذا) التي تعيد توكيد الأمر بتكرارها مع فعلها، وهنا يكمن مؤدى النصّ في بيان أهميّة الإسراع في ملاقاته العدو، والتمكّن منه لا التقاعس والفرار.

وثانيهما: ما حذف منه فعلا القول؛ ومنه قوله "عليه السلام":

ومن كلام له (عليه السلام)، وقد جمع الناس، وحضّهم على الجهاد، فسكتوا ملياً

فقال عليه السلام:

"مَا بِأَلْكُمْ أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ؟"

فقال قوم منهم: يا أميرالمؤمنين، إن سرت سرنا معك.

فقال(عليه السلام):

مَا بِأَلْكُمْ! لَا سُدِدْتُمْ لِرُشْدِ! وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدِ! أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُخْرَجَ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَدَوِي بِأَسِكُمْ<sup>(1)</sup>.

تمثل جملتا الحوار بياناً لموضوع الاستدلال (في تردد القوم عن الجهاد)، والتقدير في جملي الحوار يكون (قولوا ما بالكم.....) والجواب (يا أمير المؤمنين إن نقل سيروا سرنا معك)

إنّ البنى الأسلوبية في جملي الحوار حشدت فيها صيغ إنشائية متنوّعة تمثلت بالاستفهام المجازي (مَا بِأَلْكُمْ)، الذي خرج إلى الإنكار الذي يصوّر إنكار الإمام "عليه السلام" على القوم موقفهم المتردد في مقام الحضّ على الجهاد، وصيغة النداء (يا أمير المؤمنين) التي خرجت إلى لفت انتباه الإمام "عليه السلام" لما في القوم من تردد وعجز؛ كشفت عنه صيغة الشرط (إن) التي تُلزم أمر مسيرهم بأمر الإمام "عليه السلام" وليس طواعية من أنفسهم، وهو الفعل الذي يقتضيه المقام، أما صيغة (لا) النافية؛ فقد خرجت إلى الدعاء في قوله "عليه السلام" (لَا سُدِدْتُمْ لِرُشْدِ..) التي تكشف عن تحسّر الإمام "عليه السلام" وتألّمه من موقفهم المتخاذل.

إنّ هذا الحشد من الصيغ الإنشائية، وما داخلته من صيغة أسلوب الشرط، فضلاً عن حذف أفعال قولي الحوار، وقصر الجملة الحوارية؛ قد أثرت المؤدى في قصديّة النصّ بما يناسب سياق المقام، وهو (انقطاع الأمل في تحفيز الهمة في القوم) وتأسّف وتحسّر الأيام فيهم .

(1) المصدر نفسه: خ 118 / 258-259.

## ثالثاً: الحوار المقطوع:

ويكون بطي الإجابة، ويأتي على نوعين:

الأول: أن يحمل الخطاب في طياته الجواب، فيغني ذلك عن ذكره ومن ذلك قوله "عليه السلام":

"إِنَّمَا بَدَأَ وَفُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءَ تَتَّبِعُ، ...، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُزْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لُبْسِ الْبَاطِلِ، لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ؛ وَلَكِنْ يُؤَخِّدُ مِنْ هَذَا ضِغْتٌ، وَمِنْ هَذَا ضِغْتٌ، فَيُزَجَّانِ! فَهَذَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيُنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى." (1).

يتضمّن النصّ في باطنه قولي جملة الحوار؛ يكشف عنها السياق في عبارة (لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ)، فطي ذلك ضرب من الإيجاز، فالنصّ يحمل أفعالاً يكشف عنها بالنطق، وهذه الأفعال التي تشخص حالة إلتباس الحق بالباطل، وبها يتمكّن الشيطان من متبعيه، يقابلها حال من سبقت له الحسنى؛ فكانت شفيعة لهم بالنجاة، وهو موطن طي السؤال هنا، وطي قول الإجابة، والتقدير هو: وما حال المغاير؟ فتكون تقدير الإجابة: (أقول وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى).

الثاني: الداخلي وفيه يستغنى من الجواب، ومنه مناجاة الإمام "عليه السلام" ربّه في قوله .  
"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وِفَاءً عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ [بِلِسَانِي]، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللَّسَانِ." (2).

إنّ البنية الأسلوبية المهيمنة في الخطاب في جملة الحوار؛ هي صيغة النداء (اللَّهُمَّ) التي لها مكانة واضحة من بنى صيغ الحوار، لكونه يفيد تخصيص الطرف الآخر.. وتتضمّن صيغة النداء في النصّ شحنة دلالية في شدّ انتباه الآخر في أدائها الأسلوبية الذي ينتج عنها تفاعل المخاطب في تلقي الرسالة من المرسل، وهو المؤدّي الوظيفي لهذه الصيغة في سياق النصّ، ففي قول الإمام "عليه السلام" تمثل صيغة النداء (اللَّهُمَّ) التي تحمل في بنائها كماً عاطفياً من الرقة واللين في مناجاة الإمام "عليه السلام" لربّه. هذه الدفقة الشعورية ارتبطت بالفعل (اغْفِرْ) لذا

(1) نهج البلاغة: خ 124/50.

(2) المصدر نفسه: خ 155/77.

تكرر في سياق النصّ، وهو تكرير اقتضاه السياق بتنوّع الأفعال السلوكيّة البشريّة التي ترجو الرأفة والرحمة الربّانيّة.

فيتضح مؤدّى النصّ الخطابيّ في صيغة النداء (اللَّهُمَّ) بتقريب العقليّ، وهو (الله) سبحانه وتعالى من إدراك المتلقي، ممّا يضيف على النفس شعوراً بتلك القوّة المطمئنة، والمسامحة، وهو موضوع الاستدلال.

## آليات الحوار الاستدلالي:

ذُكر أنَّ الاستدلال هو ما يُكتسبُ فيه إثبات الخبر للمبتدأ، أو نفيه عنه بواسطة تركيب<sup>(1)</sup>، وهو تقرير الدليل لإثبات المدلول<sup>(2)</sup>، بإلزامه الحجّة والبرهان<sup>(3)</sup>.. التي تولّد القناعة الفكرية الذاتية التي تتبع من قوّة الفكرة التي يدور حولها الحوار؛ فهو "يلاحق الفكرة، ويواجهها بالحركة المتقلّة في أكثر من اتجاه"<sup>(4)</sup>، فالحوار ليس "مجرد أسلوب من أساليب الترف الذهنيّ الذي يروّض الفكرة بسياق الجدل في ميادين الكرّ والفرّ، من دون فائدة تذكر، إلا بما يفيد العابث في عبثه، أو الغالب بإسكات خصمه دون اقتناع"<sup>(5)</sup>.

ومن هذا؛ فإنّ الحوار في نصوص "نهج البلاغة" قد اعتمد المتغيّر الأسلوبيّ في طرائق الاستدلال بالتعليل مرّة، وبالتعريف أخرى، وبطرائق غيرها لإثبات الحجّة، وبيان البرهان، ورد الخصم .

### 1 - الحوار بالتعليل

جاء في قوله "عليه السلام":

"كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْغَكَاظِيّ، تُعْرِكِينَ بِالنَّوْازِلِ، وَتُرْكِبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَا عِلْمَ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءٌ إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ!"<sup>(6)</sup>.

ويندرج هذا الحوار ضمن الحوار غير المباشر، فقد "تلتقي في حديثنا هذا بالأسلوب الذي قد لا يتمثل فيه الحوار من ناحية فعلية، فقد لا يكون أماننا شخصان يتناظران ويتحاوران، ولكنه من أجل إثارة ذلك، ودفع الآخرين الى اتخاذ موقف الأخذ و الرد"<sup>(7)</sup>.

وتحمل بنية الجملة الفعلية (تُمَدِّينَ) في سياق الأسلوب بأداة التثنية (كَأَنَّ) صورة تشبيه تمثيليّ يمثل موضوع الاستدلال (في حال الكوفة المضطرب بامتدادها على مرّ الأزمنة)، فجاءت بنية الفعل المبنيّ للمجهول الذي تتبثق منه دلالة مجهولية متوليها وعددهم .

إنّ بنية (كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْغَكَاظِيّ) جاءت في موضع التعليل في (استمرار نزول الشدائد فيها)، وتلقيها الخطوب المزعجة، وهي مصادر أدلّة لموضوع الاستدلال

(1) ينظر: مفتاح العلوم: 683.

(2) ينظر: التعريفات: 18.

(3) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: د. زاهر عوض الألمي: مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط3، 1404 هـ: 72.

(4) الحوار في القرآن الكريم: 62.

(5) المصدر نفسه: 62.

(6) نهج البلاغة: خ 47 / 120-121.

(7) الحوار في القرآن قواعده، أساليبه، معانيه: 52.

في إقامة الحجّة على علم الإمام "عليه السلام" المسبق في نزول البلاء والقتل بمن يريد بها سوءاً من الجبابة، وهذا ما أثبتته السنن التاريخية لهذه المدينة التي تمثل نتيجة موضوع الاستدلال المحتشدة بالمؤكدات (إني، والفعل (أعلم) أفاد تأكيد الخبر، وأنه)؛ إذ إنها أثّرت النصّ الخطابيّ بمؤدّي القصد في لحوق الضرر بمن يريد بالكوفة سوء.

ويأخذ الاستدلال بالتعليل منحى آخر في بنية الحوار تمثل ذلك في قوله "عليه السلام":  
"أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ"، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ"<sup>(1)</sup>.

يتكشف المؤدّي في النصّ بالفعل (خُذُوهَا) في جملة الحوار الأولى بصيغة أسلوب الأمر التي شملت موضوع الاستدلال (كون الرسول وآل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام الحجة الحية القائمة وإن فنت الأجساد)؛ إذ إنه أدّى فاعليته لدى المخاطب بإبطال ما يعرفون، أو إظهار ما يتجاهلون، وإلزامهم بمضامين المحاورّة، فكانت بنية الحوار (خُذُوهَا) المتقدّمة في النصّ بمنزلة الحجّة والبيّنة التي أكّدها قول الرسول (يَمُوتُ مَنْ مَاتَ).. وجاءت (الفاء) التي تصل جواب جملة الحوار في بنية أسلوب النهي المجازي (فَلَا تَقُولُوا) التي خرجت إلى التوبيخ والتفريع لهؤلاء القوم الذين يجهلون معنى آل بيت الرسول، وينكرونهم .

## 2 - الحوار بالتعريف:

وهو الأخذ من ماهيّة موضوع القول دليل الدعوى<sup>(2)</sup>، فيوجّه الخطاب توجيهاً آخر؛ معتمداً بثّ المعنى بطريق تحقيق القصد<sup>(3)</sup>.

ومثله ما جاء في قول الإمام "عليه السلام":  
"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ،...، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ أَنَّاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ..."<sup>(4)</sup>.

ورد في قول الإمام "عليه السلام" في سياق النصّ الخطابيّ من الاستدلال بصفات الله سبحانه في إثبات حقيقته سبحانه وتعالى؛ وهي مصادر أدلة موضوع الاستدلال (في صفة الله راداً على سؤال سائل، فكانت هذه الصفات "الأول، والآخر، والرادع..) المفضية إلى دحض

(1) نهج البلاغة: خ 182/86.

(2) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: 169.

(3) ينظر: أسلوبية الحوار في القرآن الكريم: 34.

(4) نهج البلاغة: خ 188/90.

مضاداتها بنفي لزوم متعلق هذه الصفات، وهي (لم يكن له قبل، ليس له بعد، عدم النيل، والإدراك) هي حجج مُحسنة يستدلُّ بها المخاطب لحصول المؤدى القصدِي في الإقناع والتسليم لله سبحانه وتعالى بإدراك القلوب لحقيقته من أوصافه التي لا يستطيع معها دحض تلك الحجج والبراهين.

ومثله في قوله "عليه السلام":

"فَأَمْتَقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْأَقْتِصَادُ، وَمَشِيئُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، .... . قال: فصعق همَّام رحمه الله صعقةً كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟" (1).

ورد في سياق النصِّ استدلالٌ تعريفيٌّ لماهية المتقين (في إجابة الإمام "عليه السلام" لصاحبه همَّام في صفة المتقين)، وهو موضوع الاستدلال، بأوصاف سلوكية دقيقة، ومتنوعة تعدُّ حججاً بالغة في إلزام المخاطب بقهْم مؤدى النصِّ، وهو الاستغراق في هذه الصفات التي لا يمكن تحقيقها إلا بثبات الإيمان وخلوص النية .

### 3 - الحوار بالإسجال:

وهو "الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به" (2)، في سياق التشبهة والإنكار (3).

ومثل ذلك في قوله "عليه السلام":

"وَلَكِنِّي بَلَّغْتِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، فَاتَّكُمُ اللَّهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ؟ أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلَّا وَاللَّهِ، وَلِكِنِّي لَهَجَّةٌ غِبْنَمٌ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا" (4).

يتحقق الأثر الأسلوبِي في موضوع الاستدلال (ذمُّ أهل العراق) في سياق ادعائهم على الإمام "عليه السلام" الكذب (عَلِيٌّ يَكْذِبُ) بالاستفهام الإنكاري (أَعَلَى اللَّهِ)، وحذف الفعل (أَكْذَبُ) من جملة الاستفهام زيادة في الإنكار والتحقير، وجاءت الجملة الاسميَّة (فَأَنَا أَوَّلُ...) في سياق الإيمان والتصديق الذي خرج إليه أسلوب التفصيل ب(أم)، ومعها القسم (وَاللَّهِ) مؤكدات تزيد في شدة إنكار الإمام "عليه السلام" لما ادَّعوا عليه في قولهم الذي أبطله "عليه السلام" بما سجَّل

(1) نهج البلاغة: خ 414/191.

(2) الإتيان في علوم القرآن: 137/2.

(3) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: 82.

(4) نهج البلاغة: خ 145/70.

عليهم في وقوعهم في الشبهة والإنكار بطريقة تقديم برهاني أولوية الإيمان بالله والتصديق برسوله، أما صيغة النفي (لم تكونوا) أثرت مؤدى قصد الخطاب في النفي لشبهة قولهم (علي يكذب) وحجة على قصور وعيهم لقول الإمام "عليه السلام":

إن هذه البنى الأسلوبية المحتشدة في جملة الحوار حاصرت المُخاطب، وأوقعت في نفوسهم الضعف والخيفة من سوء قولهم.

#### 4 - الحوار بمجارة المحاور:

هو "أن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبيئته والزامه"<sup>(1)</sup>.

ومنه قوله "عليه السلام": وقد سأله "ذعلب اليماني"؛ فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين:

"فقال (عليه السلام): أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟ قَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟

فقال: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعَيْنِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مَلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرِ مُبَايِنٍ"<sup>(2)</sup>.

جاءت جملة الحوار الثانية (لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ..) مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (اليقين بالرؤية القلبية لله سبحانه وتعالى)، أما جملة القول الأولى (هل رأيت ربك)، فهي إلحاح على الإمام "عليه السلام" في موطن مساءلته بإمكانية رؤيته لله، وإلقاء الحجة عليه "عليه السلام".

تضمنت مجارة الإمام "عليه السلام" لسائله ملامح أسلوبية توّضحت في بنية الاستفهام (أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى) التي خرجت إلى التعجب من قول السائل من أجل أن يصل به "عليه السلام" إلى إثارة فكره باتجاه بيان غلط المستدل في الاستنتاج بسؤال الأخير عن كيفية الرؤية، فكانت جملة الحوار الثانية لقول الامام "عليه السلام" (لا تدركه العيون..) استدراكاً لرفع ما توهمه من كون الإجابة لا تتجه إلى الرؤية العينية، فكانت المحاور غير المباشرة؛ هي مجارة للمحاور لتوجيه ذهنه إلى أهمية الإدراك القلبي لحقيقة الرؤية المتمثلة بحقائق الإيمان بأسلوب الاستدراك.

ومنها مجارة الخصم، وحقيقته "ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه"<sup>(3)</sup>.

ومثله ماجاء في قول الإمام "عليه السلام":

"وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَمَّا آتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَا، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

(1) الإتيان في علوم القرآن: 137/2، وينظر: من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، ط3، م1950: 375.

(2) نهج البلاغة: خ 177: 360.

(3) الإتيان في علوم القرآن: 137/2.

فَقَالَ لَهُمْ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» .  
 قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرْوِقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ .  
 فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ  
 وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» .  
 قَالُوا: نَعَمْ .

قَالَ: «فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ....» .  
 فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،....» .  
 فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ  
 هَذَا! (يَعْتُونِي).<sup>(1)</sup> .

تكتفت الملامح الأسلوبية في بنية جملة الحوار الأولى في قولهم (يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ  
 عَظِيمًا... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ)، فقد حذف المفعول به للفعل (ادَّعَيْتَ)، وتقديره  
 أمر إشارة إلى إنكارهم المسبق لكل ما ينطق به محمد "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" .

وجاءت الصفة عظيماً نكرة تفيد الإنكار على العموم، وعلى صيغة فعيل (صيغة الصفة  
 المشبهة) التي تفيد المبالغة في هذا الإنكار، وجاءت المؤكدات (إنك، وقد) التي سبقت الفعل  
 الماضي (ادَّعَيْتَ) لتثري بنية الخطاب في تأكيد شدة إنكارهم لنبوة محمد "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
 وَسَلَّمَ"، وما كان من النبيّ إلا أن يفحمهم باستفهام تقريره بقوله (وما تسألون؟)، فجاء قولهم  
 بإلقاء الحجّة على النبيّ "صلى الله عليه وآله وسلم" بما يعجز عنه البشر، فقالوا (تَدْعُو لَنَا هَذِهِ  
 الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرْوِقِهَا)، ولما كان هذا ممّا يكون في حيز قدرة الله سبحانه وتعالى الذي  
 خصّه بالنبوة، وهو موضوع الاستدلال، فأراد أن يبيّن أنّ الله الذي بعثه هو مَنْ يقدر على ذلك؛  
 فكانت حجّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإفحامه لخصمه في حال حدوث هذا الأمر (أَيكون لكم  
 برهاناً لتؤمنوا)، فقالوا (نعم)، فكان قول الرسول بأسلوب النداء للشجرة والتوكيد بحدوث انتقال  
 الشجرة باشتراط إيمانها بالله أن يقع ما ينقض به الرسول عليهم قولهم.. فانقلعت بعروقيها،  
 واستمرّ الحدث الحواريّ في بيئة النصّ بمجارة المحاور من قريش الى إفحامهم وردّ دعواهم في  
 نفس ما يأتون به من حجج إلى حدّ تعجيزهم. فرجعوا الى أصل ما أرادوا إنكاره، وعدم تصديقه،  
 وهو نبوة "محمد صلى الله عليه وآله وسلم" .

وفي جملة الأمر يمكن الخلوص إلى أنّ الاستدلال بالحوار في نصوص "نهج البلاغة"  
 جاء في أغلبها على أسس المحاور السلبّي (الطرف الآخر) المحاور ضعيف الحجّة، وكان القول  
 للإمام "عليه السلام" هو الراجح، وفيه الحجّة والبيان، وهذا يفضي إلى أنّ عصر الإمام، ومن

(1) نهج البلاغة: خ 190 / 412-413.

عاصره لم يرتقوا إلى فهم يسير مما كان يرمي إليه "عليه السلام" في أقواله وأفعاله، فكان انعكاس ذلك سلبياً على سياسته "عليه السلام" في عصره، وصار طوقاً سميكاً حدّد مساحة حركته باتجاه إصلاح ما يمكن إصلاحه فيهم، إمّا ما عُرض في بعض نماذج منها في البحث، فإنّ الحوار جاء بطرائق عدّة في الاستدلال، وتنوّع الأسلوب، وهي أساليب تتخذ من الحجّة العقلية في أغلبها وسيلة لبلوغ سبيلها في الإقناع والتأثير، وأحياناً تتخذ من المحسّات سبيلاً آخر، وكانت لكلّ طريقة خصائصها بما يقتضيه فهم خصائص الدعوة، وتوضيح مسائل العقيدة بعيداً عن اللبس، ثم إنّ في بعض طرق الحوار ما يثبت بالحجّة القاطعة ردّ والشبهات في مسائل التوحيد والنبوة والإمامة والاستدلال في إظهار الحقّ، ودحض الباطل، بارتكاز جملة الحوار على الخبر؛ فلا "معنى لكون الشيء دليلاً إلا إفادته إياك العلم بما هو دليل عليك"<sup>(1)</sup>، وبذلك يتوصّل البحث إلى أنّ أسلوب الحوار في نصوص "نهج البلاغة" قد أدّى القصد المراد بمقتضى الحال والمقام.

---

(1) دلائل الإعجاز: 529.

## المبحث الثاني

### بناء الصورة

يمكن أن يكون التعريف الأقرب للصورة في سياق الكلام هو "عملية استحضار ذهني خيالي"<sup>(1)</sup>؛ أي إنها "أنشأت حالة من التواصل والحوار والتفاعل بينها وبين المتلقي"<sup>(2)</sup>، وبهذا تتمايز خصوصية الصورة الفنية؛ فهي تثير فضول المتلقي بـ "انحرافه عن الغرض ومحاورته بنوع من التمويه؛ فتبرز له جانباً من المعنى، وتخفي عنه جانباً آخر، عندئذ ينكشف له الجانب الخطي من المعنى، ويظهر الغرض كاملاً؛ وهي بهذا الشكل تفرض علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه"<sup>(3)</sup>.

وتعدُّ الصورة وسيلة أسلوبية؛ لكونها تعطي للأثر الفني لونا من الخلود<sup>(4)</sup>.

ومن هنا تستمدُّ الصورة أهميتها مما تتمثله من قيم إبداعية وذوقية متوحدة مع الموقف، ومجسدة له، فتكون غايتها حينئذٍ الإدهاش، وهنا تكمن قيمتها الإبداعية.

وإذا خصصنا القول في نصوص "نهج البلاغة" وجدنا أن الصورة تشكل محوراً مهماً في خطب الإمام "عليه السلام" وأقواله لما فيها من تأثير مباشر في إثارة المخاطب في تقريب المفاهيم، أو جعله بتماس مع الأثر الخطابي، وفهمه بحضور الصورة التي اتخذت أشكالاً حسية متلاحقة، بالأساليب البلاغية من مجاز واستعارة وتشبيه وكناية وغيرها.. وبأنواع مختلفة، فقد جاءت مفردة مرة ومركبة أخرى تفيض الألفاظ فيها بالحياة والحركة وتشتمل على التشخيص والتجسيد والتجسيم بنقلها المعقول إلى ماديٍّ مُحسَّ يتصوره الذهن وتتقبله النفوس.

ومن غرائب الصورة، وأكثرها إثارة وروعة ما يمكن الاستدلال عليها في قوله "عليه السلام":

"وَسَتَخْلِصُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ"<sup>(5)</sup>.

وفي قوله "عليه السلام": "يُدَافِعُ الْوَدُقُ مِنْهَا الْوَدُقَ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ"<sup>(6)</sup>.

وفي قوله "عليه السلام": "وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبُقْلِ"<sup>(7)</sup>.

(1) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: 269.

(2) الإبلاغية في البلاغة العربية: سمير أبو حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت - باريس ط 1، 1991م،: 140.

(3) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر،

ط 1983، م 2: 78

(4) ينظر: علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته: 273-278.

(5) نهج البلاغة: خ 236/107.

(6) المصدر نفسه: خ 254/114.

(7) المصدر نفسه: خ 320/158.

وفي البحث يمكن اتخاذ بعض هذه الأساليب البلاغية منها: التشبيه، والاستعارة، والكناية مورداً مهماً في انتخاب بعض الصور الفنية في نصوص "نهج البلاغة".

## أولاً: التشبيه:

هو عقد مقارنة بين طرفين مشبّه ومشبّه به لعلاقة تجمع بينهما<sup>(1)</sup>، وقد تستند هذه العلاقة إلى مشابهة حسية، أو إلى مشابهة في الحكم، أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنين<sup>(2)</sup>، وبذلك فإن التشبيه يقوم على أساس المقارنة بين الطرفين، وليس هو علاقة اتحاد أو تفاعل، فإنه "يفيد الغيرية، ولا يفيد العينية ويوقع الائتلاف بين المختلفات، ولا يوقع الاتحاد"<sup>(3)</sup>.

والتشبيه "نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها"<sup>(4)</sup>، ثم إنه عُدّ مقياساً لشاعرية الشاعر عند كثير من النقاد العرب<sup>(5)</sup>.

وتتجلى أهمية التشبيه في أنه "يزيد المعنى وضوحاً ويكسيه تأكيداً"<sup>(6)</sup> فضلاً عن الأثر الذي تتركه الصورة التشبيهية في النفس بما تثيره من استغراب وتعجب<sup>(7)</sup>. وأفضلها تلك الصور التي تكون لائقة فيما استخدمت له<sup>(8)</sup>، وبما يتناسب وحال المخاطب<sup>(9)</sup>. فالوظيفة التي يضطلع بها التشبيه في الصورة الشعرية تتحدد "في أنها تهدف إلى توكيد المعنى المراد قوله وترسيخه في ذهن المتلقي، ويستطيع التشبيه أن يقوم بوظيفته على أكمل وجه فيما لو استعان بعنصر المبالغة"<sup>(10)</sup>، والنثر الفني يجري الشعر في هذا المنحى الأسلوبية البليغ.

وقد حفلت نصوص "نهج البلاغة" بوافر من الصور التشبيهية التي تناسبت و حال المخاطب من أجل تأكيد المعنى في ذهنه، وتوخي الأثر النفسي الذي تتركه بما يلائم المؤدى القصدي للنص.

(1) ينظر: نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (337هـ)، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1978م: 116، وكتاب الصنائع؛ 239، والعمدة 286/1، وفتح العلوم: 558.

(2) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: 172.

(3) المصدر نفسه: 175.

(4) الإتيان في علوم القرآن: 42/2.

(5) ينظر: طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي (231هـ)، تح محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ب ت: 55/1. في ما قاله عن امرئ القيس "كان أحسن طبقته تشبيهاً".

(6) الصنائع: 249.

(7) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (684هـ) تقديم وتح محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1996: 72.

(8) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (370هـ)، تح أحمد صقر، الكويت، ب د 1960 م، 33-45.

(9) ينظر: العمدة: 22/1.

(10) الإبلاغية في البلاغة العربية: 153.

ومنه قوله "عليه السلام":

"رَأْيُهُ ضَلَالَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَحْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الصَّلَةِ؛ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا نُفَالَةٌ<sup>(1)</sup> كُنْفَالَةَ الْقَدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ<sup>(2)</sup> كُنْفَاضَةَ الْعُكْمِ<sup>(3)</sup>، تَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الْأَيْدِيمِ"<sup>(4)</sup>

تأتي بنية التشبيه (نُفَالَةٌ كُنْفَالَةَ الْقَدْرِ) نتيجة استدلالية لموضوع (انتشار الفتنة في أمة المسلمين متمثلة براهية الضلال)، وتتشكل البنية بالتخطيط الآتي:

المشبه	أداة التشبيه	المشبه به	
نُفَالَةٌ	الكاف	نُفَالَةَ الْقَدْرِ	} دلالة الهلاك "عقلي"
نُفَاضَةٌ	الكاف	نُفَاضَةَ الْعُكْمِ	
			"حسي"

تنبثق في النص الخطابي ملامح أسلوبية متعددة تثيري قصدية الخطاب، وهي الجملة الخبرية (قَدْ قَامَتْ)، ومعطوفها (تَفَرَّقَتْ) أفعال ماضية مؤكدة بـ (قد)، فجاءت أخبار محققة لراهية الضلال " التي وردت في سياق الجملة الإسمية "رَأْيُهُ ضَلَالَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا" تمثل موضوع الاستدلال ، إذ تدلّ على ثبوت تحقق الفتنة في الآثار السيئة التي تنتجها على واقع المسلمين بحركتين تنطويان على الشمول والإحاطة بين الكيل المجمل لهم، والضرب الموقع بهم بقيادة مَنْ لا يقوم أمره على مبدأ حق (قَائِمٌ عَلَى الصَّلَةِ)؛ ففي هذا إشارة إلى عمق ذلك التخبّط الذي لا يركز على شيء، فتأتي الصورة التشبيهية في سياق الجملة التوكيدية بـ(لا النافية والاستثنائية)؛ لتؤكد مطابقة هذا التشبيه لحال القوم.

إنّ موقع التشبيه في نهاية النصّ الخطابي الذي يكتمل فيه المؤدى القصدي للإبلاغ يكاد يحصر مساحة هؤلاء القوم المائجة بتلك الحركتين بمساحة الصورة التشبيهية الضيقة؛ لتخرج إلى دلالة ضيق ما هم فيه، ثمّ إنّ المشبه به (نُفَالَةَ الْقَدْرِ)، (نُفَاضَةَ الْعُكْمِ)، وهي المادة المُحَسَّنة القليلة التي قرّب بها الإمام "عليه السلام" المفهوم بما اعتادوا رؤيته ولامسته؛ فكان ذلك إيعازاً لتحفيز مشاعر الخوف، والقلق، والرغبة من القادم الخطير الذي لا يبقى مَنْ يثبت على مبدأه، ويقطع حبال الفتنة من حوله إلا هذا النزر اليسير من الجمع الذي (تَفَرَّقَتْ بِشُعْبِهَا).

(1) النُفَالَةُ، ما ثقل بالقدر من الطبيخ: لسان العرب: مادة (ث ف ل).

(2) النُفَاضَةُ، ما سقط من الشيء المنفوض: المصدر نفسه: مادة: (ن ف ض).

(3) العُكْمُ: العدل: نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها: المصدر نفسه: مادة (ع ك م).

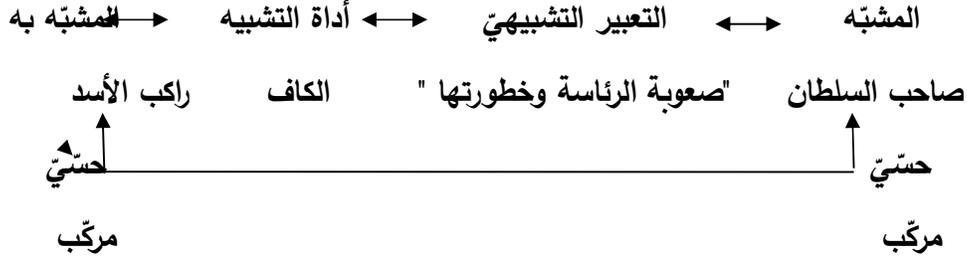
(4) نهج البلاغة: خ 235/107 – 236.

إنّ جميع العلاقات الأسلوبية المتشابكة في النصّ أثرتْ قصديّة الخطاب في الإبلاغ، وركزتْ ذهن المخاطب على فحوى الصورة التشبيهيّة القائمة على تقريب وجه الشبه؛ وهو الهلاك (عقليّ) بدلالة المشبه به (ثقاله القدر)، (نفاضة العكم)، وهو (حسيّ) .

وفي قوله "عليه السلام" في نصّ كلمته:

"صاحب السّلطان كراكب الأسد يُعَبِّطُ بموقعه، وهو أَعْلَمُ بموضِعِه"<sup>(1)</sup>

صورة مكثفة، تقع نقطة التبئير فيه في قلب مؤدّي القصد للنصّ الذي عبّرت عنه الصورة التشبيهيّة "صاحب السّلطان كراكب الأسد" الذي يمثل موضوع الاستدلال "متولي الرياسة"؛ فتكون مركز الاستقطاب الدلالي في مبنى النصّ الخطابيّ.



مساحة سياقيّة بين طرفي التشبيه

السلطان ← → الأسد

بمقتضى الإضافة

(مساحة تخييليّة) اتسمت بالسعة تمثلت

بالمدى الزمنيّ والعامل الحركيّ الشاقّ حتى تولي

الرياسة التي تشقّ على المتولي قيادتها تمثلت

بالمشبه به (راكب الأسد)

شغلت البنية التشبيهيّة في صدر النصّ الخطابيّ في سياق قول الحكمة المكثف الذي ينطوي على معنّى متزايد ارتقت فيه البنية التشبيهيّة أعلى مستوى فنّي للصورة، فلفت انتباه المخاطب بصدارة القول في أمر عظيم مثل تولي السلطة وتشبيبهه بركوب الأسد المشبه به فيه دلالات ذات بُعد نفسيّ فيما يتعلّق بذات المخصوص بالأمر بين شعوره بالفخر والاعتزاز

(1) نهج البلاغة: ح 687/265

بمخالفة ركوبه لغير ما يألفه البشر من دوابّ أليف إلى أسد هو ملك في غابته، وعززت دلالة هذا المعنى بالجملة الوصفية (يُغَبِّطُ بِمَوْقِعِهِ) بالفعل المبني للمجهول الدالّ على مجهولية عدد الحاسدين له وماهيّتهم، ودلالة الفعل تنطوي على استمرار حسد الناس له باقتضاء نسبة موقعه.

وجاءت الباء في متعلق الفعل يغبط فائدة تخرج إلى دلالة زيادة ذلك الحسد الذي يكون مصدره الموقع؛ إذ جاء عند العرب "وغبط الرجل يغبطه غبطاً وغبطه"<sup>(1)</sup>.

أمّا الشعور الآخر؛ فهو لزوم حالة الخوف والقلق المستمرين لموت يقطع عليه أمره، أو انقلاب الأمر عليه، وهذا المعنى تعززه الجملة الاسمية (وهو أعلم بموضعه) التي تخرج إلى دلالة الثبوت؛ أي الشعور الغالب على صاحب السلطان؛ إذ أكدت الجملة الاسمية التي تنطوي على دلالة خوف صاحب السلطان وقلقه تلك المسافة التخيلية التي اتّسمت بالرهبة المتجسّدة بمعاني الهلاك والافتراس؛ وهي مؤدّى القصد في النصّ في إثارة مشاعر المخاطب وتصويره لدقة المسألة وخطورتها. أمّا في وظيفتها فهي "أداة من أدوات الإقناع النثرية المنطقية"<sup>(2)</sup>، التي يستند إليها الحجاج في كثيرٍ من صياغاته الخطابية؛ فضلاً عن النصية.

ومن أحسن التشبيه وأبلغه؛ ما جاء في قوله "عليه السلام":

"فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّغْيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ...، وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرِّوِّ مَقْلُوباً"<sup>(3)</sup>.

إنّ بنية التشبيه (ولُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرِّوِّ مَقْلُوباً) يدخل في مصافّ التشبيه البليغ الذي تتعدّم فيه أداة التشبيه، وجاء المشبّه به (لُبِسَ) مصدرأ يدلّ على ثبوت طريقة اللبس، وهي (القلب) ليبيّن فيها "عليه السلام" بنوع الملبوس (الفرو)، مقدار انعدام تمييز القوم لما ينفعهم، ويكون سبباً لراحتهم، فعادة الفرو أن يكون لبسه ملامساً للجسم لتحقيق الراحة النفسية والمنفعة في الدفء أمّا بقلبه؛ فتتعدّم هاتان الفائدةان. ثمّ إنّ الإسلام في أحكامه، وطريقة العمل بها ما ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعتة؛ فكان من المنافقين أن يكون الإسلام بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم .

وبنية (وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرِّوِّ مَقْلُوباً) بنية تشبيهية بليغة؛ إذ اعتمدت تلك البنية على البناء للمجهول، ليكون الإسناد إلى المشبّه مجهولاً، وصيغ (المشبّه) من المصدر (لُبِسَ)،

(1) لسان العرب: مادة: (غ ب ط).

(2) انتاج الدلالة الأدبية: د. صلاح فضل، مؤسسة مختار للتوزيع والنشر، القاهرة، ب ت: 221.

(3) نهج البلاغة: خ 107 / 236-237.

وهو مصدر لبيان نوع الفعل بهدف إضفاء دلالة (تمكن الباطل من أهل الإسلام وتغيّر أخلاقهم سلباً) موضوع الاستدلال، ومن أبرز الملامح الأسلوبية التي تتجلى في سياق النصّ الخطابي؛ هي في التعبير التشبيهيّ الذي انتهى به النصّ للخطبة جميعاً، وهذا يخرج إلى دلالة غاية البعد الحركيّ الذي يتمثل بسلوكيات هؤلاء القوم باتجاه تكثيف العمل السلبيّ فيها، وهو أقصى ما يمكن أن تنتهي إليه تلك الأفعال، هو ما تخرج إليه دلالة التعبير التشبيهيّ (قلب الأمور، واختلال القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام).

ويمكن أن نخطط لهذه الصورة التشبيهيّة؛ بالآتي بيانه:

أُقْرَو مَقْلُوباً	أُنْبَس	أُنْبَسَ الْإِسْلَامُ
المشبه به	التعبير التشبيهيّ	المشبه
مُحَسَّن	"قلب الأحكام الشرعيّة"	عقليّ
مركّب		مركّب

ذو مسار واحد يدور في اتفاق

ذو مسار واحد يدور في فلك

المجهول دلالة (مجهولية العدد والماهية) هؤلاء جميعاً على طريقة اللبس وهو (القلب)

أمّا الملمح الأسلوبيّ الآخر؛ فهو ما تخرج إليه صورة المركب (طرفي التشبيه) إلى شيء من التعقيد الذي يحثّ المخاطب على التحليق الخياليّ في أفقها باتساع المساحة بين المشبه والمشبّه به، ويرى الدكتور صلاح فضل ان ذلك يكون منوطاً بعوامل متعددة أهمّها "طبيعة المادّة المكوّنة لعناصر التشبيه، ومدى ما تتميز به من طرافة مثيرة، ونوعيّة الأداء المستخدمة، ودرجة الحاجة إلى إقامة التخيل فيما اقترحت تسميته بظاهرة التدويم الأسلوبية، ثمّ جوهر الرؤية الشعريّة نفسها كمحرّك أساسيّ بعمليات التخيل"<sup>(1)</sup>، وقد أثارت هذه الصورة حاسة البصر لإدراك الكيفيّة في تعامل هؤلاء مع الأحكام الإسلاميّة.

ويبرز في النصّ الخطابيّ الأنموذج النحويّ - العطف - وهو المولّد التعبيريّ للرؤية النصيّة الذي جعل الرابطة بين المتعاطفات تقيم تعالفاً حميمياً بين المجموعات الفعلية والمجموعات الاسميّة المنسوخة؛ لثير سعة فهم المُخاطب، وتحرك مؤدّي القصد باتجاه الفعل

(1) إنتاج الدلالة الأدبيّة: 222.

الأسوأ والأشد الذي ينزل فيه القوم إلى الهاوية؛ وهي قلب الأحكام الشرعية الدالّ عليها ذلك التعبير التشبيهي.

وفي نصّ آخر في قوله "عليه السلام":

وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأُظُنُّ بِكُمْ أَنْ نَوْ حَمَسَ الْوَعَى، وَاسْتَحَرَ الْمَوْتُ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ. وَاللَّهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرِقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ صَرَبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ قَرَّاشُ الْهَامِ..<sup>(1)</sup>.

تمثل بنية التشبيه البليغ (قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ) مصادر أدلة لموضوع (تمكّن العدو من القوم)، فجاءت بنية التشبيه على أساس.

انْفَرَجْتُمْ	عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ	انْفِرَاجَ الرَّأْسِ
(المشبه)	(تشبيه بالمخ وهو محور)	(المشبه به)
(تفرقهم)	(تفرق الهام عن المخ)	
حسّي		حسّي

يعدّ التشبيه في هذه البنية تشبيهاً تركيبياً في تفرقهم عنه "عليه السلام" كتفرق الهام عن المخ، أمّا وجه الشبه، فاشتراكهما في إبطال الانتفاع بالاجتماع بالكلية.

إنّ هذا التشبيه (انفراج الرأس) نقل المفهوم إلى دائرة قريبة من دائرة الإدراك الحسّي، وللمخاطب لكثرة استعمالهم للسيوف، والتفنّن في طرائق الضرب بها، فيكون فحّ الرأس أشدها، فيوقع أثراً في نفس المخاطب، ويأتي المتعلّق (عن ابن أبي طالب)، وهو محور هذا الانفراج ليفسّر أسباب هذا النوع الانفراجي ويؤكد في آنٍ واحد.

أمّا العلاقة التي تحكم بنية التشبيه (انفراجتم ... انفراج الرأس)؛ فهي علاقة موضعية كثفت قصديّة النصّ في استحالة تجمعهم بقرينة الدلالة لتلك العلاقة؛ فإذا انفرج شقا الرأس استحال التمامها، وهي دلالة تؤكد تشتت القوم، وتفرقهم عن أميرهم "عليه السلام".

كما في المخطط الآتي بيانه:

انفراجتم	انفراج الرأس
الفعل ماضٍ مزيد بالهمزة والنون يخرج إلى دلالة قديم موقف القوم من	الصورة التشبيهية تدعو إلى مفهوم الاستحالة، وهو العجز الكلي للقوم

(1) نهج البلاغة: خ 106/34.

الإمام "عليه السلام" وتزايد فرقتهم عنه

إنَّ المؤدَّى في بنية التشبيه، هو إلحاق الضرر بالقوم من سوء فعلهم، فالرأس هو الواقي للمخ الذي يمثل الإمام "عليه السلام"، ولا يتأثر بالجمجمة إلا كونه غطاء لها ويعطل عمله في حالة إصابتها بجمع الموقفين مقام حال واحد؛ هي ساحة الوغى، فكان موقف القوم سلباً إزاء إيجابية موقف الإمام "عليه السلام".

أمَّا المؤكدات المترجمة في النصّ المتمثلة بالقسم (والله) و(إنَّ)، وتكرار الجملة الفعلية وتنوعها؛ فقد أكدت ذلك المؤدَّى في الكشف عن نتائج سلوك القوم، وهو العجز الكلّي في ساحة المعركة نتيجة التفرّق؛ فأثر التأكيد يعدُّ "إلحاحاً على امتناع القارئ بما ينقل إليه"<sup>(1)</sup>.

---

(1) لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: محمّد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1991، م: 334.

## ثانياً: الاستعارة

تتميز بنية الاستعارة بقيمة عالية من الإيحاء، فهي "أقوى إيحاءً من التشبيه لما تتضمنه من سعة الدلالة وقوة التصوير"<sup>(1)</sup>، ومنها تنعكس أقوى طاقات اللغة وإمكاناتها، فضلاً عن توغلها في كشف الأبعاد النفسية، وما يحيطها من ظروف في إثراء التجربة الشعريّة التي يحقق بها النصّ غايته وفنّيته.

والاستعارة هي "ذكر الشيء باسم غيره، أو إثبات ما لغيره له، لأجل المبالغة في التشبيه"<sup>(2)</sup>، وقد نقل ابن رشيق عن الرمانيّ أنّها "استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة"<sup>(3)</sup>.

وكان عبدالقاهر الجرجاني أكثر اهتماماً، وأدقّ نظراً في تشخيص الاستعارة، فقد وضّح أبعادها وعمق النظر إليها وجعل لها أصولاً خاصّة بها، وعدّها ضرباً من المجاز القائم على التشبيه<sup>(4)</sup>.

وعنده تعدّد طريقة من طرق الإثبات عمادها الادعاء، فأنت في قولك "رأيت أسداً" تدّعي في الرجل أنه ليس برجل، وإنّما هو أسد ومرادك بذلك أن تثبت للرجل صفات الأسد، وتدّعي أنه بلغ في شجاعته مبلغ الأسود<sup>(5)</sup>.

وانتهى جابر عصفور إلى تعريف جامع من مجموع ما استخلصه من تعريفات من القدماء للاستعارة أنّها جميعاً "تشير إلى شيء واحد، وهو أنّ الاستعارة انتقال في الدلالة لأغراض محدّدة، وأنّ هذا الانتقال لا يصحّ ولا يتمّ إلا إذا قام على علاقة عقلية صائبة تربط بين الأطراف وتسير عملية الانتقال من مظاهر الاستعارة إلى حقيقتها وأصلها"<sup>(6)</sup>.

وتعدّد الاستعارة عنصراً فاعلاً في بناء الصور التي تصدر عن خيال خصب<sup>(7)</sup>. وتقوم الصورة الاستعاريّة في الأصل على أصل، هو المستعار منه وفرع، هو المستعار له، ولكن يجب

(1) النقد الأدبي الحديث: د. محمّد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت. ط1، 1982م: 458.

(2) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين الرازيّ محمد بن عمر (606هـ)، تح أحمد حجازي السقا، دار الجبل، بيروت، المكتب الثقافي، القاهرة، ط1، 1412هـ - 1992م: 162.

(3) العمدة: 271/1.

(4) ينظر: أسرار البلاغة، 224-223، 296-967، 323 - 336.

(5) ينظر: دلائل الإعجاز: 281.

(6) الصورة الفنيّة في التراث النقديّ والبلاغيّ عند العرب: 203.

(7) ينظر الخيال مفهوماته ووظائفه: د. عاطف جودة نصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م: 282.

أن يكون المستعار منه (الأصل) أقوى تمكناً في الصفات المراد إثباتها من المستعار له (الفرع)<sup>(1)</sup>.

ومنه فإنّ هذا "الجانب في الاستعارة تتأتى خاصيتها الأساسية التي يسميها المعاصرون بالكتيف، إذ يعدها عبدالقاهر عنوان مناقب الاستعارة"<sup>(2)</sup>.

وقد أقام الجرجاني الاستعارة على أصول هي:

1 - يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة، والمدرّكة بالحواسّ على الجملة للمعاني المعقولة.

2 - يؤخذ الشبه من الأشياء المحسّنة لمثلها إلا ان الشبه عقلي.

3 - يؤخذ الشبه من المعقول للمعقول<sup>(3)</sup>.

وأضاف الدكتور محمّد حسين الصغير أصلاً رابعاً: وهو أن يؤخذ الشبه من المعقول للمحسّ<sup>(4)</sup>، ومجموع هذه الأصول تؤدّي إلى استكناه مصطلحات لها أهميتها في تشكيل التجربة الاستعارية، وهي "التجسيم والتجسيد والتشخيص"<sup>(5)</sup>، التي أشار إليها عبدالقاهر الجرجاني في حديثه عن الاستعارة بقوله "فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جلية"<sup>(6)</sup>.

وجاءت صور الاستعارة في نصوص "نهج البلاغة" بقيمتها الفنيّة والجماليّة العالية متضمّنة القصد الإبلاغيّ لها في "ترسيخ المعنى في نفس المتلقي وتأكيد"<sup>(7)</sup>.

ومن بدائع الصور الاستعارية في "نهج البلاغة" قوله "عليه السلام":

"أَبُهَا الْيَقْنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَسَبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ"<sup>(8)</sup>.

جاءت الاستعارة في بنية (حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ) استعارة مكنية، مكوّنة صورة فنيّة توقع الرهبة في نفس المخاطب، وقد أكّد حضور إبلاغيّة هذه الصورة (الأساليب الإخباريّة) في النصّ من نداء وتوكيد (أيها، قد) والأسلوب الإنشائيّ (الاستفهام) (كيف) لتصور ذلك الموقف

(1) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن: محمّد بن الحسين الشريف الرضيّ (ت 406هـ)، تح: محمّد عبدالغني حسن، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، ط 1374هـ - 1955م؛ 237.

(2) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: 232.

(3) ينظر: أسرار البلاغة: 50.

(4) الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمّد حسين علي الصغير، وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد،

1981م، شركة المطابع النموذجية: 201.

(5) البنى الأسلوبية في النص الشعري: 317.

(6) أسرار البلاغة: 33.

(7) الإبلاغيّة في البلاغة العربية: 162.

(8) نهج البلاغة: خ 372/181.

الرهيب الذي يقفه الإنسان الضالّ يوم الحشر، فتكمن أهميّة هذه الصورة في تصوير العقليّ، وتقريبه إلى الذهن بفعل حسّيّ، وهو (أكلت) وتفعيل أثره في النفس، وقد أشار عبدالقاهر الجرجانيّ (ت 471هـ) إلى أهميّة الصورة الحسيّة ورسوخها في الذهن بقوله: "أن تردّها في الشيء تعلمها إيّاه إلى شيء به أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس؛ وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأنّ العلم المستفاد من طرق الحواسّ، أو المركز فيها من جهة الطبع، وعلى حدّ الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوّة والاستحكام"<sup>(1)</sup>.

وفي قوله "عليه السلام" ما فيه من استعارة دقيقة وجميلة وهو :

"فإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدِي، أَوْ نَزَلَ بَكُمْ، فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ...، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمُضَةً"<sup>(2)</sup>.

تأتي بنية الاستعارة (ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضةً) مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (وسائل التهيؤ لقتال العدو).

وقعت هذه البنية في سياق النصّ الخطابيّ المتضمّن لوصايا الإمام "عليه السلام" في تهيئة جيشه؛ فجاء مليئاً بجمل الأسلوب الخبريّ، وثرّاً بالمؤكدات التي أثرت موضوع الاستدلال، فكانت بنية الاستعارة واقعة في سياق جملة التوكيد التركيبيّ بـ(الناحية ولا) لتوكيد المؤدّي القصديّ من التشبيه الذي حذف فيه وجه الشبه، وهو(النوم المتقطع)، فجاء المستعار منه (مضمضة) دقيقاً في تصوير الهيئة؛ كالاتي بيانه:

المستعار منه

مضمضةً

حسيّ

المستعار له

النوم

(عنصر التذوق) في الفعل (تذوقوا)

حسيّ

يتجلّى الملمح الأسلوبيّ في المستعار منه (مضمضةً)، وهي صورة تشبيهية لحركة الفم الممتلئ بالماء يميناً ويساراً، ثمّ مجّه متضمّنة المعنى الدالّ على المشبّه، وهو قلة النوم بصورة

(1) أسرار البلاغة: 102.  
(2) نهج البلاغة: ك 500/11.

النوم قليلاً، ثم الاستيقاظ، وهكذا تتكرر العملية. أكد هذه الصورة الفعل (لا تذوقوا)، فالتذوق هو مسّ اللسان للشيء القليل، ويزاح معنى التذوق في دلالاته في النصّ إلى التذوق للأشياء الطيبة، وهذا يعكس حلاوة النوم في عين من أرهاقه ساحة الحرب، وملاقاة العدو، فكانت بنية الاستعارة ثرة بدلالاتها في مؤدى القصد، ومعنى آخر في النوع الثقافي المهمّ الذي أملاه الإمام "عليه السلام" إلى هذا الصنف من الناس في موقف الاستعداد لملاقاة العدو.

ولبنية الاستعارة (مضمضة) معنىً دلاليّ مكثف ومتحرك، ثمّ إنّ أداة الحصر (إلا) قصرت الحيز بين الفعل (لا تذوقوا)، والمستعار منه لتتناسب مع قلة النوم في قصيدة الخطاب.

وجاء في قوله "عليه السلام":

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ!.... قَاتَلَكُمْ اللهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً<sup>(1)</sup>، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخُدْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ فُرَيْشُ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ<sup>(2)</sup>.

جاءت البنية الاستعارية في سياق النصّ الخطابيّ متعدّدة ومتراوية بأداة العطف (الواو)، وتشكل نتيجة استدلالية لموضوع (تقاعس القوم عن القتال في مواطن الجهاد)، وقد أكّدت بنية النداء التي افتتح فيها النصّ حالة الألم والتحصّر في قلب الإمام "عليه السلام" لموقف القوم، ومؤكدة بحرف التحقيق (قد) البنيات الاستعارية التي تشاكلت في تكوين صورة يتفاعل معها المخاطب بإبهاؤها التي تكشف عن ذلك الألم الذي تداخل قلب الإمام "عليه السلام" من سوء فعلهم، فجاءت تلك البنى استعارات مكنية؛ وهي "التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه"<sup>(3)</sup>، وهو "المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفنّنها وتصرفها"<sup>(4)</sup>.

(1) القَيْحُ المِدَّةُ الخالصة لا يخالطها دم وقيل هو الصديد الذي كأنه الماء وفيه شكلةٌ دم قاح الجُرْحُ يَبِيحُ قَيْحاً، لسان

العرب مادة (ق ح ح).

(2) نهج البلاغة: خ 92/27.

(3) معجم المصطلحات البلاغية: 145/1.

(4) أسرار البلاغة: 50.

والأصل الذي بنيت عليه الاستعارة في تشبيهاتها في بنى الاستعارة، قد تنوّعت بين العقليّ والحسيّ، وهي من أبرز التحوّلات في بنى النصّ الخطابيّ:

مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا  
طرفا الاستعارة

المستعار له                      المستعار منه  
القلب                              محذوف تقديره (الزجاجة أو الوعاء)

عقليّ                                  حسيّ

تحول من عقلي إلى حسيّ

فنتجته وجه الشبه في اشتراكهما في تحصيل الألم البالغ إلى الغاية:

وَشَحْنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا  
طرفا الاستعارة

المستعار له                      المستعار منه  
الصدر                              محذوف تقديره (السفينة)

حسيّ                                  حسيّ

ويتجه وجه الشبه في اشتراكهما في تحصيل تلك الحركة الهائجة.

## وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً

طرفاً الاستعارة

المستعار منه

المستعار له

السائل

التهمام (الهَمَّ)

حَسِّي

عَقْلِي

يتجه وجه الشبه في اشتراكهما في حصول الأثر من غيرهم.

ومن أبرز الظواهر الأسلوبية في النصّ الخطابيّ في التحوّل في بنية الاستعارة الأولى، والثانية تتابعياً نتيجةً للتعليق النحويّ؛ إذ يأتي (القلب، والصدر) مفعولاً به لكلّ من الفعلين (ملاّتم، وشحنتم)، وهذا ينبئ عن التحوّل من (المعنويّات) إلى (المادّيّات مكانياً)، ثمّ تكتمل البنية بإضافة (قلب أو صدر) إلى (ياء المتكلم)، وكون المضاف إليه يحتوي المضاف دلاليّاً؛ فإنّ هذا التحوّل ينتقل ليصير معلقاً بإدخال الإنسان إلى دائرة المكان.

وفي تشكيل الأفعال الثلاثة عمودياً

مَلَأْتُمْ

شَحَنْتُمْ

جَرَّعْتُمُونِي

إنّ في رأس الأفعال (مَلَأْتُمْ) فيه دلالة على الكثافة، والغزارة، وتزايد في الفعل المتجه سلباً بقرينة التعلق النحويّ (التمييز) - قيحاً - لنوع ذلك الإملاء، بنقل المعقول إلى مُحَسَّس، والفعل (شَحَنْتُمْ)، والشحن في لسان العرب "الحقد، والعداوة"<sup>(1)</sup>، وفيه معنى الحدة، والضغط، والتجديد لنوع ذلك الشحن الذي يتجه سلباً باتجاه ما يميزه وهو (الغيظ)، أمّا الفعل الثالث (جرّعتُموني)، فيفضي إلى معنى لم يكن موجوداً بتحويل الهَمَّ إلى شيء مادّيّ بدلالة معنى

(1) لسان العرب: مادة: (ش ح ن).

الفعل وبطريقة إجرائه (جرعة بعد أخرى)، وفيه معنى الألم المنقطع كالأنفاس؛ فيعكس صورة التعذيب والاستمرار فيه .

ومن ذلك؛ فإن الفعلين (مَلَأْتُمْ ، شَحَنْتُمْ) من حقل دلالي واحد؛ إذ ترتبط دلالتهما بالامتلاء والشحن، ثم يأتي الفعل الثالث، فيعمل على خلق مساحة توتر بقطع ذلك التحاقل بنقطة تتجه نحو تبئير النص؛ وهو واقع الألم الذي يتجرعه الإمام "عليه السلام" بهذه الصورة التي تمتد بمدى زمني طويل مع الاستعراق بالهم الذي ينتج عن سلوك هؤلاء القوم بواقع عملية التجرع، وإذا حاولنا تفكيك الاستعارة الأخيرة؛ لنجعلها تتشاكل مع الاستعارتين الأولى، والثانية، فإن الأخيرة تمثل نتيجة فعلية، وعملية لحاصل فعلي الاستعارتين الأولى، والثانية.

وفي هذا النص فإن التعبير الاستعاري الأول يميل إلى التشخيص (نقل المجرّد إلى مُحسّ) وهو التشاكل الذي راكمته تلك الاستعارات بمزج نوع فعل الامتلاء، والشحن وتقاطعه مع فعل التجرع بعلاقة تضادية الذي أثرى قصديّة النصّ في أن تلك العمليّات قد كشفت عن واقع الألم النفسي المرير الذي يعيشه الإمام "عليه السلام" في مجتمع. الرعية فيه لا تستجيب لأوامره، وتخاذلها عن طاعته، فينتج عن ذلك القطبية المتضادة في السلب والإيجاب التي أوقعت القوم في بودقة الخسران.

ومنه يمكن الخلوص إلى أنّ كثرة الاستعارات في النصّ الواحد في علاقاتها التوافقية، أو التضادية تشكل ثراءً قصدياً، وجماليةً فنية في نصّ الخطاب؛ فهي تعضد دلالة النصّ في سياقه العامّ، والأمر الضروري الآخر هو ذلك المنطق العامّ الذي يحكم بنية الاستعارة في النصّ في العلاقات التضادية خاصة، وكذلك المنطق الذي أخضع المفاهيم في ترتيب مقطوعات النصّ، وفيها تجلّى الثراء الفنيّ الأبديّ في تصوير المواقف والأوضاع في قالب نصّيّ منسجم.

وفي نصّ آخر نجد الاستعارة التصريحية لها أثرها في تحريك النصّ وهي "التي يُصرّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه"<sup>(1)</sup>.

"وَاللّٰهُ اِنَّ اَمْرًا يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ....، فَأَمَّا اَنَا فَوَاللّٰهِ دُونَ اَنْ اُعْطِيَ ذٰلِكَ صَرْبًا بِاَلْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيْرُ مِنْهُ فَرَأَشُ اَلْهَامِ.." <sup>(2)</sup>.

(1) الإبلاغية في البلاغة العربية: 160.

(2) نهج البلاغة: خ 106/34.

تتضح بنية الاستعارة ( فراش الهام ) في النصّ الخطابي؛ إذ تتضمّن علاقة موضعيّة هي (فراش الهام)<sup>(1)</sup>؛ كالآتي بيانه:

### تَطِيرُ مِنْهُ فَرَأْشُ الْهَامِ

(بالطير)	(تشبيه فراش الهام)
⇓	⇓
مُحَسَّ	مُحَسَّ

ووجه الشبه في سرعة النقل لخفة الاثنتين الواقع عليها الضربة الشديدة.

إنّ هذه العلاقة الموضعيّة تؤكّد صيرورة الفعل الذي يرسمه لتلك الصورة التي تقرب المفهوم للمخاطب، وتبيّن فيه الرهبة من ثبات الإمام "عليه السلام"، وإصراره ومقدرته على المواجهة في الموقف ذاته الذي انهزم فيه القوم بأثر تفرّقهم .

المتعلّق النحويّ في بنية الاستعارة؛ بالآتي بيانه:

#### فراش الهام

تشير إلى أفقية الضرب؛ لأنّ هذا الجزء من الرأس يكون مخفياً بأسفل الرقبة، فتتجه إلى الأعلى بأثر قوة الضربة ذاتها، وهذه العملية تحتاج إلى قوة مضاعفة.

#### تطير منه

حدث مستمرّ ينطوي على أثر كبير لمؤثر قويّ، وهو شدّة ضربة الإمام "عليه السلام" فالطيران يدعو إلى قوة كبيرة تحرّكه بعكس قوّة جاذبيّة الأرض.

أما الفعل المضارع (تطير)، فتخرج إلى دلالة استمرار هذه المواجهة من لدن الإمام "عليه السلام" بالمقدرة ذاتها .

(1) وهي العظام الرقيقة التي تلي القحف: لسان العرب : مادة: (ق ح ف)

ومن غريب الصور الاستعارية في نصوص "نهج البلاغة" ماجاء في قوله "عليه

السلام":

"أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغُرِبِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَطُّ فِي خِطَامِهَا" (1).

تقوم الاستعارة في هذا النص على استعارة صفة الحيوان؛ وهي قوله "عليه السلام" (تَشْغُرِبِرِجْلِهَا) للفتنة، وقد جاورتها صورة استعارية أخرى بقوله "عليه السلام" (تَطُّ فِي خِطَامِهَا)؛ ليفرز صورة كلبية شبيهة بصورة الحيوان حينما يرفع برجله ويطأ بها الأرض؛ أمّا القرينة؛ فهي حالية .

إنّ للفظه (تشغر) ، و(وتطأ مع متعلقها المتجسدة في لفظه خطامها) أثراً فاعلاً في ترسيم الصورة الاستعارية التي تدور في مدار الكشف والاستشراق الذي استدعاه الإمام لإسباغ الدلالة الحجاجية الخطابية المحذرة من مغبة فقدان المسؤول . وهو موضوع الاستدلال . لتعاس الآخر، وهو المخاطب عن السؤال، والتأمل في العلاقات الكونية والوجودية؛ فضلاً عن العلاقات الأخرى التي تحوط الإنسان، ولاسيما في علاقته مع المطلق، وعلاقته مع أخيه الإنسان، فتكون العاقبة فيهم تلاعب الفتن في عقولهم لجهلهم، فيؤدي ذلك إلى تعثر سلوكهم، وجاءت الاستعارة الثانية (تَطُّ فِي خِطَامِهَا) ترشيح، وتقوية للاستعارة الأولى.

وجملة الأمر في التعالق الاستعاري في سياق النص الخطابى أنّ الإمام "عليه السلام"،

والى جانب ما يكتنف الاستعارة من تركيب يكاد يكون معقداً إلا أنّ التشبيه فيها دقيق في بنية التلقي لتؤدي القصد في الخطاب الموجّه.

(1) نهج البلاغة: خ 387/187. وبضمنها "وَحَطَمَ الْأَدِيمَ حَطْمًا خَاطَ حَوَاشِيَهُ عَن كِرَاعٍ" لسان العرب: مادة: (خ ط م).

## ثالثاً: الكناية

تمثل الكناية لوناً مميّزاً من ألوان الانزياح الأسلوبيّ الشائع في نصوص أدبنا العربيّ، ففي توظيفها آفاق رحبة من ثراء الدلالة وتنوّع الأداء، وفيه يتمكّن المتكلم من التعبير عن غرضه المقصود بطريقة أبلغ إقناعاً وأعظم تأثيراً من الخطاب التصريحيّ المباشر الذي قد يعجز عن إيصال ذلك في كثير من المواقف.

أشار قدامة بن جعفر في تعريف أحد أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى إلى الإرداف، وهو ما يعادل الكناية؛ إذ قال: هو أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني؛ فلا يأتي باللفظ الدالّ على ذلك المعنى؛ بل بلفظ يدلّ على معنى، هو ردّف له وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع، ومثل لذلك بالكناية (بعيدة مهوى القرط)، قال: "وإنّما أراد أن يصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاصّ به، بل أتى بمعنًى هو تابع لطول الجيد، وهو بُعد مهوى القرط"<sup>(1)</sup>.

لم يبتعد مفهوم عبدالقاهر الجرجانيّ عن تصوّر قدامة لطبيعة الانتقال الدلاليّ بتمامه مشيراً إلى صفة التلازم المنطقيّ بين المعنيين؛ إذ يقول "والمراد بالكناية ههنا: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني؛ فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة عليه، ويشرح ذلك في كنايات "طويل النجاد، وكثير الرماد، ونؤوم الضحى، فيقول: "فقد أرادوا في هذا كلّ معنًى، ثمّ لم يذكره بلفظة الخاصّ به، ولكنهم توصّلوا إليه بذكر معنًى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان"<sup>(2)</sup>.

أمّا الفخر الرازيّ والسكاكيّ؛ فقد نقلنا هذا المفهوم بدرجة أكبر إلى منطقة اللازم (المذكور) والملزوم (المضمر)؛ إذ يقول الرازيّ: "الكناية: ذكر الشيء بواسطة ذكر لوازمه، ووجود اللازم يدلّ على وجود الملزوم"<sup>(3)</sup>، وقال السكاكيّ: "الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول (فلان طويل النجاد) لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة، و"مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم"<sup>(4)</sup>.

أمّا ابن أبي الإصبع، فقد وازن بين دلالاتي كلّ من وصفي (طويلة العنق) و(بعيدة مهوى القرط) على صفة طول العنق؛ إذ قال: "ودلالة الأول: دلالة مطابقة، ودلالة الثاني: دلالة

(1) نقد الشعر: قدامة بن جعفر: 155-156.

(2) دلائل الاعجاز: 66.

(3) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 192.

(4) مفتاح العلوم: 402-403، 638.

الالتزام<sup>(1)</sup>. ويختزل هذا التصور المنطقي عدداً من العلاقات التي تزخر بها التطبيقات الأدبية المختلفة لهذا اللون البياني، وهذا ما تستطيع الدراسة التطبيقية المتحررة من طوق هذا المفهوم الكشف عنها؛ فهي تهَيِّئ السبيل إلى تعرّف طبيعة شبكة العلاقات الدلالية التي تحكم صور الكناية المتنوعة عن كثر، ومنه تتيح المجال لاستكناه الدورين الوظيفي، والفني اللذين تقوم الكناية بهما على مسرح كل علاقة على حدة<sup>(2)</sup>.

وللكناية قيمة إبلاغية تتمثل بالتعبير الكنائي الذي ينطوي على مقدار لا يستهان به من التأثير النفسي فإنّ ثمة بعداً إبلاغياً في الكناية يتمثل في اللحظة الدالة. فالشاعر عندما يسدل على المعنى الحقيقي الذي يقصد إليه ستاراً لفظياً شفافاً يجعل المتلقي متحفظاً ومتشوقاً لردّ هذا الستار، ومعرفة المرمى الذي يسدد إليه. فمن خلال الكناية، وهي لحظة دالة، أو تلميح، يشعر المتلقي بميل إلى اكتشاف المعنى الحقيقي، المتواري وراء المعنى المجازي، ولعلنا لا نغلو في القول أنّ هذا الميل إلى الكشف عن المستور، والمتواري، الخبيء، يصنع القيمة الإبلاغية<sup>(3)</sup>.

وشغل التعبير الكنائي مكانة متميزة في نصوص "نهج البلاغة" وبوساطة أمثلة منتقاة من خطب الإمام "عليه السلام"، متوخية الرصد والتصنيف لمكونات شبكة العلاقات الدلالية التي تربط بين الدال (التعبير الكنائي)، والمعنى المقصود (المدلول) كاشفاً عن الأثر الفني للكناية على مستوى كل علاقة من تلك العلاقات.

وحين دراسة بعض النماذج من فنون الكناية في نصوص أخرى من "نهج البلاغة"، ويمقتضى نوع العلاقة الرابطة بين المعنى المكّنّى به المذكور، والمعنى المكّنّى عنه المتروك. فإننا يمكن أن نرصد صوراً مختلفة من العلاقات الدلالية المتلازمة.

ومنه قوله "عليه السلام" مكنياً عن أصناف الناس الأربعة:

"أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَرَمَنَ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُخْسِنُ مُسِينًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عَثُورًا، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهَلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا. فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:

(1) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (654هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف، القاهرة، 1383هـ - 1993م : 213.

(2) ينظر: بنية الكناية: دراسة في شبكة العلاقات الدلالية: د. جاسم الفهيد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ع 88 س 22 خريف 2004م: 114.

(3) الإبلاغية في البلاغة العربية: 158-159.

مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَكَلَالَةً<sup>(1)</sup> حَذِهِ، وَنَضِيضٌ وَفَرِهِ. وَمِنْهُمْ الْمُضَلِّتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلَنُ بِشَرِّهِ، وَالْمَجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأُوْبَقَ بَيْنَهُ لِحُطَامِ يَنْتَهَرُهُ، أَوْ مَقْبَبٌ يَهُودُهُ، أَوْ مُنْبِرٌ يَفْرَعُهُ. وَلَيْبَسَ الْمُنْجِرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ نَمَاءً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ دَرِيْعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلْبِ الْمُلْكِ ضُؤُولُهُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الرَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَّاحٍ وَلَا مَعْدَى. وَبَقِيَ رَجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدِ نَادٍ، وَخَائِفِ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتِ مَكْغُومٍ، وَدَاعِ مُخْلِصٍ، وَتُكْلَانِ مُوجِعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةَ، وَشَمِلَتْهُمْ الدَّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَفُهِرُوا حَتَّى ذُلُّوا، وَقَتِلُوا حَتَّى قَلُّوا<sup>(2)</sup>.

وفي هذا النوع من الكنايات يحصل الانتقال الدلالي من الأوصاف المذكورة في النص إلى الموصوف المتروك، فالعلاقة الوثيقة التي تربط بين الموصوف، وصفاته الخاصة تجعل عملية الإبدال مقبولة، ومعقولة وهذا يتيح للمتلقي فهماً صحيحاً من المعنى المكتنى به إلى المعنى المكتنى عنه فهي معرفة له، وتتطلب هذه العلاقة من "المرسل أن يحسن اختيار الصفات التي يكتنى بها عن الموصوف، فلا بد من اشتراط اختصاص الموصوف بها"<sup>(3)</sup>.

يتضمن النص الخطابى مقداراً من التحول؛ إذ يدور النص في المدار التعريفي لأصناف الناس وقد امتزجت فيه الصياغة الحقيقية بالصياغة الكنائية لهدف إبلاغي مما أثيرى البناء النصي بكم جمالي أفرزته تلك المزوجة؛ لأن النص يمتلئ بالتصنيفات الذاتية التي تحتاج إلى رؤية ثابتة تستند إلى التجربة في تحليل شخصية الفرد من منظار سلوكي، وغبيي في الآن نفسه.

وتتضح الملامح الأسلوبية في تعدد بنيات التعبير الكنائي المتجاوزة التي تعد جميعاً مصادر أدلة لموضوع الاستدلال (الرؤية الضدية للزمن) .

01 "الكَلُّ قَفَا السيفِ وَالسَّكِينُ الَّذِي لَيْسَ بِحَادٍ وَكَلَّ السيفُ وَالْبَصْرُ وَغَيْرِهِ مِنَ الشَّيْءِ الْحَدِيدِ يَكُلُّ كَلًّا وَكَلَّةً وَكَلَالَةً وَكُلُولَةً وَكُلُولًا وَكَلَّلَ فَهُوَ كَلِيلٌ وَكَلَّلٌ لَمْ يَقْطَعْ" لسان العرب: مادة: (ك ل ل) .

(2) نهج البلاغة: خ 32/ 99- 100 - 101.

(3) بنية الكناية: دراسة في شبكة العلاقات الدلالية، 131.

وتأتي الكناية في الأقسام الأربعة من الناس؛ بالآتي بيانه  
القسم الأول من الناس : وفيه البنية الكنائية الآتية:

الكناية "دال" ← المدلول  
كلالة حدّه مكنى عن "الضعف"

فالصياغة "كلالة حدّه" تدور في سياق الصنف الأول من الناس الذي لا يمنع من الفساد إلا المهانة، أو ضعف القوة، أو قلة المال، فأصبحت تلك العبارة "كلالة حدّه" مركز الثقل الدلالي؛ لأنها كناية عن "الضعف" في بيئة يحوطها القوة والاستحواذ عليها؛ أي: الاستحواذ على المال وحماية النفس من المهانة، ولهذا جاء التعبير بها كنايةً ضمن تعدد صفات حقيقية .

أما القسم الثاني من الناس: ففيه البنية الكنائية الآتية:

الكناية "الدال" ← "المدلول"  
"المجلب بخيله ورجله" مكنى عن "الاستعداد"

في هذا القسم من الناس يعدّ التعبير الكنائي المتمثل الموضح في أعلاه هو مركز الثقل في سياق الصفات المتعددة للصنف الثاني؛ هي ( المصلت لسيفه، المعلن بشره،...)؛ إذ عادة ما يكون المصلت لسيفه، والمعلن بشره عرضة للخطر؛ إلا إذا استحكم أمره، ودبره بكثرة العدة والعدد.

إنّ ورود التعبير الكنائي ضمن هذا الحشد من الصفات في سياق النصّ الخطابي أثرى مؤدّى القصد في أنّ هذه الفئة من الناس تكثر فيهم الانبعاثات النفسية والرؤى التي تتجه بسلوكيات تثير بيئة التلقي، وتبعث في نفوسهم الخشية من هذه الفئة وتجاوزاتها غير المشروعة في سلب حقّ الآخر، فكان التحشيد رسالة للمخاطب في شدّ ذهنه إلى أشدّ الأنواع خطورة من الناس، وما ينتهون إليه من خسران تمثل في بنية الاستعارة المكنية (لحطام) مكنى بها عن الغاية التي أفسد فيه لنيلها في غاية الحقارة، وهي تشبيه الحال بالحطام (النبات اليابس، وهو ضئيل إزاء الأخضر الناظر)، وهما مُحسّنان.

والقسم الثالث من الناس فيه البنيات الآتية بيانها:

"المدلول"	الكناية "الدال"
مكنى عن " الخفض "	طامن من شخصه
مكنى عن "الرخاء والتبخر"	قارب من خطوه
مكنى عن "الاستعداد للعمل"	شمّر من ثوبه
مكنى عن " التصنع "	زخرف من نفسه للأمانة

إن هيمنة التعبير الكنائى المتجاور في النصّ الخطابى أثرى المؤدى الكشفي لهذه الفئة من الناس بمصادر استدلالية حسية، فكان التعبير كنائياً تماشياً مع صفة هؤلاء الأشخاص غير المباشرين في سلوكياتهم؛ لتقع تلك الصياغات بوصفهم في مدارها الكنائى من دون اعتماد المستوى الحقيقى كما هو الحال في الصنفين الأول والثاني . فأدّت الكنايات " طامن من شخصه" و" قارب من خطوه" و" شمّر من ثوبه" و" زخرف من نفسه للأمانة" الدلالات ("الخفض و المشي البطيء و الاستعداد للعمل و التصنع) على التتابع لتثري النصّ الخطابى بالمؤدى الكشفي لهذا الصنف.

وتأتى البنية الكنائية في القسم الرابع من الناس هي:

"المدلول"	←	الكناية "دال"
مكنى عن "الرياء"		وَتَرَيَنَّ بِلِبَاسِ أَهْلِ الرَّهَادَةِ

فيأتي مركز الثقل في التعبير الكنائى؛ متمثلاً بقوله "عليه السلام" (وَتَرَيَنَّ بِلِبَاسِ أَهْلِ الرَّهَادَةِ)، وهو كناية عن التصنع في الزهد، وجاءت دلالة فعل التصنع ثرة في الفعل (تَرَيَنَّ) على وزن الفعل الخماسي (تفعل) بزيادة التاء، وتضعيف العين لتأكيد قصدية الخطاب في تبريز كثرة تصنع هذا القسم من الناس .

أما الفئة التي خرجت عن هذا التصنيف (وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارُهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ)؛ فقد هيمن عليها المستوى الحقيقي؛ لأنها الفئة التي تمثل الجوهر الإسلامي.

فإذا ذكرهم "عليه السلام" بصورة كنائية؛ فمن المحتمل أن يختلّ الكشف عنهم بحسب رأي الباحث، والمراد عند الإمام "عليه السلام" هو الكشف عن تلك الفئة التي عادةً ماتدغم في المجتمع، ويخمد ذكرها بسبب وجود الأصناف الأربعة المهيمنة على جسد المجتمع الإسلامي. وبعد هذا التشخيص التعريفي للتعبير الكنائي، فإننا نشهد تعدداً من الناحية الوظيفية الدلالية في تحقيق الفائدة في مؤداهما القصدي؛ وهي:

1 - ما يمكن أن يوجد فيه عنصر المفاجأة في كسر ما يألفه المتلقي الذي ينطوي على انزياح أسلوب في تأدية الرسالة اللغوية المتوخاة من ذكر المصطلح المعرف الخاص (الدال) السبيل المطروق لانتقال الذهن إلى ما يدلّ عليه من صفات، وخصائص مميزة (المدلول)، وفي هذا اللون الكنائي يتبادل كلّ من الدال، والمدلول وظيفتهما في الرسالة اللغوية، وهذا يسلمنا إلى الفائدة الثانية.

2 - إنّ الصفة الكنائية إذا أطلقنا عليها (التعريفية) في سياق هذا النص؛ وذلك بإحلالها الصفات محلّ الموصوف التي أسبغت على المكّن عنه ثوباً من الجدة والتقرّد، فهو يبرزه جنساً مستقلاً بذاته، فالمبالغة في تصوير الموصوف في أكمل حالاته تمثل غاية تتوخى هذه الكناية تقريرها في ذهن المتلقي، وتثبيتها وحينئذ يكون الموصوف باشماله على هذه الصفات هو فريد من نوعه، وهذا ما يمكن تلمسه في تشخيص النوع الثاني من الناس الذي كثرت فيه صفات الموصوف لبيان شدة خطره في المجتمع وتهديده لكيانه.

3 - في ما مرّ من التحليل ما لهذا النوع من الكناية من أسلوبية خاصة في (الانتقاء) لصفات بعينها للتعبير عن الموصوف المضمّر، وقد تجلّت براعة الإمام "عليه السلام" في مقدرة عالية على انتقاء تلك الصفات التي أوفت بمتطلبات مقتضى الحال، وما يفرضه المقام ف"عند تشكيل الكناية (التعريفية) ينبغي أن يكون التعريف الوصفي للموصوف المضمّر موجّهاً لاهتمام المتلقي إلى جوانب دلالية قد تغيب عنه عند استخدام التعبير الصريح"<sup>(1)</sup>.

وفي بنى كنائية أخرى في نصوص "نهج البلاغة" تنوب فيها لغة الجسد عن لغة الكلام. وفي هذا النوع من الكنايات؛ فإنها تكون معبرة عن موقف نفسي معيّن؛ إذ إنّ كثيراً من الهيئات

(1) بنية الكناية : دراسة في شبكة العلاقات الدلالية: 137.

الجسدية، والتشكيلات الحركية بدلالات معينة يدركها الناظر إليها، وقد حفل تراثنا الأدبي بهذا النوع من التصوير الكنائي المعبر عن مظهر السلوك التفكيري للإنسان .

وحفل القرآن الكريم بمثل هذا الضرب من التعبير الكنائي؛ ضمنه قوله تعالى في وصف صاحب الجنة الكافر بنعمة الله "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا" (1).

فالتعبير الكنائي يكون في (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) تصوير لحالة الشعور بالندم والإحباط لما آلت إليه جنته الغناء التي استحالت خربة، وأصبحت أطلالاً، فهذا الشعور النفسي يدفعه إلى سلوك حركي معبر عنه بصورة حركة اليدين (2).

وتجلى هذا الضرب الكنائي في قول الإمام "عليه السلام":

"وَأَنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ،... وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أَمًّا قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيَّتَتْ. يَا حَيِّبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَالْأَمُّ أُجِيبُ" (3).

الكناية "الذال" ← "المدلول"  
يَرْتَضِعُونَ أَمًّا مكنى عن (الخبية)  
طلب الشيء بعد فواته

تتجسد بنية التعبير الكنائي في سياق النص الخطابى في (يَرْتَضِعُونَ أَمًّا)؛ وهي مصادر الأدلة لموضوع الاستدلال (ضعف حجتهم في ما ادّعوا عليه "عليه السلام" من قتل عثمان)؛ فقد جاء أسلوب التعبير الكنائي بتصوير (حركة الرضاعة) بالشكل العام، أما خصائص هذه الحركة لهؤلاء؛ فهي تصوير القوم، وهم أبناء الدعوة الإسلامية ومتبعو نبيهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فقد صور الإمام "عليه السلام" الخلافة بالأُم، ولكن التي فطمت وجفّ حليبها بعد انقضاء مدة الفطام المعلومة، وجاء الفعل (يَرْتَضِعُونَ) مزيداً بالتاء دلالة في زيادة حركتهم في الرضاعة لا استجلاب ما يبيغون على غير لو قال يرضعون؛ فتكون الحركة فيها اعتيادية، ولا تحتاج إلى بذل جهد كبير. ثم إن صيغة (يفتعل) تدلّ على المشاركة؛ فهو فعل جماعي أما دلالاته الزمنية؛ فتؤكد اللحظة الحاضرة الآنية، والأثر الأسلوبى الآخر في النص تمثل بالمؤكد (قد) الذي أفاد

(1) سورة الكهف: الآية/ 42.

(2) ينظر: بنية الكناية: دراسة في شبكة العلاقات البلاغية: 139.

(3) نهج البلاغة: خ 80/22.

تحقق حصول الفعل الماضي (فطمت). الذي انطوى على دلالة المنع، وهو الفطام؛ إذ أكد هذا المنع، وعدم التحصيل على الرغم من حركتهم المتزايدة في عملية الرضاعة .

إنّ بنية الكناية التي اشتملت على التصوير السلوكي لهؤلاء القوم بما ادّعوه على الإمام "عليه السلام" من قول هم فيه ضعفاء بحكم ذلك التصوير البياني الذي أفرز تلك الدلالات الثرة الموحية التي يقصر عنها التعبير المباشر الصريح، فتلك الصورة الكنائية (يُرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ) صورة تأباها النفس، وتنفر منها، فتدفعها إلى رفض ما يدّعون لعجزهم وبطلانهم، وهذا هو غاية المؤدى القصدى للتعبير الكنائي في سياق النصّ.

وجاء في قوله "عليه السلام":

"طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا، حَتَّى غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرِ أَسْهَرِ عِيُونِهِمْ خَوْفٌ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ،.. أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون"<sup>(1)</sup>.

وقع التعبير الكنائي في سياق النصّ الخطابي في ثلاثة مواضع أعطت مؤداها التعبيري؛ هي:

الكناية "الدال"	←	"المدلول"
عَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا	←	مكنى عن (الصبر)
هَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا	←	مكنى عن (السهرة)
تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ	←	مكنى عن (التهجد)

وتعدّ الصور الكنائية في النصّ مصادر أدلّة لموضوع الاستدلال (صفات النفس الفائزة برضا الله).

ورد الفعل (عَرَكَ) المشتمل على الحركة العنيفة بوساطة الجنب؛ فيكون نوع العراك هو السحق للبؤس، فهو معنىً مقارب للصبر على الأذى، وهجرت الأغماض يقارب السهر والإحياء في التعبير الكنائي الثاني، ومجافاة الجنوب للمضاجع يقارب العمل والاشتغال في العبادة التي يمثلها التهجد في التعبير الكنائي الثالث.

والملمح الأسلوبى الملحوظ في هذا البناء الكنائي؛ هو ظاهرة التجسيم، خاصة أنها جاءت كناية عن صفة؛ فهي "أكثر أنواعها تجسيمياً وأعلاها تصويراً"<sup>(2)</sup>.

(1) نهج البلاغة: ك 45 / 563 - 564.

(2) السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية: د. عهود عبدالواحد، دار الفكر، ط1: 1419 هـ - 1999 م: 208.

وعرّفها المحدثون بأنه تحويل المعنوي المجرد من اللبوس والحدود إتيّة المكانية إلى حسيّات ترى، أو تسمع، أو تلمس، أو تشمّ، أو تذاق<sup>(1)</sup>.

وردت بنية الكناية في سياق الأفعال (عَرَكَتْ ، هَجَرْتُ ، تَجَافَتْ) التي تنطوي على معاني العنف، والقوّة، والألم، فهي تصوّر مقدار المشقة التي تعانيتها النفس؛ أي: الإنسان المؤمن المطيع لربه في العمل بطاعة الله سبحانه وتعالى والأذى التي تتحملة بأداء تلك الفرائض التي لا يعيقها عن الاستمرار بهذه الطاعة أكّد ذلك تلك الأفعال الماضية التي تنطوي على دلالة التحقيق والاستمرار في الحدث.

ثمّ إنّ بنيات الكناية المتجاوزة كثفت المعنى الدلالي للتعبير الكنائي في إضفاء سمة الخصوصية النعتية للموصوف؛ فضلاً عن إثارتها لمشاعر المتلقي، وتحفيزه لتسلّم رسالة التعبير الكنائي.

وفي قوله "عليه السلام":

"أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُحَذِرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ: الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُونَ الْمُزِلُّونَ. يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا، وَيَفْتَنُونَ أَفْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكَلِّ عِمَادٍ، وَيَرْضُدُونَكُمْ بِكَلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاخُهُمْ نَقِيَّةٌ، يَمَشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدْبُونَ الصَّرَاءَ. وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُم الدَّاءُ الْعِيَاءُ. حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُوا الْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ. لَهُمْ بِكَلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيحٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ. يَتَقَارِضُونَ النَّئَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ"<sup>(2)</sup>.

تتعدد بنيات الكناية عن الصفة في (قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ)، و(صِفَاخُهُمْ نَقِيَّةٌ)، (يَمَشُونَ الْخَفَاءَ)، و(يَدْبُونَ الصَّرَاءَ) في هذا النصّ الخطابيّ مؤدّية وظيفتها الكشفية عن فئة من الناس هم "أهل النفاق" موضوع الاستدلال؛ فهي تمثل وسائطهم التأثيرية في الناس، وبها تتحقق مصادر أدلّة الاستدلال في (يَعْمِدُونَكُمْ بِكَلِّ عِمَادٍ)، و(يَرْضُدُونَكُمْ بِكَلِّ مِرْصَادٍ).

جاءت متجاوزة، وفيها الدلالات الآتي بيانها:

"المدلول"	←	الكناية "الدال"
مكّنَى عن (الغلّ)		قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ
مكّنَى عن (الصفاء)		صِفَاخُهُمْ نَقِيَّةٌ

(1) ينظر: الصورة الفنّية معياراً نقدياً: د. عبد الله الصانع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م: 417.  
(2) نهج البلاغة: خ 419/192.

يَمْشُونَ الْخَفَاءَ      مَكْنَى عَنْ (التستر)  
 َ      يَدْبُونَ الصَّرَاءَ      مَكْنَى عَنْ (البطء الشديد)

ويؤدّي التتابع في بنيات الكنايات إلى تكثيف نقطة التبئير في شدّ ذهن المخاطب إلى التنبيه على هذه الأفعال التي تستحيل إلى أدوات مبطنة من أهل النفاق في تعميق أثرهم في المجتمع، فتأتي هذه الكنايات بصيغ الجمل الاسميّة، والفعليّة دلالة ثبوت هذه الصفات في هذه الفئة من الناس، واستمرارها فيهم، فجاء التتابع فيها مؤدياً لقصدية الخطاب في الكشف، وقوّة التأثير في تنفير المخاطب من هذه فئة (أهل النفاق) وبيان خطرهم على المجتمع .

ويأتي نوع آخر من الكناية؛ وهو الرمز نحو ذلك ماجاء في قوله "عليه السلام":  
 "وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنِّي لَمْ أُرِدْ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنُكُّصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا".<sup>(1)</sup>

إنّ بنيات الكناية التي تتضمّن الرمز؛ وهو "الكناية التي قلّت وسائطها إلى المكنى عنه مع خفاء نحو: "فلان عريض القفا" أو "عريض الوسادة" كناية عن بلادته، وبلاوته، فالمكنى عنه خفي غير ظاهر، ويتوصّل إليه السامع بواسطة واحدة هي عرض القفا وكبر الرأس"<sup>(2)</sup>.  
 تأتي بنيات الكناية الرمز (تَنُكُّصُ<sup>(3)</sup> فِيهَا الْأَبْطَالُ)، و(تَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ) في النصّ الخطابّي بعدها مصادر أدلّة لموضوع الاستدلال (موقف الإمام"عليه السلام" الثابت في مؤازرة الرسول"صلى الله عليه وآله وسلّم")، وقد استعمل الإمام "عليه السلام" الفعل (تَنُكُّصُ) في بنية الكناية الأولى، ولم يقل"عليه السلام" تتراجع مثلاً لاختصاص الفعل(تتكص) في التراجع عن الخير خاصّة، وهي مواطن مؤازرة النبي"صلى الله عليه وآله وسلّم"، وقد قدم الإمام"عليه السلام" المتعلق (فيها) العائدة على تلك المواطن في بنية الكناية لبيان أهمّيّتها، وفيها يحتجّ الإمام"عليه السلام" على الجميع، وإن كانوا الْمُسْتَحْفَظُونَ . بفتح الفاء . الذين أودعهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) أمانة سرّه ، وطالبهم بحفظها<sup>(4)</sup>، فتأتي بنيات الكناية الرمز على النحو الآتي بيانه:

<sup>(1)</sup> نهج البلاغة: خ424/195.

<sup>(2)</sup> العمدة: 274/1.

<sup>(3)</sup> "تَكْصُ يُكْصُ وَيُكْصُ وَتَكْصَ فَلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ وَتَكْفُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَيْ أَحْجَمَ وَتَكْصَ عَلَى عَقْبِهِ رَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الرَّجُوعِ عَنِ الْخَيْرِ خَاصَّةً وَتَكْصَ الرَّجُلُ يُكْصُ رَجَعَ إِلَى خَلْفِهِ" لسان العرب: مادة:(تكص)

<sup>(4)</sup> ينظر: نهج البلاغة: شرح محمد عبدة هامش 424 .

الكناية "الدال" ← "المدلول"

تَنكُّصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ مكنى عن (التراجع)

تَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ مكنى عن (التخاذل)

وجاءت الكنایتان بصيغة الجمل الفعلية دلالة التغير في مواقف الناس، والتجدد فيها على وفق مقتضى حاجاتهم، أو ميولهم؛ أما موقف الإمام "عليه السلام"؛ فهو ثابت في مؤازرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يتضح مؤداهما في إثراء قصديّة النصّ المتمثلة بإخلاص الإمام "عليه السلام" المطلق وثبات موقفه .

ومن ذلك كلّه؛ فإنّ الصورة البيانيّة مثلت بنية استدلالية من بنى التحوّل في النصّ الخطابى كوّنت انزياحاً خلق مسافة توتر شدّت انتباه المخاطب، ووجهته إلى مقصديّة النصّ؛ فضلاً عن السمة الشعرية الجمالية التي عمّقت مواطن التأثر.

الفصل الرابع

الاستدلال بالمرجعيات

النصيّة

ناقشت جوليا كريستيفا فكرة إنتاجية النص؛ من أنها لا تبدأ من نقطة الصفر ، وإنما ترتبط بمرجعيات سابقة؛ سواء أكانت مرجعيات لسانية، أم فكرية، أم سواهما .

وأفادت كريستيفا في تأسيس هذا المفهوم من ( حوارية ) باختين لتكوّن ما يعرف اليوم بـ : " التناص <sup>(1)</sup> الذي عرّفته بـ : التفاعل بين النصوص في نصّ واحد، أو مجموعة من النصوص <sup>(2)</sup> .

ووجدت فيه أحد مميزات النصّ الأساس التي تحيل على نصوص سابقة عنها، أو معاصرة لها<sup>(3)</sup>، وأخذ النقاد بالتوقف عند مفهوم التناص عند كريستيفا بعدّه منفذاً فكرياً تحليلياً جديداً<sup>(4)</sup> .

وعلى هذا، فقد امتصّ جينيت المفهوم عندها ، و : " أعاد إنتاجه برؤية أوسع ممّا حدّدته به كريستيفا، وأدخله في حقل آخر من حقول الخطاب الأدبيّ، وهو حقل الأجناس الأدبيّة، وأفرز من ذا مفاهيم ذات نزعة كليّة تشتمل على مفاهيم جزئية عدّها أنماطاً من العلاقة النصّية، يتشكل من مجموعها مفهومه الكلّي"<sup>(5)</sup> .

ويرد مصطلح النصوص المتداخلة مسمّى آخر للتناص، وعرّفه روبرت شولز بقوله: " النصوص المتداخلة اصطلاح أخذ به السيميولوجيون مثل بارت وجينيه وكريستيفا وريناتير، وهو يحيل معاني وثيقة الخصوصية تختلف من ناقد إلى آخر، والمبدأ العامّ فيه هو أنّ النصوص تشير إلى نصوص أخرى؛ لذا فإنّ النصّ المتداخل؛ هو نصّ يتسرّب إلى داخل نصّ آخر؛ ليجسد المدلولات سواء وعى الكاتب بذلك أو لم يع <sup>(6)</sup> .

ولا يعني هذا التداخل بين النصوص أن يكون الكاتب مسلوب الإرادة، بل تبرز قدرته في طاقة الكلمة التي يستعملها، وقدرتها على الانعتاق، فهي موروث رشيق الحركة من نصّ إلى آخر، وهي محور تغيير الدلالات من سياق إلى آخر ببعديها الآني والتاريخي<sup>(7)</sup> .

وتتحقق في النصّ المتناص رؤية ثلاثية الأبعاد تتشكل من معطيات الماضي، وأبعاد الحاضر، وأفق المستقبل، وهو آلية إرجاع وارتداد إلى الماضي وإحضاره، فيحدث ذلك التداخل الذي يؤدّي

(1)المبدأ الحواريّ دراسة في فكر ميخائيل باختين، تزفتيان تودوروف،تر فخري صالح،دار الشؤون الثقافية،بغداد،1992م : 80-84 .

(2)ينظر:التناص سبيلاً إلى دراسة النصّ الشعري:شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب،مج16،ع1،القااهرة،1997م : 128 .

(3) ينظر: معجم المصطلحات الأسلوبية:سعيد علوش،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط1،1985م: 215 .

(4) ينظر : تأصيل النصّ قراءة في إيديولوجيا التناص :د.مشتاق عباس معن،مركز عبادي للدراسات والنشر،ط1،1424هـ-2003م: 88 .

(5) المصدر نفسه: 95 .

(6) الخطيئة والتكفير:320 – 321 .

(7) ينظر : المصدر نفسه : 324 .

إلى تكوّن بنيات متداخلة، قد تتماثل، أو تتخالف، أو تتناقض مع البنية الأساس على سبيل قدرة الأديب على حفظ تراثه في ذاكرته، أو لتأدية وظيفة الاستجابة .

ومن ذلك؛ فإنّ مصادر التناصّ تتعدّد وتتباين في ما بينها؛ تبعاً لمخزون الأديب المبدع، وقدرته على توظيف العناصر التراثيّة داخل بنية النصّ، وهذا ما يؤكّده تودوروف بقوله: " ثمّة عناصر غائبة من النصّ، وهي على قدر كبير من الحضور في الذاكرة الجماعيّة لقراء عصر معيّن إلى درجة أنّنا نجد أنفسنا عملياً يإزاء علاقات حضوريّة " (1) .

فالتناصّ يبرز في تنمية فاعليّة النصّ التواصليّة، فهو على ذلك : " يقوم كرابطة ثقافيّة ينبثق من كلّ النصوص، ويتضمّن ما لا يحصى من النصوص، والعلاقة بينه وبين القارئ؛ هي علاقة وجود؛ لأنّ تفسير القارئ للنصّ هو ما يمنح النصّ خاصيّة الفنيّة " (2) .

وجملة الأمر؛ فإنّ التناصّ له أهميّة كبيرة في استجلاء قدرة الأديب على أنّ يستولد دلالات ويضفي إحياءات وإيماءات لا تتحقق مع تقنيات أخرى، فيكون هذا الإبداع شمولياً يتعدّى المضمون إلى انتقاء المفردات، وبنيات التركيب، ورسم الهيكل العامّ للنصّ، واستجلاء عناصر الإبداع الأخرى مثل الصورة ، والإيقاع، وغيرها .

وهناك تناصّ آخر ( خفيّ أو مستتر ) (3)، فالتناصّ يمثل حضور خبرة، ومعرفة عميقة بالنصوص الأدبيّة، وغير الأدبيّة، نابع من حدق، وبصيرة، وقابليّة المبدع في استحضار المادّة التراثيّة، وجعلها بنية مندمجة في سياق النصّ، بصفته إحد مكوناته التي تحفز القارئ المدرك على الاستكناه بقراءته الواعيّة في ممايزته النصوص المتعدّدة في النصّ الأدبيّ .

وللتناصّ حضور إبداعيّ في سياق النصّ الخطابيّ لنهج البلاغة، وقد أشار الإمام "عليه السلام" إلى هذا النوع من الأثر الأدبيّ في قوله "عليه السلام" :

" لولا أنّ الكلام يعاد لنفد " (4) .

تتجمّع فيه وظائف عدّة تقوم بكشف العلاقات التي تربط الخطاب بالنصّ الغائب، وذلك بالإشارة، أو التضمين، أو الاقتباس للمفردة، أو التركيب .

(1) الشعرية: تزفتيان تودوروف، تر شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء، 1992م : 35-36.

(2) الخطيئة والتكفير : 57

(3) ينظر: قراءات في الأدب والنقد: د.شجاع مسلم العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م : 74 .

(4) العمدة : 91 / 1 .

ويمكن الوقوف على أهمّ ملامح التناصّ وأشكاله المختلفة في نصوص " نهج البلاغة" التي تعتمد على رافدين ثقافيين أضافا للنصّ دلالات واسعة أرادها " عليه السلام" لمناسبة الموقف الذي قيل فيه النصّ الخطابي، هما :

الأول : توظيف النصّ الديني، ويتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

الثاني : توظيف المرجعيّات الأدبيّة، والتأريخيّة، وتتمثل في الشعر العربيّ، والأمثال، والمرجعيّة التأريخيّة، والشخصية.

## المبحث الأول

التداخل النصي في الاستدلال ومؤثراته

أولاً : القرآنيّة .

ثانياً : الحديث النبويّ الشريف

## أولاً : القرآنية

تتسع دائرة المتغير اللفظي في الاصطلاح ليطال التناص مع القرآن، لكونه كشفًا نسقيًا لمرجعية مقدسة لكتاب الله تعالى ( القرآن الكريم )، وحل القرآن محلاً مرجعياً إبداعياً ينهل منه الأديب مادته الإنتاجية الإبداعية، فكان لا بد من أن يكون مصطلح (التناص مع القرآن) قائماً بذاته من دون إضافته إلى قسيم لفظي آخر، فكان من أحد الباحثين أن أسبغ على هذا المصطلح خصوصية التفرد، فأبدل مصطلح التناص القرآني بمصطلح القرآنية<sup>(1)</sup>، وهي : " آية من الآيات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى والأنساق بنية وإيقاعاً بحسب سياق القرآن الكريم " (2) .

فالنص الديني لا يأخذ قيمته لكونه نصاً، أو لغة إنسانية، أو مجرد عمل أدبي فقط، وإنما تتماس مع روح أخرى هي روح الإيمان، أو روح الاعتقاد، تلك التي تشبع النص بمدلولات نفسية وعاطفية، ورموز ومخايل، ومعانٍ قيمية ترقد في ذاكرة الناس<sup>(3)</sup>.

وتتوزع ظواهر التناص في نهج البلاغة على محاور عدة لكلٍ منها أثره في إنتاج الدلالة، وبأشكال مختلفة بحيث تتفاعل هذه المحاور مع الأشكال التي جاءت عليها، فتسبغ على التناص طبيعة داخلية ( مستترة )، أو خارجية ( ظاهرة ) في الوقت نفسه .

والكشف الإحصائي لنصوص "نهج البلاغة": " يكشف عن الآيات القرآنية التي جاءت بهذا الكم، وتمثل تراكمًا لعملية التناص، وبها يتسنع مداها التأثيري في تداخل أكثر من آية في

(1) : ويعتمد ترجيح مصطلح ( القرآنية ) على المصطلحات الأخرى لدى الباحث بالأمر الآتية : " يدلل مصطلح التناص على ثنائية مفاهيمه من جهة "الأخذ والمأخوذ " الأمر الذي يحدث لبساً عند بعض المتألفين أو أضفناه إلى ( القرآن ) إذ يدلل على أنّ المأخوذ هو القرآن ، كما يصح أن يكون الأخذ أيضاً ، والاستحالة الاتفاق مع الغرض الثاني أعرضنا عن هذا الاصطلاح وأن نستبدل به مصطلحاً جديداً . سعى نقادنا القدامى وجملة من النقاد المحدثين إلى تمييز الأخذ من القرآن الكريم والإفادة منه بمصطلحات تدل عليه ، كما اختلف القدامى في تلك الاصطلاحات فبعضهم ميزه بالافتباس أو التضمين ، في حين أدخله بعضهم في خانة السرقة ..... وجرياً على ذاتية التمييز تلك سعينا لاجتراح مصطلح القرآنية لتمييز عملية الأخذ والإفادة من القرآن من سواها .

أما مصطلحنا الثالث فلا غبار عليه من جهة الكم ، فهو عبارة عن لفظة ، ومن جهة الصوغ ، فهو مبني على القواعد اللغوية الصحيحة ، فضلاً عن دلالاته الذاتية على مفهوم المصاغ من أجله " تأصيل النصّ قراءة في أيديولوجيا التناص : 168 - 169 . وينظر: القرآنية في شعر الرواد في العراق، إحسان محمد جواد حاجم التميمي، رسالة ماجستير، بإشراف د. ابتسام مرهون الصفار، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2000م ، والقرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي، مجلة جامعة أهل البيت، العدد6، السنة الثالثة، 1429هـ/2008م، والقرآنية في نهج البلاغة، علي ذياب، بحث مقبول للنشر في مجلة آداب المستنصرية، 2009م.

(2) تأصيل النصّ قراءة في أيديولوجيا التناص: 170 .

(3) سلطة النصّ قراءة في توظيف النص الديني: عبد الهادي عبد الرحمن، دار الانتشار العربي، ط2، 1998م: 89 - 90 .

النصّ الخطابيّ الواحد، وهو ما يضيف إلى هذا النوع أهميّة خاصّة يستطيع القارئ، أو المخاطب إدراكها بالمؤدّي القصديّ للإمام "عليه السلام"، بأنّه يعتمد على القرآن الكريم منهلاً ثقافياً أشبع به "عليه السلام"، وفيه نتلمّس التزامه الشرعيّ، وبالنصّ الإلهيّ المحمديّ، فضلاً عن قدرته على حفظ هذا الأثر العظيم، وبثّ الوعي عند المخاطب .

ويمثل هذا النوع التناصّي عند الإمام "عليه السلام" أهميّة كبيرة لدوره الوظيفيّ، لا على نسبه الترددية فحسب، وذلك بهيمنة الصياغة القرآنيّة على النصّ؛ فيبلغ بها أعلى مستوىّ قيميّ بعد القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، ويمكن تحديد معالم هذا البحث على الأقسام الآتي نصّها :

## 1. المرونة والتأثر بالبنية القرآنيّة .

يلخص عبد الهادي عبد الرحمن البنية القرآنيّة بقوله إنّها: "عدّة بنيات مركّبة، وليست بنية واحدة، وكلّ بنية مركّبة تتألف من وحدات أصغر هي الآيات. الآيات هي آيات ليست شعراً، وإن اقتربت أحياناً من الشعر، وليست نثراً، وإن اقتربت أحياناً من النثر تميزها نهايات مسجوعة، وبالوصول إلى هذه النهايات نستطيع أن نقول بأن بنية لغويّة مركّبة قد انتهت، لتبدأ بنية لغويّة مركّبة، بناءات(موضوعيّة) متعدّدة، يمكن تشبيهها بدوائر صغيرة، تلتصق دوائر أخرى، ثمّ في النهاية يحصرها جميعاً إطار لغويّ واحد يبدأ بالنهاية المسجوعة، وينتهي عندها أيضاً، وتبدو السور الكبار، وكأنّها تشكل بنى دائرية صغيرة وكبيرة في آن واحد عكس كثيراً في النصوص الأدبيّة من مسرح ورواية وشعر، حيث يتصاعد النصّ متوتراً إلى أن يلقي بحجمه في إطار الضغط المتناميّ ثمّ التفريغ؛ أي إنّهُ يكون نصّاً(مستقيماً أو طولي البنية) إن جاز التعبير".<sup>(1)</sup>

ويُستدلّ على توظيف الإمام "عليه السلام" للنصّ القرآنيّ في مواضع مختلفة من النصّ الخطابيّ، فقد تأتي الآية القرآنيّة، أو التركيب المقطع في مستهلّ النصّ الخطابيّ، أو يضمّنّها في وسطه، أو ينتهي بها خطابه "عليه السلام" وبعد الاستقراء لنصوصه "عليه السلام" وُجِدَ أنّ القرآنيّة قد أخذت محلاً ظاهراً على مستوى موضوع الاستدلال في مستهلّ النصّ الخطابيّ، أو مستوى بنيته الرئيسيّة، أو وظيفته ؛ وهي كالآتي :

(1) سلطة النص: 92.

## أ . بنية الاستهلال :

تقوم في نصوص "نهج البلاغة" مقام العنوان للنص الخطابي، إذ تكشف عن دلالاته وتبين مرامييه، وقد أثار عن النقاد ما للعنوان أو مقدّمة النص من أثر كبير في كشف مرامييه، وأولى الإمام "عليه السلام" هذه الاستهلالات النصّية أهميّة كبيرة توضح ذلك بتقديم بعض نصوصه الخطابية آيات من القرآن الكريم؛ فتكون بمثابة عنوان يقوم عليه النصّ الخطابيّ بأكمله، ومرة أخرى كان يقدّم فقرة، أو فقرتين من الكلام، ثمّ يذكر آية، أو آيتين من القرآن الكريم فتلتحم تلك الفقرات الأولى في أنساق النصّ مع دلالة آيات القرآن الكريم؛ لتكوّن استهلالاً يقوم عليه النصّ الخطابيّ، ومن ذلك في خطبته "عليه السلام" بعد تلاوته قوله تعالى : "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ"<sup>(1)</sup>، فكان هذا الاستهلال بالآية الكريمة يكشف عن مؤداهها في أداء وظيفتها التذكيريّة، وهي تؤكد موضوع الاستدلال في النصّ الخطابيّ في (انشغال القوم بأمور دنياهم)؛ إذ احتجّ بها "عليه السلام" على القوم ببنية الاستفهام الإنكاريّ التي جاءت مفسّرة للآية الكريمة بالأنساق الآتية :

" أفبمصارع آبائهم يفخرون " (2) بنية تفسيريّة للآية " حتى زرتم المقابر "

" أم بعيد الهلكى يتكاثرون " (3) بنية تفسيريّة للآية " ألهاكم التكاثر "

تعكس بنية الاستهلال بالآية الكريمة مرجعيّة الإمام "عليه السلام" الدينيّة الثابتة؛ وهي المرجعيّة الأكبر التي يستقي منها "عليه السلام" علمه، واعتمد عليها "سلام الله عليه" بنى احتجاجيّة في إفهام القوم .

وفي نصّ خطبته "عليه السلام" بعد تلاوته قوله تعالى : "رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ"<sup>(4)</sup> .

فمن المميّزات الأسلوبية في النصّ الخطابيّ؛ مانجده قد ارتكز بناؤه بأكمله على الآية الكريمة التي استهلّ بها خطابه، وهي تمثل موضوعاً للاستدلال في الانشغال بذكرالله تعالى، فجاءت الآية مؤدّية وظيفيّة تفسيريّة بعدها محرّكاً لأنساق النصّ الخطابيّ باتجاه التفسير

(1) سورة التكاثر: الآية/1 - 2.

(2) نهج البلاغة : خ 218 / 456 .

(3) المصدر نفسه .

(4) سورة النور : الآية/37:

والتشخيص، فكان ( ذكر الله ) تفسرها بنية " أن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب"<sup>(1)</sup>، وقدم الإمام "عليه السلام" تفسير مفردة الذكر لخصوصيتها وأهميتها .

ثم شخص "عليه السلام" رجال لا تلهيهم تجارة، ولا بيع ببنية الخطاب " عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم " (2) .

وفي نص خطابي آخر بعد تلاوته "عليه السلام" قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ"<sup>(3)</sup>، وهي تمثل موضوعاً للاستدلال في ( الاغترار بعبادة الله وسماحته ) .

إن المؤدى القصدى للآية الكريمة في النص الخطابي هو النصح والإرشاد التي يؤديها الاستفهام في أنساق كلام الإمام "عليه السلام" في قوله:

" ما جرأك على ذنبك، وما غرّبك برّبك، وما انسك بهلكة نفسك " (4) .

وفي نص حكمته "عليه السلام" وسمع رجلاً يقول : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) فقال "عليه السلام": " إن قولنا ( إنا لله ) إقرار على أنفسنا بالملك ، وقولنا ( وإنا إليه راجعون ) إقرار على أنفسنا بالهلك " (5) .

إن بنية النص الخطابي:

يمثل

( إنا لله ) ← الإقرار بالملك

يمثل

( وإنا إليه راجعون ) ← الإقرار بالهلك

وتأتي (اللام) التي تعيد الملك في ( لله ) وإلى في ( إليه ) موضوعاً للاستدلال .

وفي الآية الكريمة التي استهلّ بها النص:

(1) نهج البلاغة : خ 219 / 462

(2) نهج البلاغة : خ 219 / 462 .

(3) سورة الانفطار : الآية / 6 .

(4) نهج البلاغة : خ 220 / 464 .

(5) المصدر نفسه : ح 99 / 646

"فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) ؟ و (أَنَّى تُؤْفَكُونَ)! وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مُنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِترَةٌ نَبِيِّكُمْ؟"(1).

وهذا كلام منقطع عما قبله مثلما أشار إلى ذلك ابن أبي الحديد في شرحه موضوع آخر: " لأنّ الشريف الرضي رحمه الله كان يلتقط الفصول التي في الطبقة العليا من الفصاحة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيذكرها، ويتخطى ما قبلها وما بعدها " (2) .

تؤدّي الآيتان الكريمتان وظيفة احتجاجية في النصّ الخطابي وموطن الحجّة وضّحها الإمام "عليه السلام" في سبيل الهداية القائمة بعترّة النبي؛ وهو موضوع الاستدلال .

وتأتي القرآنية في النصّ بعد فقرة، أو فقرتين، ولا يؤثر مجيؤها بهذا النحو على أنّها مستهلّ النصّ، وموضوع استدلاله، وفي احتجاج القوم بكثرة المال والبنين في قوله "عليه السلام" :

" وأما الأغنياء من فرقة الأمم، فتعصّبوا آثار مواقع النعم، فقالوا: ( نحن أكثر أموالاً وأولاداً ) وما نحن بمعذبين " (3) .

وبذلك فإنّ القرآنية مثلت مقاماً مؤثراً في الاستدلال بموضوع النصّ، ومنبعاً تراً للنصّ الخطابي عند الإمام "عليه السلام" بما ينسجم وأنساق الآية المنتخبة .

ب . بنية النصّ الرئيس .

عني الإمام "عليه السلام" بتضمين الآيات القرآنية ببنية النصّ الرئيس في أوائله وأواسطه، وفي نصوص أخرى تأتي الآية الكريمة في نهاية النصّ، وقد اختتم "عليه السلام" النصّ الخطابي بآية قرآنية في أكثر من موضع .

ففي قوله "عليه السلام":

"فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِّلْسُخْطَةِ، وَاسْتِثْمَاماً لِّلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِّلْعِدَّةِ، فَقَالَ: (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)، ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْعَدَ فِيهَا عَيْشَهُ"(4)

ترتكز بنية المرجعية التناصية في النصّ الخطابي على النحو الآتي:

(1) نهج البلاغة: خ 86 / 182 ، ويتضمن الآية/26 من سورة التكويفي النصّ القرآني" فأين تذهبون " والآية/95 من سورة الأنعام، والآية/34 من سورة يونس، والآية/3 من سورة فاطر، والآية/62 من سورة غافر في النصّ القرآني" أنى تؤفكون".

(2) شرح نهج البلاغة : 7 / 188 ، لذا نقول إنّ ما ذكر من قول الإمام ( عليه السلام ) هو بداية نصّ منقطع عما قبله في النصّ الخطابي لتكون الآية مستهلاً للنصّ .

(3) نهج البلاغة:خ405/189.

(4) المصدر نفسه : خ 1 / 42 ، ويتضمن الآية/38 من سورة الحجر، والآية/81 من سورة ص.

( فأعطاه ... النظرة ) مع : ( إنك لمن المنظرين )

وبنية ( استحقاقاً ، واستتماماً ، وإنجازاً ) مع ( إلى وقت اليوم المعلوم )

فتكون بنية النصّ القرآنيّ محدّدة لحركة إبليس الزمنية المرصودة من الله سبحانه في متن النصّ الخطابيّ، لينهي "عليه السلام" بعرض حال آدم، وتحذيره من عداوة إبليس.

فربطت الآية الكريمة بين حركة آدم "عليه السلام" على الأرض، وفعل إبليس المنظور من لدن الله سبحانه في أنساق العلاقات الكلاميّة في النصّ الخطابيّ، فكان مؤدّى القصد فيها بوظيفتها الإفهاميّة للمخاطب .

وفي متن نصّ خطابيّ آخر في نصوص "نهج البلاغة" تأتي آيتان تفضيان إلى معنيين ( الكمال ، والنسق الواحد )؛ إذ يكمل أحدهما الآخر في مؤدّاهما الاحتجاجي على ( ذمّ أهل الرأي ) في قوله "عليه السلام":

"تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ....، أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ!، ....، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)، ....، (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)، وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنْبِئُ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ"<sup>(1)</sup>

فهذا العدد من الآيات في موطن واحد؛ يُعدّ برهاناً يؤكد حجّة الإمام "عليه السلام" في إقناع المخاطب بفساد القياس على الرأي .

وفي نصّ آخر تتتابع ست آيات ارتبط بها النصّ بتواشج دلاليّ مع معنى الآيات، فضلاً عن النسق الكلاميّ، فقد اشتمل قول الإمام "عليه السلام" على صور بلاغيّة تتناغم والصور البلاغيّة في الآيات الكريمة في متن النصّ، فكانت وظيفة الآيات معللة ومفسّرة، ففي قوله "عليه السلام" :

" أَسْهَرُوا عِيُونَكُمْ وَاضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمَلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ " <sup>(2)</sup>

تتعلق دلاليّاً مع الآية الكريمة "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" <sup>(3)</sup> من حيث إن موارد طاعة الله في النصّ الخطابيّ في الأفعال ( أسهروا، أضمروا، استعملوا، أنفقوا ) التي تحتمل

(1) نهج البلاغة: خ 18 / 75 - 76 ، ويتضمن الآية/38 من سورة الأنعام، والآية/82 من سورة النساء.

(2) المصدر نفسه: خ 181 / 373 .

(3) سورة محمد : الآية/ 7 .

الإقبال على تحمّل المعاناة، والبذل في سبيل الله تعالى؛ فهي نصره الله سبحانه، ثم يكافئ الله تعالى عباده بنصرهم في الآية الكريمة .

وجاءت الآية الكريمة "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ" (1) مفسرة وموضحة للسياق النصّي الخطابي .

أما القرآنيّة في النصّ الخطابي: "وله جنود السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم" (2)، فيتضمن الآية الكريمة "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (3) وفي هذه المقام تتضح آية النصر، وتأتي القرآنية في النصّ:

"وله خزائن السماوات والأرض، وهو الغنيّ الحميد" (4)، ويتضمن الآية الكريمة " وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (5) توضح طريقة القرض "الغنيّ الحميد" (6)، وجاءت الآية الخامسة "يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (7) معللة ببنية النفي في النصّ الخطابي " فلم يستنصركم من ذلّ، ولم يستقرضكم من قلّ " (8)، وتؤدي الآية السادسة في ختام النصّ الخطابي "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (9) مؤكدة قول الإمام "عليه السلام": "فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره " (10) .

يأتي تتالي الآيات القرآنية في النصّ الخطابي الواحد التي تتوّعت فيها الدلالات؛ لتتعلق مع مؤدّى النصّ الخطابي؛ فهي تثري المعنى وتؤكد القصد في التأثير في المخاطب وتبين ما للإمام "عليه السلام" من علم غزير بكتاب الله تعالى، ونجد التتابع المباشر بين الآيات في قوله "عليه السلام":

"أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ، بُدِئْتَ (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ)، وَوَضِعْتَ (فِي قَرَارِ مَكِينٍ \* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) وَأَجَلَ مَقْسُومٍ" (11)

(1) سورة الحديد : الآية / 11 .

(2) نهج البلاغة: خ 373/181.

(3) سورة الفتح: الآية/ 7 .

(4) نهج البلاغة: خ 373/181.

(5) سورة المنافقون : الآية 7 .

(6) سورة الحج : الآية/ 64

(7) سورة هود : الآية/ 7 .

(8) نهج البلاغة : خ 373 / 181

(9) سورة الحديد: الآية/ 21.

(10) نهج البلاغة: خ 373/181.

(11) المصدر نفسه: خ 161 / 329- 330، ويتضمن الآيتين/ 21 و 22 من سورة المرسلات.

فيأتي هذا التتابع مكتفاً المعنى، ومؤكداً لحجة الإمام "عليه السلام" على القوم بهذه البنية الاحتجاجية التي تمثلها الآيات الكريمة في النصّ الخطابي .

وأخذت الآيات الكريمة محلاً في ختام النصّ الخطابيّ مؤكّدة خلاصة النصّ ونتائجه ، ففي قوله "عليه السلام" :

" قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفْتُ مَوَاقِعَ نِضَالِهَا فِي أُخِيكَ ، وَخَالِكَ ، وَجَدِّكَ ، وَأَهْلِكَ ، ( وما هي مِنَ الظَّالِمِينَ ببعيدٍ )"(1) .

يتضح في خاتمة النصّ الخطابيّ ما تدلّ عليه الآية الكريمة؛ وهو قرب الإيقاع بالظالمين وجاءت الآيات الكريمة في مواطن كثيرة، ومتنوعة في خاتمة النصّ الخطابيّ، إذ يتنوّع أداؤها الوظيفيّ بتنوّع تواجدها مع دلالة النصّ في قوله "عليه السلام":

"اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةَ عُرَاةٍ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالِدَارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)"(2) .

وترد الآية الكريمة : "وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْأَحْمَدُ"(3)، تحمل في مضمونها تحصيل الإجابة الإلهية للدعاء بحضور الفعل المضارع ( ينزل، وينشر ) الدالّ على وقوع الفعل واستمراره، وتتعلق الآية الكريمة بالنصّ الخطابيّ: " ندعوك حين قنط الأنام، ومنع الغمام .... وانشر علينا رحمتك " (4) .

وفي الآية الكريمة في خاتمة النصّ الخطابيّ : "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"(5) تحمل في مؤداها القصدية في النصّ الخطابيّ بنية احتجاجية يحتجّ بها الإمام "عليه السلام" على ما يصنع القوم في ابتعادهم عن الحقّ في قوله "عليه السلام" :

"وَجَدَّحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَرِبًا وَبَيْئًا، فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحْنُ الْبُلُوَى، أَحْمَلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَخْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى،"فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"(6) .

### ج . وظيفة البنية

(1) نهج البلاغة : ك 28 / 524 ، ويتضمن الآية/83 من سورة هود.

(2) المصدر نفسه : خ 110 / 247، ويتضمن الآية/104 من سورة الأنبياء.

(3) سورة الشورى: الآية/28.

(4) نهج البلاغة: خ 253/114.

(5) سورة فاطر : الآية/ 8 .

(6) نهج البلاغة : خ 160 / 327، ويتضمن الآية/8 من سورة فاطر.

ويمكن الوقوف على وظيفة البنية القرآنية في النصّ الخطابي بوصفها بنية امتدّت علاقاتها الدلالية في أنساق النصّ الخطابي، فكانت متعددة المعاني مختلفة الوظائف على وفق ترابطها الدلالي مع النصّ .

فقد استهلّ بها الإمام "عليه السلام" في عدد من نصوصه مرّة، وأخرى تكون في متون النصوص الخطابية، فتلج في دلالة النصّ مؤكّدة، ومفسرة له؛ لتشكل بنية (إبداعية/ قدسية)<sup>(1)</sup>، وتحلّ مرّة ثالثة في الخاتمة؛ لترجعه إلى موضوع الاستدلال في بدايته لتوثق وحدة النصّ وتكامله، وتتجه به لأداء وظيفتها في إقناع المخاطب .

## 2 . التقنيات القرآنية في نصوص "تهج البلاغة" .

يجري البحث في هذا الموطن في سبل تعامل الإمام "عليه السلام" مع آية القرآنية، واندماج النصّ معها؛ لتكون لبنة محرّكة وفاعلة في بنيات النصّ الخطابي، ويمكن الاستدلال عليها بالأشكال الآتية :

### أ . القرآنية المباشرة غير المحوّرة ( آية كاملة أو تركيب مقتطع من الآية ) .

يكثّر هذا النوع من القرآنية في نصوص نهج البلاغة، وقد برزها البحث في المبحث السابق؛ إذ إنّها متوزّعة على أنحاء النصّ الخطابي، وتأتي على شكل آية كاملة، أو على شكل تركيب مقتطع، وقد عرف في تراثنا الأدبي بـ ( الاقتباس )، وفيها تكون البنية التناسية محافظة على نسقها من غير إحداث تغيير لفظي أو دلالي، وتأتي فاعلية هذا الأخذ في دعم النصّ الخطابي، وتأكيد مصدر الاحتجاج الأوّل، وهو القرآن الكريم .

وتكمن وظيفة هذه التقنية المباشرة في تيسير استدلال المخاطب على مرجعية النصّ من دون صعوبة تذكر، فضلاً عن أدائها في: " تهوين عمليّة فك الشفرة النصيّة وإجراء المقاربة الدلالية بين النصّ الجديد ( الأخذ ) والنصّ القديم ( المأخوذ )؛ لتكون عمليّة إبلاغ النصّ واستقباله هينة لينة على المتلقين " (2) .

وقد ذكرت نماذج على سبيل الآية الكاملة في المبحث السابق، أمّا على سبيل التركيب المقتطع للآية الكريمة، فتمتاز بالكثرة، وهذه المقتطعات قد تأتي مناسبة مع مخزون الذاكرة التراثية للأديب، فقد جاء في أثناء نصّه الخطابي قوله "عليه السلام":

(1) بنظر: . تأصيل النصّ قراءة في إيديولوجيا النصّ : 181  
(2) تأصيل النصّ قراءة في إيديولوجيا النصّ: 182.

"مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنَتْهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعَتْهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمَنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ (رَيْبَ الْمُنُونِ)"(1).

ورد التركيب المقتطع من الآيتين الكريمتين متعالقاً دلاليّاً مع بنية النصّ الخطابيّ، وكأنهما بناء واحد بوصفهما بنيتين احتجاجيّتين اعتمد عليهما الإمام "عليه السلام" لإقناع المخاطب بوجود هذا الصنف من الخلق الحسيّ .

جاء الاحتجاج بالمقطعين من القرآن الكريم في موطنين يختلف و طبيعة البشر في التكوين والسلوك .

ومثله قوله "عليه السلام":

"أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ، بُدِئْتَ (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) ، وَوُضِعْتَ (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)"(2).

يرد التركيبان المقتطعان من الآيتين متعالقين دلاليّاً، ومكملين للمعنى بوصفهما بنيتين احتجاجيّتين تؤكدان خطاب الإمام "عليه السلام" وجعله نصّاً يمتدّ لفظه بالنصّ القرآنيّ، وتتعشق دلالتها مع دلالة النصّ القرآنيّ في تصوير أمرين حسيّين بعيدة عن تصوّر المخاطب، وهذا نوع من "الاقتصاص الشكليّ والوظيفيّ على صعيد واحد" (3) .

وفي نصّ آخر يأتي التركيب المقتطع من الآية الكريمة في خاتمة النصّ الخطابيّ في قوله "عليه السلام" :

"أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) ، فَيَكُونُ النَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً."(4)

فجاء هذا التركيب المقتطع من الآية الكريمة بوصفه بنية تفسيرية تفهم المخاطب بما تقدّم من النصّ الخطابيّ .

ب . القرآنيّة المباشرة المحوّرة ( لفظي أو دلالي ) .

(1) نهج البلاغة : خ 108 / 238، ويتضمن الآية/8 من سورة السجدة في النصّ القرآنيّ "من ماء مهين"، والآية/30 من سورة الطور في النصّ القرآنيّ "ريب المنون".

(2) المصدر نفسه : خ 161 / 329 - 330 ، ويتضمن الآية/12 من سورة المؤمنون في النصّ القرآنيّ "من سلالة من طين"، والآية/21 من سورة المرسلات في النصّ القرآنيّ "في قرار مكين".

(3) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث : 166 .

(4) نهج البلاغة : خ 142 / 292 ، ويتضمن الآية/7 من سورة الكهف .

تقرب هذه التقنية مع نظيرتها السابقة من حيث التعامل مع البنية التناصية؛ لكنّ التعامل الإبداعِي يكون بالتحوير على مستوى اللفظ، أو على مستوى الدلالة على وفق غاية المبدع بتقاربها الشديد مع البنية القديمة، أو ابتعادها عنها بما يحقق أثر التناصية فيها، فعلى مستوى القرآنية المباشرة المحوِّرة لفظياً ما جاء في قوله "عليه السلام" :

"عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَبُوا إِلَىٰ جِهَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفِ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ"<sup>(1)</sup>

فتأتي القرآنية المباشرة المحوِّرة في المقطع التركيبي ( بشفا جرف هار ) مع المقطع التركيبي ( على شفا جرف هار ) في الآية الكريمة في قوله تعالى : "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"<sup>(2)</sup> .

فيأتي التغيير باختلاف حروف الجرّ، ففي بنية النصّ الخطابي ( بشفا ) تتّجه دلالاته إلى الوساطة التي بها يقع الهلاك، والآية الكريمة ( على شفا ) تتّجه دلالاته للموضع الذي يأتي بهلاك الإنسان .

ومثل ذلك قوله "عليه السلام" :

"أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَّواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَصُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَعَجَّلَهَا بَيْنَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً"<sup>(3)</sup> .

ويكون الاستدلال على القرآنية المباشرة المحوِّرة لفظياً في قوله "عليه السلام" :

"بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً" في قوله تعالى: "الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ"<sup>(4)</sup> .

بزيادة لفظة ( جعله ) ليؤكّد ( سلام الله عليه ) بها قداسة هذه الأحجار في ما تدلّ عليه من مضمون، وليس في مادتها المحسّنة .

وفي قوله "عليه السلام" :

(1) نهج البلاغة: خ 104 / 229 .

(2) سورة التوبة : الآية 109 .

(3) نهج البلاغة : خ 190 / 402 .

(4) سورة المائدة : الآية 97 .

" هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبأديها ، وربيعه حاضرها وبأديها ، أنهم على كتاب الله ، .... ، ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ، إن عهد الله كان مسؤولاً " (1)

وضحت القرآنية في بنية التركيب للنص الخطابى "إن عهد الله كان مسؤولاً" مع الآية الكريمة في قوله تعالى : "وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا" (2) ، ويأتي موطن التحوير بورود ( إن ) بدلاً من ( كان ) ؛ ليؤكد بها ميثاق القوم على ما تعاهدوا عليه .

أما على مستوى القرآنية المحورة دلاليًا؛ فقد جاء في قوله "عليه السلام" في عجيب صفة الكون:

" وكان من اقتدار جبروته ، وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف ، يابساً جامداً ، ثم فطر منه أطباقاً ، ... ، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها ، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها ، فجعلها لخلقه مهاداً ، وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي ركد لا يجري " (3) .

فبنية الخطاب ( وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي ركد لا يجري ) تتعشق دلالتها مع الآية الكريمة في قوله تعالى: "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ" (4)

في تقريب تصوير الإمام "عليه السلام" للصنع الإلهي للجبل في شخوصه فوق مساحة مائية من كثرة ركودها لا تجري مع ما صور الله تعالى في التشبيه التمثيلي للظلمات في بحر لجي، وكأنها أجسام شاخصة بفقية الأمواج على بعضها والسحاب، وجاء تقريب تصوير الإمام "عليه السلام" للركود في نصه الخطابى للعتمة الحالكة التي تمنع الإنسان من رؤية يده، وتقارب هذه العتمة مع حجب الهداية عن ( لم يجعل الله له نورا ) في النص القرآني .

وفي سياق الحكمة في قوله "عليه السلام" :

" مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعًا ؛ مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ القَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاستِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ المغْفرةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ" (5) .

وقد أشار الشريف الرضي لذلك التعليق الدلالي (1)، فيكون أثر القرآنية في الدعاء في قوله تعالى : "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (2) .

(1) نهج البلاغة : خ 190 / 402 .

(2) سورة الأحزاب : الآية / 15 .

(3) نهج البلاغة : خ 109 / 442 - 444 .

(4) سورة النور : الآية / 40 .

(5) نهج البلاغة : ح 136 / 657 .

بنية الخطاب      فتقابل      الآية الكريمة  
الإجابة      ←      أستجب لكم

وفي التوبة في قوله تعالى : "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" (3) .

فيكون التقابل كالاتي بيانه :

بنية الخطاب      تقابل      الآية الكريمة  
التوبة      ←      القبول

وفي الاستغفار في قوله تعالى : "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا" (4) فيكون التقابل كالاتي :

بنية الخطاب      تقابل      الآية الكريمة  
فعل الاستغفار      ←      تحقق المغفرة

وفي الشكر قوله تعالى : "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (5) فيكون التقابل كالاتي :

بنية الخطاب      تقابل      الآية الكريمة  
فعل الشكر      ←      الزيادة

ج . القرآنيّة غير المباشرة المحوّرة .

(1)المصدر نفسه:ج136/ 657- 658.

(2) سورة غافر : الآية/ 60 .

(3) سورة النساء : الآية/ 17 .

(4) سورة النساء: الآية/110.

(5) سورة إبراهيم: الآية/7.

إنَّ أهمَّ ما يميز هذه التقنيَّة سلطة إنتاجيَّة النصِّ؛ إذ إنَّها تتمايز من حيث الإبداع على وفق إبداع المنتج في أنساقه اللغويَّة الجديدة، والرؤيَّة الخاصَّة به التي تعتمد على بعض الإشارات في النصِّ المغيَّب؛ إذ يكتسب المبدع حقَّ ذلك الإبداع، و: " يصعب على غير القارئ الأنموذجيِّ رصد هذا الأخذ الإبداعيِّ، إذ لا يتهيأ له الكشف إلا بعد لأي " (1) .

ويمتاز هذا الأخذ بمقدرة كبيرة على التكثيف والإيجاز والدقَّة؛ لأنَّه يعتمد على الإشارة بمفردة، أو تركيب على مستوى التعامل اللفظيِّ / الدلاليِّ حيث تثيران وجدان المتلقي، ومشاعره، فيكسب النصِّ خاصيَّته القرآنيَّة التي تأتي من طبيعته الإشاريَّة الشموليَّة (2) .

وسمي أيضا بالتناص المستتر (3) ، و: " تعد هذه التقنيَّة من أرقى أساليب التعامل الإبداعيِّ مع النصوص " (4) .

وقد كثر هذا النوع من الأخذ في نصوص " نهج البلاغة" ، ففي قوله " عليه السلام":

"اليَوْمَ أُنطِقُ لَكُمْ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ! عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيئُهُ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَالِ وَدَوْلِ الصَّلَالِ" (5) .

يكون الاستدلال بلفظة ( خيفة ) على كفيَّة توظيف الإمام " عليه السلام" لقصة موسى " عليه السلام" في نصِّه الخطابيِّ، فقد اجتلب الإمام " عليه السلام" المتضادَّ مع موقف النبيِّ موسى في دلالة النصِّ القرآنيِّ: " فأوجس في نفسه خيفة موسى "؛ إذ رموه بالخيفة، وتلقني دلالتنا النصِّين الخطابيِّ والقرآنيِّ في الخوف من غلبة الباطل خلاف ما كان يظن به " عليه السلام" بأنَّه يخاف على نفسه .

وفي نصِّ آخر في قوله " عليه السلام":

"إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي عَمْرَةٍ، وَمِنَ الدُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ" (6) .

(1) تأصيل النص قراءة في إيديولوجيا التناص: 183 .

(2) ينظر: قراءات أسلوبية في الشعر الحديث : 165 .

(3) ينظر: قراءات في الأدب والنقد : 77 .

(4) تأصيل النص قراءة في إيديولوجيا التناص : 183 .

(5) نهج البلاغة : خ 4 / 59 - 60 .

(6) نهج البلاغة: خ 34 / 105 .

تأتي مفردة ( فتعمهون ) من الإشارات اللفظية القرآنية في النصّ الخطابي بوصفها مصدراً من مصادر أدلة الاستدلال ( انخزال القوم وتقاعسهم عن الجهاد ) فتحرك النصّ الخطابي باتجاه النسق القرآني في الآية الكريمة في قوله تعالى : "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ" (1)، فقارب "عليه السلام" بين موقف القوم منه بموقف القوم من الرسول في الخطاب القرآني الموجه إليه، وقد تكررت لفظة (يَعْمَهُونَ) في مواضع متعددة من القرآن الكريم بالمعنى نفسه (2).

وترد لفظة القاصمة في قوله "عليه السلام":

"ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الرَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ" (3).

ولفظة ( يقصم ) في قوله "عليه السلام" :

" أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقْصِمِ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمٌ أَحَدًا مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أْزَلٍ وَبِلَاءٍ " (4) .

ويكون الاستدلال بهاتين اللفظتين في النصين الخطابين على لفظة ( قصم ) في الآية الكريمة في قوله تعالى : "وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ" (5) .

وقد توافقت دلالة النصين الخطابين مع ما تدلّ عليه اللفظة في النصّ القرآني؛ وهو الهلاك لكونه يتناسب مع فناء الماديات، وهم أهل القرية في الآية الكريمة، والجبارون في النصّ الخطابي، والهلاك الناتج أثر فعل الفتنة في أهلها .

ونجد هذه التقنية على نحو أوسع في تركيب النصّ القرآني، واندماجه بالنصّ الخطابي مكونة بنية نصية واحدة على مستوى اللفظ والدلالة، فقد اجتمع الأخذ على المستويين في قوله "عليه السلام" : " (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا)، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَرُحِرْخُوا عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ" (6)

(1) سورة الحجر : الآية/ 72 .

(2) ينظر : من سورة البقرة : الآية/ 15 ، ومن سورة الأنعام : الآية/ 110 ، ومن سورة الأعراف : الآية/ 186 ، ومن سورة يونس : الآية/ 11 ، ومن سورة المؤمنون : الآية/ 75 ، ومن سورة النمل : الآية/ 4 .

(3) نهج البلاغة : خ 149 / 302 .

(4) المصدر نفسه : خ 87 / 183 .

(5) سورة الأنبياء : الآية/ 11 .

(6) نهج البلاغة : خ 188 / 389 ، ويتضمن الآية/73 من سورة الزمر .

فيأتي الاستدلال في الإشارة اللفظية في بنية النصّ الخطابيّ ( وزحروا عن النار ) بتعالقها الدلاليّ مع بنية النصّ القرآنيّ "فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ"<sup>(1)</sup> وتوافقهما في تخصيص بنية الخطاب بالمتقين من العباد، فجاءت هذه الإشارة لإكساب النصّ الخطابيّ السمة القرآنية المؤكدة لخطاب الإمام "عليه السلام".

ويأتي الشقّ الآخر من قوله "عليه السلام" ( واطمأنت بهم الدار ) متعلقاً دلاليّاً مع النصّ الآخر في الآية "وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ"<sup>(2)</sup>، فلا يكون الاطمئنان إلا مع الدار الآخرة وهي الجنة، فيكون هذا التعالق كالاتي :

اطمأنت	تقابل	" فقد فاز "
الدار	تقابل	" وأدخل الجنة "

فتكون فاعلية التعالق الدلاليّ بين النصّين معضداً للمعنى، ومؤكداً له في إقناع المخاطب في إرجاعه إلى كلام الله الموثوق. ويكثر الأخذ الدلاليّ في نصوص نهج البلاغة، فيمكن الاستدلال به على مقدرة الإمام "عليه السلام" في انسياب اللفظ وتقليبه، ومن ذلك تأتي الإشارة التركيبية في النصّ الخطابيّ في قوله "عليه السلام":

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّبَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَعَدَا السِّبَاقَ، وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ، وَالغَايَةَ النَّارَ"<sup>(3)</sup> .

ويأتي الاستدلال ببنية الخطاب (والغاية النار) في تعالقها الدلاليّ مع المقطع التركيبيّ من الآية القرآنية في قوله تعالى : "قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ"<sup>(4)</sup> .

فما تشير إليه بنية التركيب الغاية النار، تكون دلالتها متحققة في المقطع التركيبيّ من الآية الكريمة (إلى النار).

وفي نصّ خطابيّ آخر في قوله "عليه السلام":

"أَيُّهَا النَّاسُ، اَلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصِّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الأَعْدَاءَ!"<sup>(5)</sup> .

(1) سورة آل عمران : الآية/ 185 .

(2) سورة آل عمران : الآية/ 185 .

(3) نهج البلاغة : خ 28 / 93

(4) سورة إبراهيم : الآية/ 30 .

(5) نهج البلاغة : خ 29 / 95 - 96 .

يكون الأثر القرآنيّ ببنية النصّ الخطابيّ في دلالاته الواضحة على ما ظهر في سلوك القوم من اجتماع، وما بطن في قلوبهم من هوىّ يؤدّي إلى فرقتهم في قوله تعالى : "تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى " (1) .

ويمكن الاستدلال على التعالق الدلاليّ المتجه نحو الذلّ والانحراف في المقطع التركيبيّ ( دارت أعينكم ) في النصّ الخطابيّ في قوله "عليه السلام" :

"إِذَا دَعَوْتَكُمْ إِلَىٰ جِهَادٍ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ الدُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ" (2) مع الآية الكريمة في قوله تعالى : "يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ" (3)، والآية الكريمة: "لَا يَزِيدُ الْإِيْمَةَ طَرْفُهُمْ" (4).

ويبدو التناصّ التركيبيّ في النصّ الخطابيّ : " واستعدوا للموت فقد أظلمكم " (5) في دلالاته على هيمنة الموت، وقربه من الإنسان مع الآية الكريمة في قوله تعالى : "لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ" (6) .

وفي نصّ آخر اجتمعت فيه القرآنيّة المباشرة المحوّرة، والقرآنيّة المباشرة غير المحوّرة، فيكون الاستدلال بها على طواعية اللغة عند الإمام "عليه السلام" وذلك في قوله "عليه السلام":

" إذا رجفت الراجفة وحقّت بجلائها القيامة " (7) ، فتتضح القرآنيّة المباشرة المحوّرة لفظياً في الشقّ الأوّل من بنية النصّ الخطابيّ مع الآية الكريمة في قوله تعالى : "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ" (8)، أو الشقّ الآخر من بنية النصّ الخطابيّ " وحقّت بجلائها القيامة "

فتتضح القرآنيّة غير المباشرة المحوّرة مع الآية الكريمة في قوله تعالى : "وَأَذِنتُ لِرَبِّيهَا وَحُقَّتْ" (9) لتثري الدلالة باتجاه التأثير في المخاطب وإقناعه .

ويخلص البحث الاستدلاليّ في أثر القرآنيّة المباشرة، والقرآنيّة المباشرة المحوّرة، والقرآنيّة غير المباشرة المحوّرة في النصّ الخطابيّ للإمام "عليه السلام" إلى ثرائه بثراء ثقافة الإمام القرآنيّة

(1) سورة الحشر : الآية/ 14 .

(2) نهج البلاغة : خ 34 / 105 .

(3) سورة الشورى : الآية/ 45 .

(4) سورة إبراهيم : الآية/ 43 .

(5) نهج البلاغة : خ 63 / 134 .

(6) سورة الزمر : الآية/ 16 .

(7) نهج البلاغة : خ 220 / 466 .

(8) سورة النازعات : الآية/ 6 .

(9) سورة الانشقاق : الآية/ 2 ، 5 .

بوصفها المرجع الأول له "عليه السلام" ، وفهمه الكامل "عليه السلام" للنصّ القرآنيّ بما غاب عن البشر على مستوى التعامل اللفظيّ، والدلاليّ في البنية التناصيّة .

لكنّه ( عليه السلام ) كان يكثر من ذكر الآية الكريمة بكاملها مباشرة، أو بمقطع تركيبّي غير محوّر لتقريبه من تلقي المخاطب، وقصديّته في إرجاعه للنصّ القرآنيّ في سبيل حفظه واعتماده منهاجاً وسلوكاً .

## ثانياً: الحديث النبوي الشريف .

توّعت منابع التناصّ الدينيّ في نصوص "نهج البلاغة" على مستوى القرآن الكريم، والسنة النبويّة المطهّرة .

فقد شغلت الأحاديث النبويّة في النصّ الخطابيّ حضوراً بنائياً ودلاليّاً، فكان الحضور الحديثيّ على مستوى النصّ المباشر، أو النصّ المباشر المحوّر، أو النصّ غير المباشر المحوّر؛ إذ يلج النصّ الخطابيّ في أثناء النصّ الحديثيّ؛ ليكون لحمّة واحدة، فعلى مستوى استهلال النصّ الخطابيّ بالحديث النبويّ الشريف جاء في قوله "عليه السلام:

" الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق " (1)

فقد استهلّت نصّ حكمته "عليه السلام" بمقطع تركيبّي متناصّ مع المقطع التركيبّي الأوّل من الحديث النبويّ الشريف تناصّاً تامّاً؛ ليكون نوعاً من التكرار الذي يفيد دلالة تأكيد النصّ في مفرداته الثلاث ( الحكمة / ضالة / المؤمن ) التي وردت في الحديث النبويّ الشريف في قوله ( صلى الله عليه وآله وسلّم ) : " الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها " (2) .

ومثل ذلك جاء في قوله "عليه السلام" :

" إنّ الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها ، وحدّد لكم حدوداً فلا تعتدوها ، ونهاكم عن أشياء فلا تنهكوها ، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكفّفوها " (3) .

تناصّ استهلال نصّ الحكمة مع الحديث النبويّ الشريف بكامله؛ لاقتضاء استكمال فهم المخاطب لجملة من الفرائض والحدود، والأمر والنهي كما ورد في الحديث النبويّ الشريف في قوله ( صلى الله عليه وآله وسلّم ) : " إنّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحدّد لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها " (4)

ومن التوظيف الحديثيّ في تناصّ قول الإمام "عليه السلام" تناصّاً يجمع بين المباشر المحوّر والمباشر غير المحوّر في المقطع التركيبّي قوله "عليه السلام" :

(1) نهج البلاغة : ح 80 / 642.

(2) الجامع الصحيح سنن الترمذي:محمّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(279هـ)، تح أحمد محمّد شاكر وآخرون،دار إحياء التراث العربي،بيروت : 5 / 51

(3) نهج البلاغة : ح 106 / 648 - 649 .

(4)سنن الدارقطني:عليّ بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي(385هـ)، تح السيد عبد الله هاشم يماني والمدني،دار المعرفة،بيروت،1386هـ-1966م : 4 / 297 .

" ولا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكلُ الإيمانَ، كما تأكلُ النارُ الحطبَ " (1) .

يمكن الاستدلال على توظيف الحديث النبوي الشريف في النصّ الخطابي في المقطع التركيبيّ الأوّل بمباشرة محوّرة، وذلك باستبدال لفظ الحسنات بلفظ الإيمان في النصّ الخطابي؛ لتكون الدلالة أعمّ تتناسب مع موضوع الاستدلال ( مطلق الإيمان )، وانتهى ( سلام الله عليه ) بتمثيل هذا الأكل بتناصّ تامّ مع ما ورد في حديث الرسول ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ )؛ ليكون توثيقاً، ومصدّقاً لقول الإمام " عليه السلام " بترسيخه في ذهن المخاطب بتعالقه التناصّي مع الحديث النبوي الشريف في قوله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) :

" إياكم والحسد فإنّ الحسد يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ " (2) .

ويأتي التناصّ في نصّ الإمام ( سلام الله عليه ) بمقطع تركيبّي تناصّاً في متن النصّ الخطابي في قوله " عليه السلام " :

" وفضلُ حُرْمَةِ المسلمِ على الحُرْمِ كُلِّهَا ، .... ، فالمسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونُ من لسانِهِ ويدهِ إلا بالحقِّ " (3) .

فيأتي توظيف المقطع التركيبيّ في النصّ الخطابي :

" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " وفي الحديث الشريف في قول الرسول ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " (4) .

فيلج التناصّ الحديثي في بنية النصّ الخطابي؛ ليكون أحمّة واحدة ذا دلالة أثّرت المعنى في بلوغ الوظيفة الإفهاميّة في النصّ الخطابي في قوله " عليه السلام ":

" العَيْنُ وكاءُ السَّهِّ " (5)

---

(1) نهج البلاغة : خ 85 / 179 .  
(2) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي(275هـ)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ب ت : 2 / 693 .  
(3) نهج البلاغة : خ 165 / 341 - 342 .  
(4) الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(256هـ)، تح د.مصطفى ديب النجاء، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ - 1987م : 1 / 13 .  
(5) نهج البلاغة : ح 459 / 729 .

وفي هذه البنية الخطابية يكون الاستدلال على توظيف حديث الرسول ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) بتناصّ تامّ مع المقطع التركيبيّ الأوّل من الحديث النبويّ الشريف في قوله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) : " العين وكاء السه ، فمن نام فليتوضأ " (1) .

وتأتي أهميّة هذا التناصّ في توجيه ذهن المخاطب لأهميّة دلالة النصّ بتهديب سلوك الإنسان بتكرار قول الرسول "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" من دون تحوير .

ويكثر توظيف الحديث النبويّ الشريف بالتناصّ المباشر المحوّر في مواطن عدّة من نصوص " نهج البلاغة" ، ومنها قوله " عليه السلام" :

وَعَيْنُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، لَا يَعْوجُّ فَيْقَامُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تُخْلِفُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ (2).

فيأتي توظيف الحديث النبويّ الشريف في قول الرسول "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" :

"كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، فهو حبل الله المتين، .. ولا يخلق عن كثرة الردّ ولا تنقضي عجائبه.. من قال به صدق ومن حكم به عدل" (3).

يشتمل النصّ الخطابيّ على ثلاثة أحاديث يتناصّ في اثنين منها تناصّاً مباشراً محوّراً، وفي الأخير يتناصّ تناصّاً مباشراً؛ وهي:

الحديث النبويّ الشريف	مباشر محوّر	1 - في النصّ الخطابيّ
"فهو حبل الله المتين"		فَأِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ
"ولا يخلق عن كثرة الردّ"	مباشر محوّر	2 - وَلَا تُخْلِفُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ

(1) سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني(275هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، د ب، د ت: 1 / 161 .

(2) نهج البلاغة: خ 312-313.

(3) سنن الدارمي: عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي(255هـ)، تح فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ: 526/2.

يتجلى أثر الفاعل الظاهر (كثرة) بالخطاب بما يتناسب و المخاطب الحاضر (بنية تفسيرية)

3 - مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ      تناصّ مباشر      "من قال به صدق"

"نتيجة استدلالية"      "نتيجة استدلالية"

وظيفة التناص

"تصديق لفظي تام للنتيجة الاستدلالية في النصّ الخطابي"

إنّ هذا التنوع في التناصّ الخطابيّ نتيجة التعدّد الحديثي الذي أثرى الدلالة في توظيف الحديث النبويّ في إبلاغ المخاطب بوظيفة الإقناع.

ويأتي التناصّ المباشر المحوّر في النصّ الخطابيّ في قوله "عليه السلام":

"فإنّه لا سواءً إمامُ الهدى وإمامُ الردى، ووليّ النّبىّ وعدوّ النّبىّ، ولقد قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: "إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً. أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كلّ منافق الجنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون" (1).

يمتاز هذا التوظيف الحديثي بأنّ الامام "عليه السلام" صرّح به عن حديث الرسول، ثمّ إنّه مثل بنية الخاتمة للنصّ الخطابي؛ ليرتكز بأكمله على قاعدة النصّ الحديثي في قول الرسول "صلّى الله عليه وآله وسلّم":

"إنّي لا أتخوف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً؛ أمّا المؤمن فيحجزه إيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه كفره، ولكنّي أتخوف عليهم منافقاً عالم اللسان يقول ما يعرفون ويعمل ما ينكرون" (2).

(1) نهج البلاغة: ك 518/27.

(2) المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (360هـ)، تح طارق بن عوض الله بن محمد عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة 1415هـ: 127/7.

فوق التحوير في

النص الخطابي	تغير لفظي	الحديث النبوي الشريف
(فيمنعه)		(فيحجزه)
(فيقمه الله بشركه)	تغير الفاعل	(فيقمه كفرة)
يفعل	تغير لفظي	(يعمل)

وفي مواطن أخرى من النص الخطابي في نصوص "نهج البلاغة" يكتف الإمام "عليه السلام" من ردف نصه بالأحاديث الشريفة؛ فيشكلها بمتون خطابه، ويختم بها نصه، فيلج في أثناء الحديث الشريف؛ ليكون نسيجاً واحداً ينهلان من المصدر ذاته، وهو القرآن الكريم، ومثل ذلك في قوله "عليه السلام":

"انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوْعِظِ اللَّهِ، .. وَبَيِّنْ لَكُمْ مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِنَتَّبِعُوا هَذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»<sup>(1)</sup>.

فجاء التناص مباشرة محوراً بتقديم الجنة على حقت، وتقديم النار على حقت لغرض التخصيص، وترغيب المخاطب، وترهيبه، مما هو في الحديث الشريف "حقت الجنة بالمكاره وحقت النار بالشهوات"<sup>(2)</sup>.

وفي النص الخطابي نفسه يأتي التناص التام في قول الامام "عليه السلام":

"أَنَّ لَكُمْ نَهَايَةً، فَانْتَهُوا إِلَى نَهَايَتِكُمْ"<sup>(3)</sup>

مع المقطع التركيبي من الحديث النبوي الشريف بالنص ذاته<sup>(4)</sup>.

(1) نهج البلاغة: خ 352/174.

(2) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (261هـ)، تح وتعليق محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ت، 4 / 2174.

(3) نهج البلاغة: خ 354 / 174.

(4) ينظر: شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، تح محيي السعيد بسبوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410 هـ 360/7.

ويأتي التناص في خاتمة النصّ الخطابي؛ بقوله "عليه السلام":

"أيّها الناس! طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس" (1).

فيكون الاستدلال على توظيف المقطع التركيبيّ من الحديث النبويّ الشريف بتناصه التامّ في قول الرسول "صلّى الله عليه وآله وسلّم":

"أيّها الناس كأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الموت على غيرنا كتب، وكأنّ الذي يشيع من الأموات سفر عمّا إلينا راجعون.. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق مالاّ كسبه في غير معصيته" (2).

ونخلص من ذلك إلى أنّ التوظيف الحديثيّ في نصوص "نهج البلاغة" لم يقل عن قرآنيّة الخطاب عدداً وتنوّعاً لأمرين؛ أولهما: في جعل القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف المصدرين الأكبرين عند الإمام "عليه السلام"، وثانيهما: في توظيفهما بوصفهما بنيات احتجاجيّة وإبلاغيّة؛ يستدلّ بها على تأكيد المعنى، وإثراء دلالة النصّ الخطابيّ العلويّ.

---

(1) نهج البلاغة : خ 357 / 174.

(2) شعب الايمان : 355/7.

## المبحث الثاني

توظيف المرجعيّات الأدبيّة والتأريخيّة.

## أولاً: الشعر

كان لشعرالعرب حضور واضح في نصوص "تهج البلاغة"؛ إذ يشكل الشعر مصدراً من مصادر الاستدلال والاحتجاج؛ فضلاً عن وقعه في نفوس المتلقين.

ومن الملامح المهمة لهذا التوظيف، قلّته، فلم يكن الإمام "عليه السلام" مريداً لاستنكار هذا الشعر على سبيل الضرورة، وجلب الانتباه إليه، وبما كان الإمام "عليه السلام" يصوّر حادثة مشابهة؛ كانت قد مرّت به، يأتي بالبيت الشعريّ لتقريب المفهوم، ولما اعتاد خطباء العرب التمثيل به، وفي بعض الأبيات يقتصر على صدر البيت، أو عجزه بمقتضى شموله لدلالة موضوع النصّ.

ويعدُّ الشعر العربيّ من مكونات خزين الإمام "عليه السلام" الثقافيّ، وفي بعض ما يذكره "عليه السلام" من الأبيات يكتفي بذكر اسم الشاعر، أو من يذكر في البيت الشعريّ؛ لصلته بموضوع النصّ، وإذا لم تكن تلك الصلة؛ فيحجم عن قول اسمه لبيان غايته من الموضوع، وليست نسبة ما يريد "عليه السلام":

ويأتي ذكر الأبيات الشعريّة على طريقتين، أولاهما: التوظيف الشعريّ المباشر؛ وذلك بذكر البيت الشعريّ، أو مقطع مباشر منه صراحة، والثانية: التوظيف الشعريّ غير المباشر باعتماد الأسلبة؛ أي إعادة صياغته للفكرة بطريقة ما.

### 1 - التوظيف الشعريّ المباشر.

ومن أمثلة الطريقة الأولى في قوله "عليه السلام":

"أما والله لقد تَمَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا،... أرى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَذَلِّي بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَهُ (ثم تمثل بقول الأعشى):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقْبِلُهَا فِي حَيَاتِهِ"<sup>(1)</sup>.

(1) نهج البلاغة: خ 51/3-53، وبضمنه البيت الشعري للأعشى الكبير: ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، تح د. محمّد محي حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1950م: 147.

يكون الاستدلال بتوظيف هذا البيت الشعريّ للأعشى في موضوع النصّ الخطابيّ، وهو سلب حقّ الإمام "عليه السلام" في الخلافة، وقد ركب الصعاب في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وصارت نهباً لآخرين كانوا في رغد من العيش، فكان التقريب بهذا البيت الشعريّ بتوظيف مباشر؛ لدلالته المباشرة التي كان يفهمها المأ في عصره، وعلى النحو الآتي:

### يَوْمِي عَلَى كُورِهَا

### شَتَّانَ مَا

وفيها دلالة (خلاصة مسيرة الإمام (ع) من

(حركة زمنية + حركة سلوكية مؤطرة بالمعاناة والتعب) "وأنا في الهاجرة والرمضاء، أسير على كور

هذه الناقة<sup>(1)</sup> تقرب الى ذهن المخاطب.

رحلة الامام (ع) القاسية في حمل لواء

الإسلام ونشره والمحافظة عليه:

(تعب، كفاح، عناء، ظلم، معصية الرعية، حق الوصاية المسلوب)

### وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

"وكان حيان صاحب شراب ومعاقر خمر."<sup>(2)</sup>

تقرب إلى ذهن المخاطب (المساحة المعيشة  
الرحبة والمرفهة التي يعيشها)

وتمتاز مقدرة الإمام "عليه السلام" بتوظيف هذا البيت الشعريّ بما ينطوي على دلالات تقترب بذهن المخاطب من قصديّة الإمام "عليه السلام" بين مسيرته الصعبة في حمل لواء الإسلام، وحقّه المسلوب، وبين آخذي هذا الحقّ، وهم في سعة عيش رغدة، فالتوظيف الشعريّ هنا قرّب المفهوم لدى المخاطب من تلك المعاناة، وذلك الاضطهاد.

ومثل هذا المعنى يأتي في التوظيف المباشر للبيت الشعريّ الآخر في نصّه الخطبة "عليه

السلام" يقول:

(1) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 167/1.

(2) المصدر نفسه: 167/1.

" أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الِانْجَرِبِ ثَوْرَثُ الْحَسْرَةِ، وَتُعْقَبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، فَأَبِيئْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الِانْجَرِبِينَ الْجُفَاءِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ. كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمْرُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى \* فَلَمْ تَسْتَبِيئُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ " (1).

يأتي موضوع الاستدلال في النصّ الخطابِيّ (عدم طاعة وليّ الأمر الإمام "عليه السلام")، هو مناسبة ذكر البيت الشعريّ؛ فيقع التعالق النصّيّ الدلاليّ في البنى الآتية:

بنية النصّ الشعريّ

أَمْرُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى  
موضع النصّح

بنية الخطاب

"أَمْرُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي"  
موضع النصّح

فَلَمْ تَسْتَبِيئُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

بيان قيمة النصّح

بعد (الغدر بالمنصوح) (جذيمة)

"فَأَبِيئْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الِانْجَرِبِينَ الْجُفَاءِ"

عصيان تامّ توصّحت نتائجه

بنتيجة البيت الشعريّ

اتّضحت أهميّة التناصّ الشعريّ في هذا المقام بإيجاد دفقة شعوريّة تهزّ المخاطب باتجاه نتائج العصيان؛ وذلك بتذكيرهم بمواقف مماثلة قد مرّوا بها، أو سمعوها، وهنا يتجه التوظيف الشعريّ باتجاه وظيفته التذكيريّة في النصّ الخطابِيّ. ويأتي التعالق النصّيّ للشعر على نحو آخر في نصوص "نهج البلاغة"؛ وذلك بذكر صدر البيت فحسب؛ لعلاقاته مع موضوع النصّ الخطابِيّ في قوله "عليه السلام":

(1) نهج البلاغة: خ108/35. ويضمّنه البيت الشعريّ: شرح ديوان الحماسة: أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي (421هـ)، نشره أحمد أمين، عيد السلام هارون، القسم الثاني، ط2، القاهرة، 1378هـ - 1968م: 814/2. والبيت لدريد بن الصمّة، والبيت في الديوان: أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبئوا الرشدا إلا ضحى الغد .

"يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلْبُ الْوَصِيِّينَ، تُرْسٌ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصَّهْرِ، وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ... فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً، .. وَالْحَكْمُ اللَّهُ، وَالْمَغْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعَّ عَنْكَ نُهْبًا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ" (1).

ويكون الاستدلال على علاقة التعالق النصي للشعرالذي يرتبط بها النص الخطابى بصدر البيت الشعري؛ كالاتي بيانه:

البيت الشعري

بنية الخطاب

كانت أثرَةً

موضوع الاستدلال في أحقية الخلافة (وصاية + العلقة الرحمية) ← نُهْبًا

موضوع الاستدلال (الاستعلام عن حق الإمام بالخلافة) ← (وَدَعَّ عَنْكَ)

والتساؤل في كيفية ضياعها منهم

وفي مواضع أخر من نصوص "نهج البلاغة" يُكثر الإمام "عليه السلام" من ذكر شطر من البيت الشعري، أما عجزه أو صدره بحسب ما يناسب التوظيف الشعري في النص الخطابى في كتابه إلى معاوية في قوله "عليه السلام":

" أما بعدُ: فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله لدينه.....، وزعمت أني لكل الخلفاء حسدٌ، وعلى كلهم بغيتُ، فإن يكن ذلك فليست الجناية عليك فيكون العذرُ إليك

وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عاؤها " (2)

(1) نهج البلاغة : خ 326/160. وبضمنه البيت الشعري لإمرئ القيس: ديوان امرئ القيس: والبيت كاملاً: وَدَعَّ عَنْكَ نُهْبًا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ وَهَاتَ حَدِيثًا مَا حَدِيثَ الرُّوَالِحِ  
(2) نهج البلاغة: ك: 518/28، 522، 521. وبضمنه البيت الشعري لأبي ذؤيب الهذلي من: كنوز الشعر: صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (275هـ) (شرح أشعار الهذليين)، تح عبد الستار أحمد فراج، مراجعة، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ب ت، 70/1. وأول البيت، وعيرها الواشون إني أحبها.

وتأتي قصديّة التوظيف الشعريّ في ما تتضمّنه من إلقاء الحجّة على المخاطب في عدم أحقيّته في ما يدعيه لو كان ذلك؛ فيأتي التوظيف كآلاتي بيانه:

البيت الشعريّ		بنية الخطاب
عارها ←	فإن يكن ذلك كذلك (أي إذا حقّ قوله)	
شكّاة ←		الجنائية عليك
ظاهر عليك ←		فليست

فالتقاء هذه الدلالات التي خرج بها النصّ الخطابيّ بالتوظيف الشعريّ أثرت المؤدّي القصديّ بتحريك الخطاب باتجاه توبيخ المخاطب، وإبطال حجته.

ويأتي التوظيف الشعريّ الآخر في النصّ الخطابيّ ذاته في قوله "عليه السلام":

"وما كنت لأعتذر من أيّ كنت أنقمّ عليه أحدًا، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايي له، فرُبّ ملوم لا ذنب له:"

وقد يستفيد الظنّة المتنصّح) " (1)

ينطوي التوظيف الشعريّ في هذا النصّ على التأسّي والتحرّس، في ردد النصّ الخطابيّ؛ فتأتي علاقات التوظيف مع عجز البيت الشعريّ؛ كآلاتي بيانه:

البيت الشعريّ		بنية الخطاب
المتنصّح ←	فإن كان الذنب إليه إرشادي)	
الظنّة ←	فرُبّ ملوم لا ذنب له)	

فتؤكد هذه العلاقات النصيّة ثراء معرفة الإمام "عليه السلام" ببطون الشعر العربيّ وإبداعه في اختيار الأبيات التي تقرّب الدلالة من ذهن المخاطب في مؤداها القصديّ بوصفها بنية احتجاجيّة في هذا النصّ.

(1) نهج البلاغة: ك 523/28. وفيه صدر البيت: وكم سقت في أثاركم من نصيحة لا يعرف لهذا البيت قائل، ووجد في متون بعض الكتب القديمة: بنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب النويري، تح مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ - 2004م: 184/7.

وفي النصّ الخطابيّ ذاته يأتي التوظيف الشعريّ متعالقاً نصياً ودلالياً؛ بقوله "عليه السلام":

"وذكرت أنّه ليس لي ولأصحابي الا السيفُ، فلقد أضحكت بعد استعبارٍ، متى ألفيت بني عبدالمطلب عن الأعداءِ ناكلين، وبالسيوفِ مخوفين:

لَبِثُ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ"<sup>(1)</sup>.

فالتعالق النصيّ الدلاليّ تحقق في صدر البيت بوصفه بنية تثري دلالة النصّ الخطاب بمؤدّاه القصديّ في توبيخ المخاطب، وتقيد أقاويله بواقع المهيمن والمسيطر على الأمور.

وفي تعدّد هذه المقاطع الشعريّة في هذا النصّ؛ إنّما هو اختيار عن دراية من الإمام "عليه السلام"، بأنّ الشعر هو الأقرب لفهم وبيئة المخاطب وثقافته.

---

(1) نهج البلاغة : ك 523/28. وبضمنه البيت الشعري لابن بدر رجل من قشير أُعير على إبله في الجاهلية فاستنقذها وقال : (لبث قليلاً يلحق الهيجا)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي(821هـ)، تج د. يوسف علي طويل، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1987 م، 277/1. لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا الموت نزل فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب.

## 2 - التوظيف الشعريّ المحوّر (الأسلبة):

وردت في نصوص "نهج البلاغة" صور عدّة من أبيات شعريّة؛ تعدّ مكوّنات من مكوّنات النصّ الخطابيّ عند الإمام "عليه السلام" لغاية ابتغاها في ذلك النصّ، واستطاع أحد الباحثين أن يوجد أثر ذلك من شعر أبيه (أبي طالب)؛ فيقول "إذ يمكن ردّ جملة من الصور الفنيّة في خطب الإمام إلى مصادرها في شعر أبيه أبي طالب؛ فقد بان أثره في خلق الصورة" (1). ومثل ذلك ماجاء في قول أبي طالب:

حتى تَرُونَ الرؤوس طائحةً      مَنَّا وَمِنْكُمْ هناك بالفضب (2)

فتأتي صورة الرؤوس متناثرة تتخلل بنية النصّ الخطابيّ على حبّ أصحابه "عليه السلام" على القتال في صفين في قوله "عليه السلام":

"وَاللّٰهُ اِنَّ امْرًا يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ، لِعَظِيمِ عَجْزِهِ، ضَعِيفٌ مَاضَمَتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ. اَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ اِنْ شِئْتَ، فَاَمَّا اَنَا فَوَاللّٰهِ دُونَ اَنْ اُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فِرَاشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْاَقْدَامُ" (3)

بنية الخطاب      بنية النصّ الشعريّ

تطير منه فراش الهام      تقابل      الرؤوس طائحة

يأتي الاستدلال ببنية الخطاب الموظفة (تطير منه فراش الهام) على ثبات الإمام "عليه السلام" في ساحة الوغى في حين تقاعس القوم عن ذلك .

إنّ هذا التوظيف من شعر أبي طالب يدل على تعدّد مصادر ثقافة الإمام "عليه السلام".

و في نصّ آخر يأتي التوظيف الشعريّ المحوّر في قوله "عليه السلام":

"وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر..، ولو شئت لاهديت الطريق إلى مصفى هذا العسل..، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير

(1) التصوير الفنيّ في خطب الإمام عليّ "عليه السلام": عباس عليّ حسين الفخام، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور سعيد عدنان المحنة، جامعة الكوفة، 1420هـ - 1999م: 120.

(2) ديوان أبي طالب، صنعة أبي هفان (258هـ)، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين، ب د، ب ت: 108.

(3) نهج البلاغة: خ 34/ 106.

الأطعمة.. ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت، مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباداً حرّى؟" (1).

تأتي بنية النصّ الخطابي: (أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباداً حرّى؟)، وهي تمثل مصدراً من مصادر أدلة الاستدلال على (إحاطة الإمام "عليه السلام" رعيته وكفاية أمرهم) .

وهذه البنية النصّية متعلّقة دلاليّاً مع البيت الشعريّ للأعشى بطريقة (الأسلبة) في قوله:

تبيتون في المشتى ملاءً بَطُونُكُمْ

وَجَارَاتُكُمْ غَرْتَى يَبْتَنُ خَمَائِصًا (2)

فتأتي مجموعة العلاقات التي تربط بنية النصّ بنى البيت الشعريّ؛ بالآتي بيانه:

بنية الخطاب	البيت الشعريّ
بيان الحال	تبيتون...ملاء بطونكم
الاستفهام الإنكاريّ (غير متحقق الوقوع)	مخاطبة جمع الغائب (فعل متحقق الوقوع)
تكثيف الوصف	
في الأذى الواقع	"حولي بطون غرثى" ← "وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً"
على هذه الفئة	وأكباد حرّى " وصف أحادي للفئة الجائعة من الناس
من الناس	

تأتي وظيفة بنية التناصّ وظيفية تذكيريّة مع تكثيف الدلالة فيها؛ لتوجيه ذهن المخاطب إلى المعرفة الشاملة من الإمام بأمر رعيته .

(1) نهج البلاغة: ك 560/45.

(2) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: 149

## ثانياً: المثل العربي

تتوّعت مصادر توظيف المثل العربي في نصوص "نهج البلاغة"، فكانت تلك المصادر تشمل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي ما قبل الإسلام، وأمثال العرب السائرة.

ومن أبرز ملامح توظيف المثل في نصوص "نهج البلاغة"؛ هو توظيف المثل القرآني في قوله "عليه السلام":

"أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ،.. قَاتَلَكُمُ اللَّهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ؟ أَعَلَى اللَّهِ؟.. كَلًّا وَاللَّهِ، وَلِكِنَّهَا لَهَجَةٌ غِبْنُكُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيَلِمَهُ كَيْلًا بَغِيرِ نَمْنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ، (وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (1).

فيأتي التوظيف للآية الكريمة بوصفها مثلاً قرآنيّاً (وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (2)، بنصّها المباشر في خاتمة النصّ الخطابيّ بوصفها متممة لمعنى النصّ الخطابيّ لفظاً ومعنى؛ ومؤكدة لمؤدّي النصّ في إيقاع الرهبة في نفس المخاطب بالوقع ذاته الذي جاءت به الآية الكريمة في النصّ القرآنيّ، ثمّ إنّ مجيء هذا التوظيف في خاتمة النصّ يغلق على المخاطب منافذ التفكير في إمكان استمرار ادعائهم على الإمام "عليه السلام"؛ فيحجم فيهم تلك الغائبة السلبية.

وفي نصّ آخر قال "عليه السلام":

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَعْرُ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِذِ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفُسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا.. ، وَإِنِّي لِأَحْسَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَصَّتْ، مِلْتَمٌ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ" (3).

يأتي التوظيف بالمقطع التركيبيّ (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ) في خاتمة بنية النصّ الخطابيّ؛ لتثري مؤدّي القصد في الكشف عن تسامح الإمام "عليه السلام" لسوء فعل القوم وسعة أفقه في بيت الرغبة فيهم في الرجوع عن ذلك السوء.

(1) نهج البلاغة: خ 144/70 - 145.

(2) سورة (ص): الآية /88.

(3) نهج البلاغة: خ 360 /176.

بالتوظيف المباشر المحوّر عن الآية الكريمة في قوله تعالى: "إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ"<sup>(1)</sup>، والآية الكريمة في قوله تعالى: "فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ"<sup>(2)</sup>؛ لتثري مؤدّى التوظيف في النصّ الخطابي.

ويأتي التوظيف غير المباشر المحوّر (المؤسلب) في قوله "عليه السلام":

"فَأَفِيقْ أَيُّهَا السَّمِيعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مَنْ غَفَلَتِكَ، وَاحْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، فامهد لقدمك، وقدم ليومك، فالحذر الحذر أَيُّهَا المستمع، والجدّ الجدّ أَيُّهَا الغافل "ولايئيبك مثل خبير"<sup>(3)</sup>.

ويأتي هذا التوظيف مستوحا من المثل القرآنيّ بالآية الكريمة في قوله تعالى: "إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير"<sup>(4)</sup>.

ومن قول العرب "قللت لها وقعت على الخبير"<sup>(5)</sup>، وتكون قصديّة هذا التوظيف متممّا لمعنى النصّ الخطابيّ، وقد أثرى القصد في بنيته الاحتجاجيّة مؤكداً اكتمال عرض الإمام "عليه السلام" لجميع السبل التي تقي مخاطب من الوقوع في الزلل.

وجاء توظيف الحديث الشريف في بنية النصّ الخطابيّ في قوله "عليه السلام":

"واعلموا أنّ يسير الرّياء شرك، ومجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان،... فإنّ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النار الحطب"<sup>(6)</sup>.

جاءت بنية التوظيف الحديثيّ في النصّ الخطابيّ "فإنّ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النار الحطب" بوصفها بنية تفسيرية لبني مصادر الاستدلال في (يسير الرّياء، ومجالسة..، محضرة..، جانبوا..، ولا تحاسدوا) .

(1)سورة الأنفال: الآية/38.

(2) سورة البقرة: الآية /275.

(3)نهج البلاغة: خ 307/151.

(4)سورة فاطر: الآية /14.

(5)المستقصى في أمثال العرب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(538هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط2، 1987م،:164/2.

(6)نهج البلاغة خ 179/85.

في النصّ الخطابي، وقد أثر التوظيف من الحديث الشريف في قوله الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم":

"إياكم والحسد فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"<sup>(1)</sup>، يؤكد ذلك المؤدّي القصدي لبنية التوظيف المتمثلة بالتشبيه التمثيلي الذي مثل شكلاً من تشكيلات المثل، في توظيف الفعل (يأكل) الذي تردد في النصّ مرتين، وهذا التردد الذي يتطلب سماع القول بالدرجة الأساس لترسيخ أثره في ذهن المخاطب؛ إذ يستدعي الصورة المادّية الحسيّة (تأكل النار الحطب) في تقريبها للصورة العقليّة "الحسد يأكل الايمان" ليعزّز دلالة أثر هذا الفعل (تحاسدوا) السلبي في نتائجه السيئة على عامله بالبنوية الدلالية (لا) التي تسبق الفعل (تحاسدوا) مكثفة معادلاً موضوعياً لبنية التوظيف في تحويل مسار المخاطب باتجاه الابتعاد عن هذا السلوك العملي السلبي بأثر الصورة التمثيلية التي تضمّنها التوظيف الحديثي المثلي.

ويأتي التوظيف الحديثي المثلي الآخر في بنية النصّ الخطابي في قوله "عليه السلام":

" أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ، وَأَتَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ"<sup>(2)</sup>.

جاء التوظيف الحديثي المثلي في خاتمة النصّ الخطابي بالتمثيل التشبيهي "مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء"؛ إذ تمثل بنية احتجاجيّة في ثبات واستمرار حجّية آل بيت الرسول في هداية الناس، أكّده الحديث الشريف على لسان الرسول "صلى الله عليه وآله" في قوله "صلى الله عليه وآله": "مثلكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة"<sup>(3)</sup>

(1) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (275هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر: 693/2.

(2) نهج البلاغة: خ 221/99.

(3) الأُمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن عليّ الصدوق (381هـ)، تح قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ: 342.

وتكمن أهميّة هذا التوظيف في المسار السوري الآتي بيانه:

دلالة الهدى، والانتساب إلى النبوة، واستمرار النسل

مثل	_____	كمثل	] دلالة الضياء والتألق وبعد المنال، وكثرة العدد
آل محمد	_____	نجوم السماء	

### والعطاء

وتمثل الإمام "عليه السلام" بالمثل السماويّ في قوله :

"وكما تُدينُ تُدانُ"<sup>(1)</sup>

فيأتي التوظيف في بنيته التذكيريّة لما جاء في ما أوحى الله به إلى داود "عليه السلام" كما تدين تدان"<sup>(2)</sup>.

واتسعت مصادر توظيف المثل في نصوص "نهج البلاغة" ليشمل توظيف البيت الشعريّ، وذلك في قوله "عليه السلام" :

"أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"<sup>(3)</sup>.

فتأتي بنية التوظيف غير المباشر المحوّر بنصّ بنية الحكمة بأكملها من قول الشاعر النمر بن تولب:

واحبيب حبيبك حباً رويداً لئلا يعولك إن تصرما

وابغض بغيضك رويداً إذا أنت حاولت أن تحلما<sup>(4)</sup>

تأتي بنية التوظيف بوصفها بنية تفسيريّة في توجيهه المخاطب باتجاه فهم هذا النصّ وترغيبه فيه.

(1) نهج البلاغة : خ 307/151.

(2) الكافي: الشيخ الكليني ثقة الإسلام أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق (328هـ)، صحّحه وعلّق عليه، عليّ أكبر الغفاري: 2/138.

(3) نهج البلاغة: ح 688/270.

(4) جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (395هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطاش، دار الفكر، ط2، 1988م: 1/184.

أما توظيف المثل السائر عند العرب؛ فقد كثر في نصوص "نهج البلاغة" لتأكيد القصد المؤدى من الخطاب، إنه يكشف عن سعة مخزون ذاكرة الإمام "عليه السلام" بهذا التراث الأدبي عند العرب، ويأتي توظيف المثل السائر على أشكال منها: التوظيف المباشر، والتوظيف المباشر المحور ويسمى المثل القياسي، والتوظيف غير المباشر المحور.

ومثال ذلك في قوله "عليه السلام":

وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضْعِضُ قُوَّةَ، وَتُسْقِطُ مَنَّةَ، وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً. وَسَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَأَخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ" (1).

يأتي التوظيف المباشر غير المحور بالمثل السائر "آخر الدواء الكي" (2) بوصفها بنية تمثل نتيجة لموضوع الاستدلال (إبطاء أمر الإمام "عليه السلام" بمن يطلبون عقاباً لإثارة الفتنة بعد مقتل الخليفة الثالث)، وهي في اللفظ النصي لها تثري دلالة مؤدى القصد بهذه النتيجة التي تثير حافظة المخاطب بمواقف العرب بمثل هذا الأمر.

ومثله في نص الحكمة في قوله "عليه السلام"

"من ملك استأثر" (3)

وجاء في المثل باللفظ نفسه (4):

وفي نص آخر قال "عليه السلام":

"المنية ولا الدنيا، والتقل ولا التوسل، ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً..." (5).

يأتي التوظيف للمثل السائر: "المنية ولا الدنيا" (6)، بنية استهلالية لنص الحكمة؛ فأكدت أهمية هذه البنية، وأثرت مؤداها القصدية في توجيه ذهن المخاطب إلى إثارة الموت على التذلل والتدني، واستدلالاً مباشراً على أهمية العيش بكرامة وإعزاز النفس بلا هون.

(1) نهج البلاغة: خ 343 / 166.

(2) المستقصى في أمثال العرب: 5/1.

(3) نهج البلاغة: ح 160 / 664.

(4) ينظر: مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (518هـ)، تح محمد محيي الدين عبد

الحميد، دار المعرفة، بيروت، ب ت: 320/2.

(5) نهج البلاغة: ح 716 / 394.

(6) مجمع الأمثال: 303/2.

ويأتي التوظيف المباشر المحوّر للمثل السائر في قوله "عليه السلام":

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ آتَى حِينَ أَمَرْتُمْ بِمَا أَمَرْتُمْ بِهِ حَمَلْتُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا،  
.. وَلَكِنْ بِمَنْ وَآلِي مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ  
صَلَعَهَا مَعَهَا! (1).

في بنية النصّ الخطابيّ يأتي التوظيف المباشر المحوّر من المثل السائر "لَا تَنْفُشِ  
الشُّوْكَةَ بِمِثْلِهَا فَإِنَّ صَلَعَهَا مَعَهَا" (2)، وتوّدّي بنية التوظيف المثليّ بوصفها وظيفة تفسيرية لبنية  
الخطاب "أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي" والتوظيف المثليّ هنا أثرى دلالة المؤدّي القصديّ في  
تأسيّ الإمام "عليه السلام" من معيّنته التي تتمثل بالمخاطب .

ومثله ما جاء في قوله "عليه السلام":

"وقد أتاني كتابٌ ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السّلم، وأساطير لم يحكها فيك  
علمٌ ولا حلمٌ.. وترقبت إلى مرقة بعيدة المرام، نازحة الأعلام، تقصُر دُونها الأنوق، ويحاذي  
بها العيوق" (3).

جاء التوظيف المثليّ المباشر المحوّر في بنية النصّ الخطابيّ "تقصر دونها الأنوق،  
ويحاذي بها العيوق" من المثليين السائرين "دونه بيض الأنوق" (4)، و"دونه العيوق" (5).

جاء التوظيف المثليّ الأول في مؤداه القصديّ لبيان قصور الطالب لمطلبه في الخلافة،  
فجاء التوظيف في وظيفته البيانيّة، أمّا التوظيف في المثل الآخر؛ فيكون مؤداه القصديّ ببعد  
المثال عمّا يروم إليه الطالب، وجاء التوظيف المثليّ مساقاً في سياق عرض المثال الماديّ  
الملموس لتقريب المفهوم للمدرك العقليّ .

(1) نهج البلاغة: 261/120.

(2) مجمع الأمثال: 230/2.

(3) نهج البلاغة: ك 611/65.

(4) مجمع الأمثال: 265/1.

(5) المصدر نفسه: 264/1.

وفي نصّ الحكمة في قوله "عليه السلام":

"رُدُّوا الحجر من حيث جاء، فإنَّ الشرَّ لا يدفعه إلا الشرُّ" (1)

يأتي التوظيف غير مباشر ومحوراً في استهلال بنية الحكمة "رُدُّوا الحجر من حيث جاء" في ما قالته العرب في المثل السائر "إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ" (2)، وتبدو العلاقات التوظيفية واضحة باتجاه توجيه ذهن المخاطب إلى الكيفية الأسلم في ردِّ الشرِّ على صاحبه بمثله لئلا يستبدَّ بتجاوزة، وفي هذا مؤدَى وظيفي في إفهام المخاطب .

وقد انماز النصّ الخطابي بالتوظيف المثليّ الخاصّ بسياق الإمام "عليه السلام" الخطابيّ، فصارت بنى تجري مجرى الأمثال لأثرها في استمرار الحدث الذي سبقت فيه تلك البنى، ومن ذلك في قوله "عليه السلام":

لَاتَلْقَيْنَ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ... وَلَكِنَّ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ:  
يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأُنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ" (3).

تعدُّ بنية الخطاب "فما عدا ممّا بدأ" مثلاً سارت عليه العرب (4)، وهي نسق خطابيّ في نصوص "نهج البلاغة" ويمثل نتيجة استدلالية مؤدّية بوظيفتها الاحتجاجية في إلقاء الحجّة على الزبير في ما يعوقه من نصرته الإمام "عليه السلام".

ومثل ذلك في وصيته لولده الحسن "عليهما السلام" في قوله "عليه السلام":

"وإياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها،.. فإنّما أهلها كلابٌ عاوية،... وأخرى مهملّة قد أضلّت عقولها وركبت مجهولها، سروج عاهةٍ بوادٍ وعثٍ، ليس لها راعٍ يقيمها" (5).

(1) نهج البلاغة ح 697/316.

(2) مجمع الأمثال: 11/1.

(3) نهج البلاغة: خ 99/31.

(4) ينظر: مجمع الأمثال 496/2.

(5) نهج البلاغة: ك 537/31.

تأتي بنية الخطاب "سروح عاهة بوادٍ وعثٍ" مثلاً تشبيهاً يَصوّر فيها حالة الضلال التي يعيشها المتكالبون على الدنيا .

إنّ (المثل) كالشعر يجري توظيفه بآلية التعالق النصّي الدلاليّ، وتحقيق ماتحققه النصوص المتداخلة الأخرى من قيمة في استظهار قوّة الاستدلال على الشيء المراد، وتحقيقه في المخاطبين.

## ثالثاً - التناصّ التاريخي

إنّ التداخل النصّي التاريخي في بنى الاستدلال يعني "توظيف النصّ لشروط فكرة مسبقة ليس العصر عصرها، ولا الزمان زمانها"<sup>(1)</sup>، وهذا التوظيف يجري بآليات متقنة.

إنّ توظيف التاريخ في المادّة الأدبيّة يعدّ التقاطة زمنيّة حيث الماضي، وحيث الخبرة المتراكمة المخزونة في ذاكرة الأديب؛ فهي "عملية ذهنيّة نفسيّة عاطفيّة وجدانيّة في المقام الأول، تتركز على فعل التذكّر والحنين إلى الماضي"<sup>(2)</sup>.

ويأتي التناصّ التاريخي في النصّ الأدبيّ في بعد من أبعاده بغرض استثارة الماضي في ذهن المتلقي، وتشخيص وقائع وقيم اجتماعية سلباً، أو إيجاباً في الواقع، ترتبط بعلاقة مماثلة مع تجربة الأديب أو منافرة لها .

ويعدّ "الارتداد إلى الماضي واستحضاره من أكثر الظواهر فعاليّة في عمليّة الإبداع"<sup>(3)</sup>؛ إذ إنّ هذا التداخل النصّي بالخطوات التاريخيّة التي "تعمل على ربط النصّ بالنصوص الغائبة ومدى إقباله عليها، أو نفوره منها، أو مدى سيطرة أحد النصّين على الآخر"<sup>(4)</sup>، يؤدّي إلى تشكلات جديدة لها موقفها المحدد الذي ينبثق من هذا التداخل؛ إذ يخرج إلى مفهوم جديد يقترّب إلى مستوى فهم المخاطب. ويكثر هذا النوع من التناصّ في نصوص "نهج البلاغة"؛ وذلك باستلهام الشخوص والمواقف، وربطها بالإطار العلاميّ الذي يقف عنده التلميح إليه في نصوص الإمام (عليه السلام) الخطابيّة:

ومن الوقائع التاريخيّة والشخصيّات التي تكون محور تلك الوقائع التي ذكرها "عليه السلام"، ووقع فيها التناصّ في قوله "عليه السلام":

"وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا احمرّ الباس، وأحجم الناس قدّم أهل بيته، فوقي بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنة، فقتل، عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة"<sup>(5)</sup>.

(1) سلطة النصّ قراءات في توظيف النصّ الديني: 10.

(2) السكون المتحرك.. دراسة في البنية والأسلوب تجربة الشعر المعاصر في البحرين " بنبة المضمون": 107/3.

(3) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: 163.

(4) المصدر نفسه.

(5) نهج البلاغة: ك 497/9.

يرتكز التناصّ التاريخي في بنية الخطاب على تكثيف ذكر عدد الوقائع التاريخية (بدر، أحد، مؤتة) وأسماء الشخصيات ذات العلاقة بهذه الوقائع، فتكون هذه الكثرة قد أدت إلى اتساع مساحة النصّ لتهيئ ذهن المخاطب إلى التحرك التاريخي المتصل بحركة أهل بيت الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" في تصديهم للمواقف التي يحجم عنها الآخر، فيزداد توقع المخاطب بمقدار التصاق أهل بيت الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" بعقيدتهم والذود بالبنفس من أجل الحفاظ عليها.

فيأتي التناصّ التاريخي في بنية الخطاب مؤدياً وظيفة التأكيد، والاحتجاج، والتوجه بذهن المخاطب نحو النتيجة الشعورية التي يتفاعل معها في مقتل هذه الشخصيات وربطها بنتيجة موضوع الاستدلال في بنية الخطاب، وهي استمرار هذا الافتداء بالبنفس انتهاءً بالإمام في قوله "عليه السلام":

"وأراد، من لو شئت ذكرتُ اسمه، مثل الذي أرادوا من الشهادة"، ويريد بالمقطع التركيبي (من لو شئت) نفسه "عليه السلام"

وفي قوله "عليه السلام"

"وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ (صلى الله عليه وآله) لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ... نَسْأَلُكَ أَمْرًا.

فَقَالَ لَهُمْ (صلى الله عليه وآله): «وَمَا تَسْأَلُونَ؟».

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلَعَ بِعُرْوِقِهَا،... قَالَ: «فَأِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرٌ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحْرَبُ الْأَحْزَابِ»<sup>(1)</sup>.

يأتي التناصّ التاريخي في موضعين من بنية النصّ الخطابي في "القلب"<sup>(2)</sup>، والأحزاب"<sup>(3)</sup>.

وتأتي بنية التوظيف التاريخي بنية تذكيرية احتجاجية في النصّ الخطابي، تثير ذهن المخاطب في موقف القوم المتعنت المضاد للرسول "صلى الله عليه وآله" وللدین الإسلامي.

وفي قوله "عليه السلام":

(1) نهج البلاغة: خ 412/190.

(2) المراد منه قلب بدر، طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، ينظر: هامش: نهج البلاغة: 412، 0 محمد عبده).

(3) في وقعة الخندق اجتمعت بها القبائل المنفرقة على حرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

"ومنا النبي، ومنكم المكذب، ومنا أسد الله، ومنكم أسد الأحلاف..، ولما احتج المهاجرون على الأنصار، يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فاجأ عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم" (1).

تأتي بنية التناص التاريخي "يوم السقيفة" في بنية النص الخطابي، وفيها تؤدي وظيفة احتجاجية على ظفر المهاجرين بدعواهم على الأنصار في حقهم بالخلافة بأنهم شجرة الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" وفي هذا حجة للإمام "عليه السلام" على القوم بظفره بأقربيه النسبة للرسول "صلى الله عليه وآله وسلم".

وفي قوله "عليه السلام":

"أَكَلْتُمْ شَهْدَ مَعْنَا صِفَيْنِ؟ فَقَالُوا: مِمَّا مِنْ شَهْدٍ وَمِمَّا مِنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَاِمْتَاَزُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مِنْ شَهْدِ صِفَيْنِ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا بِكَلِمِهِ...." (2).

يأتي التوظيف التاريخي في ذكر يوم "صفين"، وبنية التوظيف هذه تؤدي وظيفة كشفية لموقف القوم "الرعية" من الإمام "عليه السلام"، فكان هذا التناص التاريخي يوم صفين يتجه بذهن المخاطب إلى تشخيص اتجاهات الناس بين خاذل للإمام "عليه السلام" وناصر له، أما تقسيم من شهد صفين إلى فرقتين، فتأتي دلالاته على كثرة الناس الذين شهدوا معه المعركة، ولم ينصفوه "عليه السلام".

ويعد التناص التاريخي مشيراً إلى الإدراك الفكري، وكاشفاً للثقافة المشتركة بين الذات المخاطبة، ومحيطها العام، وقد تجلّى في نصوص "نهج البلاغة" شكل آخر استدعى شخصيات ترتبط بعلاقات مع أنساق بنية النص الخطابي، من ذلك قوله "عليه السلام":

"ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْجِهَا، تَرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ،....، ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْعَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ" (1).

(1) نهج البلاغة: ك 28 / 521.

(2) المصدر نفسه: خ 263/121.

يأتي التوظيف التاريخي في أنساق الخطاب في البنيات الأولى بعرض كيفية خلق آدم من دون ذكر اسمه لتوجيه ذهن المخاطب للمادة التي خلق منها "عليه السلام"، ونوع تلك المادة (حزن الأرض، وسهوها، وعذبتها، وسبخها)؛ إذ تختلف خصال البشر بتباين مادة تكوينهم، وبهذا يبلغ التناص مؤداه التفسيري، ثم يأتي التوظيف التاريخي لشخص نبيينا آدم "عليه السلام" بذكره صريحاً لشدّ انتباه المخاطب إلى مقومات العيش التي وهبها الله سبحانه وتعالى لآدم لتفعيل تأثيره في الحياة الدنيا، وفيه بلغ التناص مؤداه الاحتجاجي في النصّ.

وفي قوله "عليه السلام":

"أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نُصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهْتُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ، وَلَمْ يَقْوِ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لِكِنِّكُمْ تَهْتُمْ مَتَاهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلِعَمْرِي، لَيَضَعَعَنَّ لَكُمْ النَّيَةُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً" (2).

يتّضح التناص التاريخي في بنية "بني إسرائيل" فيأتي التوظيف في أنساق الخطاب بمؤداه الإفهامي لتقريب مبلغ، وانتفاء إذعانهم لأمر الإمام "عليه السلام"، فيأتي التوظيف التاريخي متمسكاً نتيجة هذا الصنيع بتحريك ذهن المخاطب لما آل إليه "بنو إسرائيل" من تيه .

ويتعدّد توظيف الشخصيات في النصّ الخطابيّ الواحد ففي قوله "عليه السلام":

وَإِخْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ... وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْعَادُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مَخَارِبِينَ، وَبَقِيَ قَصَصَ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ. فَأَعْتَبَرُوا بِحَالِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ (عليهم السلام)، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ" (3)

يتمثل التداخل النصّي في الأمثلة من الشخصيات التي طرحها الإمام "عليه السلام" في نصّه الخطابيّ؛ إذ تكتنز هذه المسميات على سير ملئ بأنظمة حياتية متكاملة تعكس خبرات متراكمة للمخاطب، فأدى التوظيف التاريخي للشخصيات في هذا النصّ وظيفة إفهامية تبلغ مؤداه في تقريب الحلول، والمعالجات للمخاطب، وبسطها من أجل التمثّل بها لمقاربة الأحوال، وتشابه الأحداث.

ومثل ذلك في قوله "عليه السلام":

(1) نهج البلاغة: خ/1/40-42.

(2) المصدر نفسه: خ/164/341.

(3) المصدر نفسه: خ/190/407.

"وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَافٌ لَكَ فِي الْأُسُوءَةِ... وَإِنْ شِئْتَ تَنْبِئُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَإِنْ شِئْتَ تَلْتُمُ بِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ... وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ... فَتَأَسَّ بِبَيْبِكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَإِنَّ فِيهِ أُسُوءَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى" (1).

وتأتي بنية التوظيف في ذكر خصائص الأنبياء موسى "عليه السلام"، داود "عليه السلام" عيسى "عليه السلام" لتوجيه ذهن المخاطب باتجاه كمال الأمر عند الرسول محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" فأثرت هذه الأسماء بوضعها بنى احتجاجية لاتخاذ الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" أسوة تامة.

وجملة الأمر في المرجعيات النصية لخطاب الإمام "عليه السلام"، هو أن القرآن الكريم يعد المصدر الأول الذي نهل فيه "عليه السلام" مادته الروحية، والعلمية، واللغوية، فانعكس ذلك على أسلوبه السلوكي، ومادته الفكرية وخطابه النصي؛ لذا ارتقى نص الإمام "عليه السلام" عن النص البشري وقارب النص الإلهي، فضلاً عن مرجعيته الحديثية التي توضح أثرها في نصه الخطابية وانعكس ظلالها في مادته الفكرية.

وكان الإمام "عليه السلام"، ملماً بترائه العربي من شعر، ووقائع؛ فكانت تمثل مصدراً من مصادر علومه .

ومن هذا كله؛ جاءت هذه المرجعيات بنى مفسرة واحتجاجية أثرت النص الخطابية وأكدت للمخاطب .

(1) نهج البلاغة:خ/158-320-321.

الخاتمة

## الخاتمة

توصلت الباحثة من سعة فضل الله تعالى ومنه عليها إلى ثمرات عدة في دراسة الاستدلال في كتاب "نهج البلاغة" دراسة أسلوبية. يمكن إيجازها على النحو الآتي :

. تأتي عملية الاستدلال في الموضوعات التي يثبت معها اليقين؛ لذا كانت موضوعات الاستدلال في نصوص نهج البلاغة غزيرة شملت الدنيا، والآخرة، والجنة، والنار، والاستدلال على صفات أهل الدنيا.... وغيرها، وقد كان خطاب نص " نهج البلاغة " خطاباً أدبياً تعبيرياً يتخذ من الحجة البرهانية للاستدلال معماراً بنائياً في ميدان اللفظ، والتوليف اللفظي ينسج منها أنساقاً متساوقة للإبلاغ موزعة على عناصر الحياة سياسياً واجتماعياً ونفسياً وتربوياً، وهذا ما مكن الباحثة من أن تعتمد عملية الاستدلال في البرهان الحجائي على من خاطبهم الإمام" عليه السلام"؛ وهي أداة منطقية فلسفية وجدت الباحثة نص "نهج البلاغة" ميداناً أدبياً رحباً لتطبيقها.

. يؤكّد الثراء اللغويّ في نصوص الإمام "عليه السلام" السعة في معجم اللغة العربيّة، وقد احتضنتها النصوص لتكون خير موجه للتأثير النفسيّ الناتج عن جملة المؤثرات اللفظيّة الضاغطة على الذات المتأزّمة في عصره "عليه السلام" .

. يكشف النصّ الخطابيّ في "نهج البلاغة" عن حشد دلاليّ مكتنز يحتاج معه إلى ذهنيّة قارئة واعية يقترب من فهم مضمونه المعرفيّ لنعي ما تكتنف عليه تلك المفردات المترابطة، فكان ذلك داعياً لاستجابة المخاطب في عصرالإمام "عليه السلام" لمغزى النصّ العلويّ المنتج بنحو إبهاريّ في غالبه لتميّزه بأشعارات مفردة النصّ الدلاليّة المبيّنة .

. تشعّ إحياءات جديدة من المفردات المعجميّة التي أفرغها الإمام "عليه السلام" من محتواها الدلاليّ السائد ليشحنها بمحتوىّ جديد مكوّنة الأسلوب الخاصّ له "عليه السلام" وسمة مميزة لمعجمه اللغويّ تمثل ذلك في كثير من الألفاظ التي أستدلّت بها الباحثة في مبحث المستوى الإفراديّ (المعنى الأصليّ والسياقيّ للمفردات) .

. حفلت نصوص " نهج البلاغة " بالمتضادات والمتضادات المتجاورة، فكوّنت ظاهرة خلق مسافات توتر دلاليّة علاميّة أسهمت إسهاماً واضحاً في أداء وظيفة النصّ .

. تتضح ظاهرة التوازي إيضاحاً كبيراً في نصوص "نهج البلاغة" مكوّنة بنى تحوّل إيقاعيّ صوتيّ انطوى على وفرة عالية من التحوّل الدلاليّ ، فكان المؤثر الأوفر في النصّ .

. ارتبط التحول الإيقاعي في القافية التي ينتهي بها المقطع الدلاليّ بدلالة النصّ الداخليّة اثرى التنوّع في تلك القافية .

. يُعدّ الإيقاع في أشكاله المتنوّعة بنية صوتيّة كبرى ارتكز عليها النصّ الخطابيّ، فمثلت بنية تعبيرية أدت مؤداها الوظيفي في التأثير والإقناع .

. حمل نصّ الإمام "عليه السلام" الخطابيّ في داخله وظائف معرفية استدلال عليها بالمفردة والتركيب أفصح عنها ذلك البعد العلاميّ للنصّ ، فكانت بنى الاستدلال بوصفها أدوات كشفية لفضح نسقيّة الواقع الاجتماعيّ المعيشيّ الذي قصر عن فهم وسائل قيادة الإمام "عليه السلام" فكان خطابه توليفاً بنائياً احتجاجياً في أغلبه .

. يأتي تحليل النصّ الخطابيّ في "نهج البلاغة" على وفق قراءة نقدية راصدة لنموّ الإبداع التوليقيّ المتغاير على وفق نوع المخاطب، وتغير الموضوع، ونوع الخطاب، فكشف عن طواعية المفردة والتركيب لما بينه الإمام "عليه السلام" من نصوص وما يتناسب مع الموضوع والسياق .

. يعدّ النصّ الخطابيّ في "نهج البلاغة" منظومة مفهوميّة متكاملة اشتملت على اللفظ الغريب، والتركيب المنسوج بمؤدّيّ وظيفيّ يتنوّع بتنوّع أنساق الكلام؛ فكانت ذات وظيفة احتجاجيّة في أغلبها ووظيفة تفسيرية وإقناعية، وإفهامية فكان إبداع تلك المنظومة شكلاً في جمالية التعبير ومضموناً في أداء الوظيفة .

. تمثل الصورة في النصّ الخطابيّ للإمام "عليه السلام" رافداً مهماً في الاستدلال، والتأثير في المخاطب بين الترغيب والترهيب، فكثرت الصورة التشبيهية، والاستعارية، والكنائية بمختلف أنواعها، وعند البحث والاستقصاء توصلت الباحثة في أثناء البحث في الصورة الكنائية إلى قلّة الكناية عن الموصوف، ولعل السبب كما ترى الباحثة يعود إلى حقيقة تتبع السياق الخارجي الذي يحوط الخطاب؛ فالخطاب موجه إلى الموصوف نفسه، ولا حاجة إلى أن يكنى عنه .

. من الظواهر التي تلمستها الباحثة في أثناء البحث في الصورة هي كثرة المتتاليات التشبيهية، أو الاستعارية، أو الكنائية في مجمل النصّ الخطابيّ، وقد عرضت الباحثة لمثلها في متون البحث؛ ليكون الخطاب أقرب إلى السحر، والتأثير منه إلى الحقيقة، فالبنية الاستعارية مثلاً عادة ماتحتاج إلى أعمال الفكر، والخيال، وعندئذ يحدث التأثير في أفق التلقي .

. بلغت مقولة (المرجعية) مبلغ المهيمن على النظريّات النقدية، وإجراءاتها في تحليل النصوص، والكشف عن دلالاته وإشارة المفردات المشكّلة لها كلّها، فكانت مرجعية الإمام "عليه السلام" الكبرى تتمثل بالنصّ القرآنيّ وبعده الحديث النبويّ الشريف وفي مواطن نصيّة أخرى كانت

المرجعية في المثل والشعر والواقعة التاريخية فنص " نهج البلاغة " نص إبداعي متحرك يستوعب كثيراً من النظريات الإبداعية الحديثة، ومنها التناص بوصفه منبعاً واعياً للرؤية النقدية الحديثة التي تسبر أغوار النص القديم .

. إن التوظيف للمثل العربي في نصوص "نهج البلاغة" يكشف عن سعة علم الإمام "عليه السلام" بهذه المعارف، وخبرته بأهم مامتاز به العرب من أثر، وهو تراثهم الأدبي، وكثرة حفظهم للشعر، فكان هذا التوظيف يقرب قصد الإمام "عليه السلام"، ومؤدى النص من ذهن المخاطب، ويأتي التوظيف على أشكال عدة، فقد يأتي النص الموظف مباشراً أو مباشراً محوراً، أو غير مباشر محور، ويؤدي في بعضها المثل التشبيهي قصديته، فضلاً عن إشارته الجمالية التي يتضمنها، وهناك نصوص اختص بها الإمام "عليه السلام" من واقع تجربته وجرت على لسان العرب مثلاً، فضلاً عن اتخاذه "عليه السلام" للمثل السماوي توظيفاً آخر في نصوصه الخطابية، وتوظيف الآيات والأحاديث الشريفة التي سارت مسرى الأمثال .

# ثبت المصادر والمراجع

## ثبت المصادر والمراجع

- . القرآن الكريم .
- . الإبلاغيّة في البلاغة العربيّة، سمير أبو حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، ط 1991 .
- . الإبتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ) المكتبة الثقافية، بيروت -لبنان 1973م .
- . إجابة السائل و شرح بغية الأمل، محمّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (1182هـ)، تح القاضي حسين أحمد السياغي، والدكتور محمّد حسن مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ، 1986م .
- . الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن حزم الأندلسي (456هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط 1404هـ .
- . أدب الكاتب، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري (276هـ)، تح محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية ، مصر، ط4، 1963م.
- . أدب المفتي والمستفتي، أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهروري، تح د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكمة، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ .
- . الأزمنة والأمكنة، أبو عليّ أحمد الحسن المرزوقي ( 421 هـ )، مطبعة المعارف، الهند، 1332هـ .
- . أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(538)، مطبعة دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- . أساليب الشعرية المعاصرة، د. صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ط 1، 1995م.
- . أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، بيت الحكمة، ب ت .
- . الاستقراء المنهجيّ العلميّ، محمود فهمي زيدان، دار الجامعات المغربية، الإسكندرية ط1، 1977م .
- . أسرار البلاغة في علوم البيان، عبد القاهر الجرجاني ( 471 هـ )، دار المعرفة للطباعة والنشر، تح السيد محمد رشيد رضا، بيروت . لبنان، 1398هـ - 1978م.
- . الأسلوبية مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1425 هـ -2004م .

- . الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1359هـ .
- . الاشتقاق، عبد الله أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1276هـ .
- . 1956م .
- . الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي (316هـ)، تح د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط3، 1988م
- . أصول اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف، ط1963م .
- . أطراف الوجه الواحد، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، د. نعيم الباقي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ب ت .
- . الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم عبد الله، تونس 1980م .
- . الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، الدكتور فخر الدين عبادة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 2001م.
- . الألسنية العربية (الألسنية 2) ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
- . الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (381هـ)، تح قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط1، 1471هـ.
- . إنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر القاهرة ب ت .
- . الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (577هـ)، دار الفكر، دمشق، ب ت .
- . أوزان الفعل ومعانيها، هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف 1971م.
- . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد بن عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (761هـ)، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م.
- . الإيضاح في علم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (739هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت ط4، 1998م.
- . الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، د. مصطفى جمال الدين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1970م .

- . البحث الدلالي عند ابن سينا، د. مشكور كاظم العوادي، ط مؤسسة البلاغ بيروت، 2000م .
- . البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ (584هـ)، تح عبد علي مهنا، بيروت، 1987م .
- . البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (794هـ)، تح أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ .
- . البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تح د. حقي محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، ب ت .
- . بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ( دراسة تحليلية - نقدية - تقارنية )، د. إبراهيم سلامة، القاهرة، الأنجلو، ط 2، 1371هـ . 1952م .
- . بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، يناير 1978م .
- . البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البديع - ، بكري شيخ أمين، دار القلم للملايين، بيروت، ط2، 1991م .
- . البلاغة فنونها في أفنانها ( علم المعاني )، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 2، 1989م .
- . البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العامة، لونجمان، ط 1، 1997م .
- . البلاغة والأسلوبية، محمد عبد الله، النهضة المصرية العامة للكتاب، 1984م .
- . البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، جامعة بغداد، ط2، 1990م .
- . بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب، 1988م .
- . البنى الأسلوبية في النص الشعري ( دراسة تطبيقية )، د. راشد بن حمد بن هاشم الحسيني، دار الحكمة، لندن ط1، 2004م .
- . البنى النحوية، نوم جومسكي، تر : د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م .
- . البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد، حسن الغرفي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1989م .
- . بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، تر: محمد الولي محمد العمري، دار تيوبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986م .
- . البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (255هـ)، تح د. حسن السندوبي، المطبعة التجارية الكبرى، ط1، 1926م .

- . تأصيل النص - قراءة في أيديولوجيا التناصّ ، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، 1424هـ - 2003م .
- . تأويل مشكل القرآن، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه، ونشره السيد أحمد صقر، دار الحديث، ط2، 1393هـ 1973م .
- . التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي (467هـ)، تح محمد حسن هيت، دار الفكر دمشق، ط1، 1403هـ .
- . التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي (460هـ) تح أحمد حبيب قصير العامليّ، مطبعة قم، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط1، 1379هـ.
- . تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري(654هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف، القاهرة، 1383هـ - 1993م .
- . تحليل النصّ الشعريّ، مهاد نقدي، ترجمة محمد أحمد فتوح، النادي الثقافي الأدبي، جدة ، 1999م .
- . التراكيب اللغوية في العربية - دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، مطبعة الرشاد، بغداد، 1987م .
- . التراكيب النحوية من الجهة البلاغية عند عبد القاهر، د. عبد الفتاح لاشين، الرياض، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ب ت .
- . التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، محمد فتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 1996م.
- . تشريح النصّ ( مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة )، د. عبد الله محمّد الغزالي، دار الطليعة للطبع والنشر، بيروت، ط1، 1987م .
- . التضادّ في ضوء اللغات السامية ( دراسة مقارنة )، ربحي كمال، دار النهضة العربية، بيروت، 1975م.
- . التضادّ في القرآن الكريم، محمّد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1999م.
- . تفسير التحرير والتتوير، الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور(1393هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة التونسية، 1997م (عدد الأجزاء:30) .
- . تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تح السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ط 1378هـ - 1958م.
- . تلخيص البيان في مجازات القرآن، محمّد بن الحسين الشريف الرضي (ت 406هـ )، تح محمد عبد الغني حسن، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، ط 1374هـ - 1955م.
- . جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني، المكتبة التوفيقية، مصر، 2003م .

- . الجامع الصحيح سنن الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (279هـ)، تح أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ت .
- . الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (256هـ)، تح د. مصطفى ديب النجار، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ 1987م .
- . جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث النقدي والبلاغي عند العرب، د ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للطباعة ، بغداد، 1978م.
- . جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية ) د. حسين جمعة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.
- . جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (395هـ)، تح محمود أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش، دار الفكر، ط2، 1988م.
- . الجوانب الدلالية في نقد القرن الرابع عشر الهجري، فائز الداية، دار الملاح، دمشق 1978م .
- . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ . 2001م .
- . حاشية الصبان، شرح الأشموني (929هـ) على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني (855هـ)، تح محمود بن جميل، مكتبة الصفا ، ط1، 1423هـ 2002م .
- . الحروف، أبو نصر محمد الغازي (329هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه، محسن مهدي، مطبعة دار المشرق، بيروت، لبنان ، ب ت .
- . الحوار في قواعده ، أساليبه ، معطياته ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، ط6، 1421هـ - 2001م .
- . خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي (838هـ)، تح عصام شيعتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط 1987م .
- . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ )، تح محمد علي النجار، بيروت، ب ت .
- . الخطابة أرسطو، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986م.
- . الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية ( قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، د. عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، ط 1، 1405هـ 1985م .
- . الخيال ومفهوماته ووظائفه، د. عاطف جودة نصر، الهيئة المصرية للكتاب، 1984م.
- . دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن البحيري، مطبعة مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م .

- . دروس في أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرماضي، نشریات الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ب ت .
- . دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، تح د. محمد التتجي، ط1، 1995م .
- . دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م .
- . دلالات التركيب، محمد أبو موسى، دار التضامن، القاهرة، ط2، 1987م .
- . دليل الناقد الأدبي، د. ميخائيل الرويلي، و د. سعيد البازغي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000م .
- . دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر:د. جمال محمد بشير، ط 10، 1986م .
- . ديوان أبي طالب، صنعة أبي هفان (258هـ)، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين، ب د، ب ت.
- . ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، تح د. محمد محي حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1950م .
- . ديوان امرئ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، ب ت .
- . ديوان صفي الدين الحلبي (752هـ)، دار صادر، بيروت، ب ت .
- . ديوان المتنبي، شرح أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (468هـ) مكتبة المتنبي، بغداد، د ت .
- . ديوان النابغة الذبياني، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ب ت .
- . رسائل المرتضى، علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى (436هـ)، المجموعة الأولى، تقديم وإشراف السيد أحمد الحسيني، نشر دار القرآن الكريم، قم، 1405هـ .
- . رسالتان في اللغة، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرمانني (382هـ)، تح إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1984م .
- . زمن الشعراء، أدونيس، دار الساقي، ط6، 2005م .
- . سرّ الفصاحة، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (466هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م .
- . السكون المتحرك ( دراسة البنية والأسلوب تجربة الشعر المعاصر في البحرين نموذجاً)، علوي الهاشمي، منشورات اتحاد كتاب أدياء الإمارات، الشارقة، 1992م .
- . سنن ابن ماجه، حمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (275هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ب د، ب ت .

- . سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني الأزدي (275هـ)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ب ت .
- . سنن الدار قطني، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي (385هـ)، تح السيد عبد الله هاشم يمانى المدني، دار المعرفة، بيروت ، 1386 هـ . 1966 م .
- . سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (255هـ) ، تح فواز أحمد زمزلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العلمي، بيروت ، ط1، 1407 هـ .
- . السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية، د. عهود عبد الواحد، دار الفكر، ط1، 1419 هـ . 1999 م .
- . شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملوي، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ب ت .
- . شرح ابن عقيل ألفية مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (769هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دارالفكر، دمشق، ط1، 1985م .
- . شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهرى (905 هـ) ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ب ت .
- . شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (421 هـ ) نشره أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، ط2، القاهرة 1378 هـ - 1968م .
- . شرح الرضي على الكافية ، محمد بن الحسن الرضى الاسترابادي (688هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط2 ، طهران 1384 هـ .
- . شرح شافية ابن الحاجب في علم الصرف، أبو الفضل ركن الدين الحسن الاسترابادي ( 715 هـ )، تح د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1425 هـ . 2004 م .
- . شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري (761 هـ) ، تح تركي عبد الكريم مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001 م .
- . شرح المفصل، الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي (643 هـ) ، عالم الكتب بيروت، ب ت .
- . شرح نهج البلاغة، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (656هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1385 هـ - 1965 م .
- . شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، تح محمد سعيد بيومي زغلول (458هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410 هـ .

- . الشعرية توزفيتيان تودوروف، تر شكري المبخوت، ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر ط2،  
الدار البيضاء، 1992م .
- . ( الشفاء مجموعة الإلهيات )، أبو علي بن سينا ( 428 هـ )، تح قنوتاي وسعيد زايد،  
مراجعة وتقديم . د. إبراهيم مذكور، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الخيرية، القاهرة، 1960  
م.
- . الصاحبى، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ( 395 هـ )، تح السيد أحمد صقر مكتبة  
ومطبعة دار احياء الكتب العربية، ب ت .
- . صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي الفلقشندي(821هـ)، تح د. يوسف علي  
طويل ، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1987م .
- . الصحاح في اللغة العربية والعلوم، إسماعيل بن حماد الجوهري ( 393 هـ )، تح أحمد عبد  
الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط4، 1407 هـ - 1987م .
- . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(261هـ)، تح وتعليق محمود فؤاد عبد  
الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ت .
- . الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، وزارة الثقافة العراقية، شركة  
المطابع النموذجية ، دار الرشيد، 1981م .
- . الصورة الفنيّة معياراً نقدياً، د. عبد الله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،  
1987م.
- . الصورة الفنيّة في التراث النقديّ والبلاغيّ عند العرب، جابر عصفور، دار التنوير للطباعة  
والنشر، ط2، 1983م .
- . طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ( 231 هـ )، تح محمود محمد شاکر،  
مطبعة المدني، القاهرة، ب ت .
- . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن  
إبراهيم العلوي ( 749 هـ )، تح محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،  
1415 هـ - 1995م.
- . ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، عصام شر تح، دراسة منشورات اتحاد الكتاب  
العرب، دمشق، 2005م .
- . العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر  
العربي، ب ت .
- . علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،  
ط2، 1419 هـ - 1998م .

- . علم الدلالة إطار جديد، ف . ر . بالمر، تر. د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1995م.
- . علم الدلالة دراسة وتطبيقاً، د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1995م.
- . علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ( دراسة تاريخية - تكاملية )، د. فايز الداية، دار الفكر، ط1، 1405 هـ . 1985 م .
- . علم اللغة العامّ، الأصوات ، د.كمال محمّد بشر، دار المعارف، مصر، ط1، 1980م .
- . علم اللغة العامّ، د. توفيق محمد شاهين، دار التضامن للطباعة القاهرة، ط1، 1980م.
- . علم المعاني تأصيل وتقييم، د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة ، ب ت .
- . علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1405 هـ . 1985 م .
- . العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني(456هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4 ، 1972م.
- . الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ( 395 هـ )، تح أبو عمر وعماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية، ب ت .
- . فقه اللغة: الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، ب ت
- . فقه اللغة وسرّ اللغة العربية، أبو المنصور الثعالبي (429 هـ )، تح ومراجعة عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ - 2002م .
- . فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1395 هـ . 1975م .
- . في بناء الجملة العربيّة، د. محمّد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، بيروت، ط1، 1996م.
- . في التركيب اللغويّ للشعر العراقي المعاصر - دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي، مالك يوسف المطلبي، دار الرشيد للنشر، 1981م.
- . في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، شرح محمّد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، قم، ط1، 1427 هـ ق .
- . في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهديّ المخزوميّ، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط2، 2005م.

- . القاموس المحيط، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ)، تح مجدي فتح السيد، المكتبة التوفيقية، ب ت .
- . قراءات في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1999م.
- . قضايا التقدير النحويّ بين القدماء والمحدثين، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعارف، 1985م.
- . قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، بيروت، ط5، 1978م .
- . قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، تر . محمّد الولي مبارك حنوز، ط 1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م.
- . قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمّد عبد الجبار السمعانيّ (489هـ)، تح محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل الشافعيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.
- . الكافي الشيخ الكلينيّ، ثقة الإسلام أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق (328هـ)، جمعه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ب د، ب ت .
- . الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد (285هـ) مؤسسة المعارف، بيروت، 1985م.
- . الكتاب - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180هـ)، تح وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1977م.
- . كتاب اللامات، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (340هـ)، تح مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1985م .
- . الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ابو البقاء بن موسى الحسينيّ الكفويّ (1094هـ)، مؤسسة الرسالة، ط2، 1998م.
- . كنوز الشعر، أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ (275هـ)، عبد الستار أحمد فزّاج ، مراجعة محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ب ت .
- . واللباب في علل البناء والإعراب:أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري (387هـ)، تح،غازي مختارطليمات، دار الفكر،دمشق،ط1، 1995م
- . لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م .
- . لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمّد خطابيّ، المركز الثقافي العربيّ، ط1، 1991م .
- . اللغة:ج.فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، ب د، ب ت .

- . اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
- . اللمع في أصول الفقه، أبو اسحاق إبراهيم بن عليّ الشيرازي (476هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ط1/ 1405 هـ 1985م.
- . اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جنيّ الموصليّ النحويّ (392هـ)، تح فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972م.
- . مبادئ النقد الأدبي : ريتشاردز ، ترجمة وتقديم، د. مصطفى بدوي، مراجعة د. لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة، ب ت .
- . المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختن، تزفتيان تودوروف، تر فخري صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1992م.
- . المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصليّ (637هـ) تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت، 1955م.
- . مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانيّ النيسابوريّ (518هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ب ت .
- . المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازيّ (606هـ)، تح طه جابر، فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 2، ب ت .
- . مدخل إلى علم الجمال الادبي، د. عبد المنعم تليمة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978م.
- . مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ : تأليف زتسيلاف وأرزميناك تر أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1424 هـ - 2003م.
- . مدخل إلى علم المنطق، مهديّ فضل الله، دار الطليعة، بيروت، ط، 1979م.
- . مدخل إلى لغة علم النصّ، إلهام أبو غزالة، وعليّ خليل حمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1999م.
- . المترجل، أبو محمد عبد الله بن أحمد الخشاب (567هـ)، تح علي حيدر، دمشق، 1392 هـ - 1972م .
- . المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911 هـ) تح فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م .
- . المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ (505هـ)، تح ، محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ .

- . المستقبليّة الإسلاميّة نهج البلاغة نموذجاً لانطلاقه الرؤيا، محمّد سعيد الأمجد، ط مركز الشهيدين الصدرين، بغداد، 2006م.
- . المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
- . المصطلح النقديّ في نقد الشعر، دراسة لغويّة تاريخيّة ، نقديّة، إدريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط2، 1349هـ - 1948م.
- . معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ط1، 1401هـ - 1981م.
- . معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد 1991م.
- . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي (963هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ . 1947م.
- . المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسين محمد بن عليّ بن الطيب البصري (436هـ)، تح خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ .
- . معجم البلاغة العربيّة، بدوي طبانة، دار المنارة ، السعودية، ط3 ، 1988م .
- . المعجم الفلسفي، الدكتور مراد وهبة، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979م.
- . المعجم الفلسفي، يوسف كرم وآخرون، مطبعة أولاد عبدة أحمد، القاهرة، ط2، 1971م.
- . معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
- . معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
- . المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (360هـ)، تح طارق عبد عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.
- . المعنى الأدبي ، وليم راي ، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار المامون للترجمة والنشر، بغداد، 1987م.
- . مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (761هـ)، تح د. مازن المبارك ، ومحمّد عليّ عبد الله ، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م.
- . مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن عليّ السكاكي (626هـ) تح أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة ، ط1، 1400هـ - 1981م .

- . المفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري قدم له وبوبه ، د . علي بن ملح ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993م .
- . مفهومات في بنية النصّ (اللسانيّة، الشعريّة ، الأسلوبية ) ترجمة د. وائل بركات، دار معد ، دمشق 1996م .
- . مقاصد الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، تح، محيي الدين صبري الكردي، مطبعة السعادة، مصر ط1، ب ت .
- . المقتضب أبو العباس بن يزيد المبرد، تح عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت ، ب ت .
- . مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عوض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط3، 1404 هـ .
- . من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، ط3، م1950 .
- . منة المنان في الدفاع عن القرآن: السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس)، مطبعة الكوثر، قم، ط1، 1426هـ .
- . المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو القاسم السجلmani (704 هـ) تقديم، وتح علال الفاسي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب ط 1400 هـ - 1980م .
- . المنطق، أرسطو، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ط1، 1980م .
- . المنطق، العلامة محمد رضا المظفر، انتشارات إسماعيليان، قم، ط13، 1426 هـ . ق، 1384هـ . ش .
- . المنطق التوجيهي، أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة، 1944م .
- . المنطق ومناهج البحث العلمي، علي عبد المعطي، بور سعيد، مصر، 1997م .
- . مناهج البلاغ وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجي ( 684 هـ )، تقديم وتح محمد ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م .
- . منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م .
- . الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (370هـ)، تح أحمد صقر، الكويت، 1960م .
- . الموسوعة الفلسفية، عبد المنعم الحنفي، مطبعة دار ابن زيدون، بيروت، ط2، ب ت .
- . موسيقى الشعر، نازك الملائكة، محاضرات ألقته على طلاب مقرر موسيقى الشعر بقسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة الكويت 1977م . 1978م .
- . النحو العربي نقد وبناء، د. إبراهيم السامرائي، دار الصادق، بيروت، ب ت .

- . نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407 هـ - 1987م.
- . النصائر النصيرية، زين الدين عمر بن سهلان الساوي (540هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط 1998م.
- . نظرية الأدب - رينيه ويليك وواستن دارين، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط2، 1981م .
- . نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية 1978م.
- . النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، د. أحمد كمال زكي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، القاهرة، 1981م.
- . النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ط1، 1982م .
- . نقد الشعر أبو الفرج قدامة بن جعفر (337هـ)، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1978م.
- . نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (733 هـ)، تح سعيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400 هـ . 2004م.
- . نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر (606هـ)، تح أحمد حجازي السقا، دار الجيل بيروت، المكتب الثقافي، القاهرة، ط1412، 1هـ - 1992م .
- . نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ضبط نصّه الدكتور صبحي الصالح، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط3، 1426 ق . 1384 ش .
- . نهج البلاغة ما اختاره الشريف الرضي (406هـ) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرح الشيخ محمد عبده، خرّج مصادره الشيخ حسين الأملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ط 1، 1413 هـ 1993م .
- . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، تح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2006 م .
- . الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (478هـ)، تح د. عبد اللطيف محمد العيد، ب ت .
- . الوساطة بين المتتبي وخصومه، علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني (392هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي الجاوي 1966م.
- . وصف اللغة العربية دلاليًا، محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، 1993م.

## المجلات والدوريات

- . البنى الإيقاعية في مجموعة محمود درويش (حصار لمدائح البحر), بسام قطوس، مجلة أبحاث اليرموك، م9، ع1، 1991م.
- . بنية الكناية، دراسة في شبكة العلاقات الدلالية، د.جاسم الفهيد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ع88، س22، خريف 2004م.
- . التناصّ سبيلاً إلى دراسة النصّ الشعريّ، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، مج16، ع1، القاهرة، 1997م.
- . شعر على شعر، معارضات شوقي بمنهجية الأسلوبية المقارنة، محمد الهادي الطرابلسي، مجلة فصول مج3، ع1، القاهرة، 1982م.

الفونولوجيا وعلم الألفاظ، مجلة الفكر العربي، العددان 9.8 السنة الأولى، 1979م، بيروت.  
. القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي، مجلة جامعة أهل البيت، العدد6، السنة  
الثالثة، 1429هـ/2008م.  
. القرآنية في نهج البلاغة، علي ذياب، بحث مقبول للنشر في مجلة آداب المستنصرية،  
2009م.  
. المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة، د.علي زوين، مجلة آفاق  
عربية، ع1، كانون الثاني، س17، بغداد، 1992م.  
. المعرفة اللغوية وتفسير النص القرآني، د.زهير غازي زاهد، مجلة مجمع اللغة العربية،  
دمشق، م81، ج4، لسنة 2006م .  
. مقدّمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث، أحمد محمد قدور،  
مجلة عالم الفكر، م16، ع4، الكويت، 1986م.

## الرسائل والأطاريح

. أسلوبية الحوار في القرآن الكريم، رسول حمود حسن الدوري، أطروحة دكتوراه، بإشراف  
د.ماهر مهدي هلال، جامعة بغداد، 1995م.  
. الأسلوبية في دراسات الأعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، د.عواطف كنوش  
مصطفى، أطروحة دكتوراه، آداب . البصرة، 1416هـ . 1995م.  
. الإطلاق والتقييد في النصّ القرآني دراسة دلالية، سيروان عبد الزهرة الجنابي، رسالة  
ماجستير بإشراف د. عبد الأمير زاهد، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2002م.  
. تحولات بنى الخطاب القرآني في مشاهد القيامة والقصّ (دراسة أسلوبية)، أطروحة دكتوراه  
بليقيس كولي محمد الخفاجي، بإشراف د. حيدر لازم مطلق، 2005م.

- . التصوير الفنّي في خطب الإمام عليّ عليه السلام": عباس عليّ حسين الفخّام، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور سعيد عدنان المحنة، جامعة الكوفة، هـ1420 - 1999م
- . فاعليّة المشتقات في البنية الأسلوبية للسياق القرآني، حسين خليفة صالح عبد القادر، أطروحة دكتوراه كلية الآداب، جامعة بغداد، 1423 هـ. 2003م.
- . القرآنية في شعر الرواد في العراق، إحسان محمّد جواد حاجم التميمي بإشراف د. ابتسام مرهون الصفار، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2000م.

# Abstract

## Inference in the book of Nahj Al-Balgha Style study

The scientists discussed the term of (( Inference )) and consider it as a hint and declare , in detail and in brief according to their dealing with and the intensity of its influence on their art .

Old Scientists of philosophy and logic has deal with it, as Aristo call it (( measurement )) then Arab philosophers and logical used it with the name ((inference )) which means (acquiring the evidence ) and ( Guiding for the demand because it is sign of it ) .

Fundamentalists and jurisprudents consider it as a linguistics production determine legitimate decision .

The term ((Inference)) in language and literature –it is the core of the study - came with many meanings like : referring for an object or Knowledge or utility of acquiring the evidence and this term mentioned in the books of language and eloquence from pronunciation aspect or considering it as an article of revealing and inferring .It came in its meaning and pronunciation in the book of ((Nahj Al-Balagha )) in his saying ((Peace upon him )) :

(( I referred on something not being by something had being , because all matters are similar )) ...Nahj Al-Balagha : book:31/p5411 , precisely : Mohammed Abda .

This meaning in the speech of Al-Imam (peace upon him) uncover the inference process which is a mental process transferring the view from known case to unknown new case, while literary treatment to the meaning of inference in analytical study of style to the paragraphs in the book of (Nahj Al-Balagha) the researcher depended on revealing of the word apocalypses in the address text in an inferring way in the two topics of linguistic and in rhythm in the first section which uncover the glow of the text inferring word .

While the inferring of structure in the texts of Al-Balagha book. The text address analyzing came according to the addressed type , subject change and the type of address (speech) which reveal the word and structure elasticity of Al-Imam Ali (Peace upon him) .

Also the researcher referred to the odd and exciting image and transformations in the means of hesitation ,conversation and substitution which led to agitate the addressed toward understanding the meant .

Inferring discovered the great background of Al-Imam Ali (peace upon him) which are (The great Quraan and the prophet speech ) which reveal his rich culture .

The essence of what the researcher arrived to by the way of literary inferring in the texts of ((Nahj Al-Balagha )) is the address type of Al-Imam Ali who relay on evidences in his Address so it was a literary expressionist address used the evidence to referring as a constructive architecture in the field of pronunciation and harmony which weave a harmonized symmetries of attaining distributed on life elements politically, socially, psychologically , and educationally .

Ministry of Higher Education And scientific Research

Baghdad University

**Inference in the book of Nahj Al-  
Balgha Style study**

**A Thesis Submitted To The College Of Education for**

**Woman**

**University of Baghdad**

In Partial Fulfillment of Requirements for the

Degree of Philosophy Doctora in Arabic

Literature

By

**FATIMA KAREEM RSAN AL-KAABI**

**Supervised By**

**DR. HAIDER LAZIM MUTLK**

1430 H

2009 AD